أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية وأبرزها:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

البحوث والمقالات المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها،
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع باستثناء القرارات المجمعيّة

قواعد النشر:

١- أن يتسم البحث بالجدَّة والأصالة والموضوعية.

٢- أن يُرفق البحث بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني.

٣- ألَّا يقلَّ البحث عن عشر صفحات وألَّا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة (٧٠٠٠ كلمة)، أما المقالات والتعريف بالكتب فيُقبَل منها ما يقلُّ عن عشر صفحات.

٤- أن تكتب في بداية البحث مقدمة تبين الغرض منه والبنود الرئيسية التي سيتناولها بالتفصيل.

٥- أن يخلو البحثُ من أي إساءة إلى الكُتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.

٦- أن يُعِدَّ الباحث - إذا رغب في ذلك - ملخصاً لبحثه بالإنكليزية أو الفرنسية.

٧- أن يلتزم الباحث المنهجَ العلميَّ في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي:

أ- «اسم المؤلف أو الكاتب – اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة»، **وفي المصادر والمراجع** يكتب:

ب- «اسم الكتاب - اسم المؤلف - اسم دار النشر ومكانها - رقم الطبعة وتاريخها».

ويمكن للكاتب أن يتخيّر أحد البندين (أ) أو (ب) على أن يجري على نسق واحد في توثيق المصادر والمراجع والحواشي.

٨- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة بالحرف (Mylotus) أو (Traditional Arabic) قياس (١٦)، وأن تشفع بقرص مدمج مسجلٍ عليه عنوان البحث، أو ترسل بالبريد الإلكتروني.

٩- على الباحث أن يلتزم مصطلحاً واحداً في بحثه إذا تعددت المقابلات العربية للأصل الأجنبي والأولى أن يكون مما جاء في المعاجم المتخصصة.

١٠- أن تُوضع الكلمات العربية أو المُعرَّبة **قبل** مقابلها الأجنبي عند ورودها **أول مرة فقط**، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).

١١- أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، ...إلخ.

١٢- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد عليها بعد أن تخضع للتقويم السِّرّي.

١٣- ألّا يكون البحث منشوراً أو مرسلاً للنشر في مجلة أخرى أو مستلًّا من رسالة، ويتعهد الباحث بذلك خطيًّا.

١٤- إذا لم يلتزم الكاتب بإجراء ما يجب من تعديلات يقترحها المحكمون في مادته التي أرسلها إلى المجلة، في الفرصة المتاحة للتصحيح - ولا تعاد المادّة إلى صاحبها لإجراء التعديلات إلّا مرّة واحدة فقط - كان للمجلة الحقُّ في رفض نشر تلك المادّة.

١٥- تُرتَّب البحوث والمقالات وَفق اعتبارات فنية.

١٦- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردُّ إلى أصحابها.

١٧- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان الآتي:

دمشق ص. ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: E – mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت):

www.arabacademy.gov.sy

❋ ❋ ❋

فهرس الجزأين الثالث والرابع

من المجلد الخامس والتسعين

البحوث والدراسات

- مسائل التغيير التشكيلي في الأصوات د. أحمد قدور ٣٦٥
- عوامل النشاط الأدبي العربي الحديث
في إيران د. حسين مرعشي ٣٩١
- معرفة العرب بأساليب الاستفادة والوقاية
من طاقة المد والجزر د. سائر بصمه جي ٤٠٩

المقالات والآراء

- متى يجزم جواب الطلب؟ د. مكي الحسني ٤٣٧
- الكشكول اللغوي (٣)
العقاقير والعَقارات والعُقار والعاقر والعَقْر د. رفعت هزيم ٤٤١

التعريف والنقد

- الدلالة العربية المعاصرة:
تطبيقات على المتداول اليومي د. عبد الناصر عساف ٤٥١

- التنبيه على التحريف في مطبوع
(الفصول والغايات) د. ميثم علي ٤٦٩

المحاضرات والمدارسات

- وقفة مع التراث في المناهج والنتائج د. مازن المبارك ٤٩٥
- العرب والبيان: تأملات في الطبيعة البيانية
للشخصية العربية د. عيسى العاكوب ٥٢١
- العلاقة بين اللغة العربية ولغات المشرق
العربي القديم (اللغات السامية) د. عيد مرعي ٥٣٩

أنباء مجمعية وثقافية

- من قرارات المجمع في الألفاظ والأساليب ٥٧٣
- حفل استقبال الأستاذ الدكتور يوسف بركات عضوًا في المجمع ٥٨٩
١- كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع ٥٩١
٢- كلمة الأستاذ الدكتور مكي الحسني أمين المجمع ٥٩٧
٣- كلمة الأستاذ الدكتور يوسف بركات ٦٠١
- حفل استقبال الأستاذ الدكتور عماد الصابوني عضوًا في المجمع ٦١٧
١- كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع ٦١٩
٢- كلمة الأستاذ مروان البواب عضو المجمع ٦٢٥
٣- كلمة الأستاذ الدكتور عماد الصابوني ٦٣٥
- فهرس المجلد الخامس والتسعين ٦٥٣

❊ ❊ ❊

البحوث والدراسات

مسائل التغيير التشكيلي في الأصوات

أ. د. أحمد محمّد قدُّور(*)

١- تمهيد:

درس النحاة القدامى الأصواتَ العربية مفردة من جهتَيِ المخارج والصفات نظرًا وتطبيقًا، فتوصّلوا إلى نتائجَ باهرةٍ. وقد تجلّى هذا لدى الخليل ابن أحمد (ت١٧٥هـ)، في مقدمة كتابه (كتاب العين). وكذلك لدى سيبويه (ت١٨٠هـ) في تصديره باب الإدغام. ثمّ سار التالون من النحاة واللغويين على طريقة سيبويه، لكنّ درس الأصوات مفردةً لم يكن كافيًا لاستيفاء المسائل المعروضة، إذ لا بدّ من دراستها في التراكيب بناءً وسياقًا. وقد أشار الخليل إلى مسائل من هذا النحو حين عرض لموضوع حروف الذلاقة، وخصائص اشتقاق الحكاية المؤلّفة والمضاعفة، ومجاورة الحرف للحرف بالتقدّم والتأخّر، ممّا غدا بحوثًا واسعة لدى النحاة، وطوائف أخرى كأهل البلاغة والإعجاز والتجويد والتفسير، وغيرهم كالحكماء وعلماء التعمية واستخراج المعمّى.

ومعروف أنّ الدرس الصوتي لدى النحاة كان مختلطًا بالمسائل الصرفية حتى شكّل جزءًا من علم الصرف، وبقي كذلك حتى العصر الحديث، ودخل

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

شيء منه في كتب التجويد منذ القرن الرابع للهجرة إلى أيامنا هذه. ويدلّ ذلك على مبلغ الحاجة إلى المعطيات الصوتية لفهم كلام العرب وتحليله، وتجويد لفظ القرآن وتحسين نطقه من جهة، كما يدلّ من جهة أخرى على اشتجار المستويات اللغوية وتسلسل النظر فيها، ممّا عاد بالفائدة الجلّى على التحليل اللغوي وتقعيد المسائل المدروسة من جوانبها كافة. وربّما صحّ القول: إنّ منهجًا تكامليًّا أُخِذ في الاعتبار، على أنّه أصل مستأنس لديهم باطّراد، مُستَشعر في تحليلاتهم على نحو يمثّل استخراجه إحياءً لأصل من أصولهم صدروا عنه، وإن لم يصرّحوا به تصريح الدرس الحديث في اللسانيات. بل ربّما أدّى تطبيقه إلى نوع من المنهج الصوتي في تناول المسائل اللغوية والبلاغية ونحوها. ولا شكّ في أنّ مبدأ ذلك هو تنبّههم إلى أخذ الطبيعة الشفهية للغة بالحسبان قبل أيّ نظر في المدوّنات التي لم تكن كافية، أو ممهّدة لاعتمادها أصلًا في الدرس بداية، وهو ما يؤيّده الدرس الحديث[(١)].

ويمكن استنباط الدرس الصوتي النظري من مصادر متقدّمة ككتاب العين للخليل وكتاب سيبويه، وكتب بعض النحاة التالين كابن جني (ت٣٩٢هـ) وغيره. وهو درس متكامل أخذ نصيبًا من الاهتمام لدى الباحثين المحدثين من طوائف شتى عربًا ومستشرقين ودارسين غربيين. وقد تبيّن أنّ هذا الدرس إذا ما قورن بالدرس الحديث صحيح علميًّا إلى حدّ الموافقة أو التطابق، ما خلا ملحوظات، وبعض الاستدراك الذي لا بدّ منه. وهذا الدرس النظري قابل للتصنيف الحديث ليشكل علمًا صوتيًّا مفردًا على شاكلة علم الأصوات في اللسانيات التي تدعوه بمصطلح «phonetics»[(٢)].

(١) انظر: علم اللغة الاجتماعي، مدخل لكمال بشر، ص٧٥-٧٦ بتصرّف.

(٢) انظر: دراسات في علم الأصوات عند العرب لأحمد قدور، ص٥٦ وما يليها.

أما الدرس التشكيلي للأصوات فيمكن استخراجه من مصادر النحو، وكتب الصرف خاصة. ويضمّ مسائل أغلبها ينضوي تحت قسم «التصريف المشترك»، وهو الذي يرصد التغيير لغير غاية معنوية. وهي مسائل مشتركة بين الأصوات والصرف على صعيد واحد. وتُستقى منها قواعد كثيرة تعبّر عن خصائص كلام العرب في هذا الجانب المهمّ من الدرس. وبإمكان الباحث أن يقف على معطيات مختلفة من هذا النحو كالابتداء والوقف والتخلّص من التقاء الساكنين، والإدغام والإعلال والإبدال والحذف والإمالة والقلب والمدّ وأحكام الهمز. وإنّ للقرّاء وعلماء التجويد نصيبًا من الاهتمام بهذه المسائل التي يجمعها أنّها مشتركة بين الأسماء والأفعال، وأنّ التغيير فيها يرد لغاية لفظية لا معنوية، كما تقدّم. وربما كان الإدغام أهمّ هذه المسائل، إذ يستعمل، ولا سيما لدى سيبويه، للدلالة على معظم تلك المسائل ونحوها. وسنقف على بيان مفهوم الإدغام لدى سيبويه لاحقًا. وهناك مسائل أخرى غير بعيدة عمّا نصف، وهي مسائل المتحرّك والساكن والإدراج «الوصل»، وأحكام الحركات زيادة ونقصًا. ويمكن أن يُلحق بالمسائل المتقدّمة كلّها موضوع ائتلاف الحروف بسبب المجاورة قبولًا ورفضًا، لِما لهذه المسألة من أهمية في بيان خصائص الكلام العربي من جهة التشكيل الصوتي.

ويمكن للباحث أن يستخلص من مجموع الدرس الصرفي تسلسلًا غير مصرّح به، وهو كالأصول المنهجية المستكنة في تضاعيف التطبيق، يقوم على البدء من أصغر العناصر إلى أن يصل إلى علاج الحالات التركيبية التي تنتج من التصريف والمجاورة في السياق. ونعرض فيما يلي من باب الاقتراح ما توصّلنا إليه من تسلسل مستنبط من مباحث علم الصرف عندنا،

وهو علم على قدر كبير من الابتكار والشمول والتفريع. ويجري هذا التسلسل على النحو التالي:

١- مسائل التركيب، وتضمّ أصول الكلم الساكنة والمجرد والمزيد والجمود والتصرّف.

٢- مسائل التفريع، وتضمّ أقسام الكلم، وأبنيتها (الأسماء والأفعال والحروف)، وأوزانها.

٣- مسائل التصريف، وتضمّ أهمّ المسائل قاطبة، وبها سُمّي علم التصريف أو الصرف. وفيها التصريف الاشتقاقي القياسي للأفعال والصفات، والإسناد الفعلي، وتصريف الأسماء، كالعدد والنوع والتعيين والتصغير والنسبة.

٤- مسائل التغيير التشكيلي، وتضمّ كلّ المسائل التي حدثت بسبب الاشتقاق أو المجاورة، وأهمّها الإدغام، كما تقدّم.

ولا عبرة بورود هذه المسائل غير مرتّبة هذا الترتيب لدى القدامى، لأنّ العبرة في تفطُّنهم لهذه المسائل وتناولها بكفاءة نادرة، وإنْ بدا فيها شيء من التداخل[٣]. وللباحث المحدث أن يشكّل من مسائل التغيير، وما يلحق بها، ممّا يتصل بدراسة تركيب الكلام علمًا للصوتيات «phonology » العربية يلحق بعلم الأصوات، أو يكون مفردًا وفق الحالة الدرسية المنتظرة من الباحثين[٤]؛ مع ملاحظة الفروق التي لا بدّ من أن تُؤخذ في الحسبان، بين الدرسين العربي واللساني، والتنبّه إلى عدم الانسياق في الاحتذاء والتطبيق القسري للمقولات اللسانية على درسنا العربي.

(٣) انظر: بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها لأحمد قدور، ص١٥٥ وما يليها.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٨٦ وما يليها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلامة تمام حسان جمع عددًا من تلك المسائل التي عددناها من مسائل التغيير تحت عنوان «الظواهر السياقية»، ولم ينسبها إلى «الفونولوجيا»، أو نحو ذلك. فقد جمع ما يتّصل بتأليف الحروف، وبالوقف، والإعلال والإبدال والإدغام والتخلّص من التقاء الساكنين والحذف والنبر والتنغيم؛ وذكر أنّ الاستعمال السياقي يولّد ظواهر موقعية تدلّ على اتجاه الذوق العربي في كراهية التنافر والتماثل، والاتجاه نحو التخالف(٥). ومنطلق الدكتور حسّان هو الموازنة بين «قواعد» اللغة، و«متطلبات» السياق؛ وفي ذهنه -كما يبدو- التفرقة الشهيرة لدى دو سوسير (ت١٩١٣) أبي اللسانيات بين اللسان والكلام(٦). على أنّه أَولى موضوع الإدغام عناية فائقة، ولاحظ «أنّ سيبويه اهتمّ بظاهرة الإدغام حتى جعلها مناط دراسته للأصوات العربية كلّها»(٧)؛ ورأى أنّ سيبويه يستعمل كلمة «التغيير» عمدًا ليشمل بها القلب والإبدال والتسهيل(٨). وكان الدكتور حسّان يأتي على بيان بعض ظواهر التغيير من دون أن تكون هدفًا لدراسته المشار إليها آنفًا. أما مسألتا «النبر» و«التنغيم» فمنسوبتان إلى (الفونولوجيا) وفق التصنيف الحديث(٩).

٢- أسباب التغيير التشكيلي وغاياته:

تتولّد مسائل التغيير من مجاورة الأصوات بعضها لبعض؛ فالإنسان لا

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ص٢٦٢. ومن هذا النّحو، ولكنْ باختلاف المنهج كتاب التشكيل الصوتي في اللغة العربية لعبد القادر مرعي الخليل، الأردن ٢٠٠٢م، وكتاب علم وظائف الأصوات اللغوية لعصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٢م.

(٦) مناهج البحث في اللغة لتمام حسان، ص٣٨ وما يليها.

(٧) اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٧٩.

(٨) المرجع السابق، ص٢٨٤.

(٩) انظر: دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر، ص١٣٥-١٣٧.

ينطق بالأصوات صوتًا صوتًا مجزّأة، بل ينطقها ضمن بنى تركيبية من خلال توالي المتحرك والساكن، في العربية[١٠]. فقد يحدث في أثناء الاشتقاق أو المجاورة في السياق أن تتولّد كلمات، أو ترد أنساق متعذّرة النطق، أو مستثقلة لا تسوغ في النطق. لذلك يلجأ المتكلّم إلى ضروب من التغيير فِرارًا ممّا يتعذّر نطقه، أو يُستثقل، فيعدل عنه، إن كان النطق الراهن ممكنًا، لكنّه ليس مستحبًّا لدى الجماعة اللغوية. أما سائر الكلام فيولد بسلام من غير تغيير حادث، وهو أكثر الكلام.

ويمكن تمثيل عملية توليد الكلمات والمجاورة في السياق، على النحو الآتي:

أ- أصوات (حروف) ← أبنية أو أوزان = كلمات سليمة من التغيير

ب- أصوات (حروف) ← أبنية أو أوزان - تغيير صوتي صرفي = كلمات اعتراها التغيير

ج- أصوات (حروف) ← كلمة + كلمة = أنساق سليمة من التغيير

د- أصوات (حروف) ←كلمة + كلمة - تغيير صوتي صرفي = أنساق اعتراها التغيير.

وتجري على الشكل الأول الكلمات التي لا يعتريها التغيير في أثناء الاشتقاق والتصريف، وهي أكثر الكلام حكمًا، لأنّها تُشكَّل وفق القواعد المطّردة، والعناصر الداخلة في التشكيل تساوي العناصر المشكَّلة منه. وتجري على الشكل الثاني الكلمات التي يعتريها التغيير بسبب المجاورة، نحو سيّد، وبِيض، وازدهى، وقال، وقِسيّ، والأصل فيما تقدّم هو: سيوِد، وبُيض، وازتهى، وقَوَل، وقُووس، على مثال فؤوس. وتجري على الشكل

(١٠) انظر: بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها، ص٢١٢.

الثالث كلّ حالات المجاورة بين الكلمات التي لا يعتريها تغيير ما، وهي أكثر الحالات حتمًا. وتجري على الشكل الرابع أمثلة إدغام المتجاورين، والتخلص من التقاء الساكنين في كلمتين، ونحو ذلك(١١).

وللتغيير غايتان هما: التمكين، والتحسين. فالتمكين هو قصد المتكلّم من النطق سليمًا من غير تعثّر أو استحالة، كمجيء الألف بعد الضمة أو الكسرة، فهو محال، ومثله لا يكون، وكذلك اجتماع الألفين طرفًا(١٢)؛ فلا بدّ من تجنّبه أو تعديله ليسوغ في النطق. أمّا التحسين فمن أمثلته ما يمكن التلفّظ به، لكنّه يعدل عنه استكراهًا للكلفة منه، وإن كان نطقه ممكنًا غير متعذّر، كامتناع العرب من نطق مُيْسر، ومِوزان، وقِوْل، ورِوْح، إذ قالوا: مُوسر، ومِيزان، وقِيل، وريح(١٣).

وذكر ابن جني أنّ الصور اللفظية المنسوبة إلى التغيير كالإعلال مثلًا هي ما نطق به العرب فعلًا، أمّا ما نقوله عن الأصل فهو من باب القياس، إذ لو جاء هذا المتغيّر مجيء الصحيح، ولم يُعلّ لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا. فأما أن يكون استعمل وقتًا من الزمان كذلك، ثم انصُرِف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ، فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر. على أنّ بعض الأصول المتصوّرة ينطق بشيء منه منبهةً على أصل بابه، وتصديقًا لما يتصوّره النحاة له. وهو مع ذلك شاذّ في الاستعمال، مع أنّه متّفق مع القياس المطّرد(١٤).

ولسيبويه الفضل في تخصيص أبواب مستقلّة لكلّ ظاهرة من ظواهر التغيير، على أنّه عرض لها بين أبواب الصرف من غير أن يجمعها في قسم

(١١) انظر: المرجع السابق، ص٢١٢-٢١٣.
(١٢) انظر: الخصائص لابن جني ١/ ٨٨-٨٩، و ٢/ ٤٩٥.
(١٣) المصدر السابق ١/ ٢٥٩-٢٦٢، ٢/ ٤٩٣-٤٩٦.
(١٤) الخصائص ١/ ٢٥٧-٢٦٤ بتصرف.

خاصّ، كما جرى فيما بعد في «المفصّل» للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، و«الشافية» لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، وشروحها، وفي كثير من كتب الصرف القديمة والحديثة. وقد أشرنا فيما تقدّم إلى جمعها تحت عنوان «التصريف المشترك». فقد عرض سيبويه لمسائل مهمّة من هذا النحو في تضاعيف الجزأين الثالث والرابع من كتابه (ط. هارون)، كالهمز وأحكامه، والإمالة، والتخلّص من التقاء الساكنين، والوقف، والروم، والإشمام، والإسكان، وهاء السكت، والإبدال، والإعلال، والتضعيف، والإدغام، والابتداء بألف الوصل[١٥]. وذُكر في «الشافية» وبعض شروحها التقاء الساكنين، والابتداء، والوقف، والإمالة، وتخفيف الهمز، والإعلال، والإبدال، والإدغام، والحذف. وجُعل بينها بابان للمقصور والممدود، وللزيادة وحروفها وأحكامها[١٦].

وسنعرض فيما يلي من الوجهة الصوتية بإيجاز لأهمّ ما يدرج في التغيير من مسائل استوفاها الدرس الصرفي، وفصّل أحكامها، على أن نفرد جانبًا خاصًّا بالإدغام لدى سيبويه، وابن جني لما للإدغام من أهمية فائقة في علاج الظواهر الموقعية القائمة على التماثل أو التنافر.

- الابتداء، ويقوم على التخلّص من الابتداء بالساكن باستجلاب همزة الوصل، وهي همزة مع حركة؛ لأنّ الابتداء بالساكن محظور في العربية، وذكر الخليل أنّ هذه الألف يؤتى بها سلّمًا للنطق بالساكن، ثم لا تعتدّ حرفًا

(١٥) الكتاب لسيبويه ٣/ ٥٤١ (الهمز)، ٣/ ٥٣٢ (الساكنان)، ٤/ ١١٧ (ما تمال به الألفات)، ٤/ ١٥٩، (الوقف وهاء السكت)، ٤/ ١٦٦، (الوقف من غير زيادة)٤/ ٢٣٧، (البدل)، ٤/ ٣٣٥، (قلب الواو ياءً) ٤/ ٤١٧، (التضعيف)، ٤/ ٤٣١، (الإدغام) ٤/ ١٦٨-١٧٢ (الروم والإشمام)، ٤/ ١٤٤ وما يليها (الابتداء بألف الوصل).

(١٦) انظر مواضعها في الفهرس الإجمالي للمحتويات، شرح شافية ابن الحاجب للخضر اليزدي، ٢/ ١٢٥٨.

زائدًا على البناء. فاللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف، فيحتاج إلى ألف الوصل، وسمّى سيبويه هذه الألف بالألف الموصولة(١٧). والوظيفة التي تدلّ عليها همزة الوصل أينما وجدت بداية الكلام هي أنّها علامة على هذه البداية، أي: بداية النطق. أما إذا وقعت هذه الكلمة في وسط الكلام فلن تكون هناك حاجة للهمزة نطقًا - وتبقى ترسم خطأً - لأنّ الحرف الأخير في الكلمة السابقة لما فيه همزة وصل سيقوم بوظيفة الوصل، نحو: (قالَ المؤلّف)، ويحلّ لام (قال) وحركته محلّها ومحلّ حركتها(١٨). وتنتقل الظاهرة هنا من الابتداء إلى الوصل والإدراج، وهو مناط الكلام.

- التقاء الساكنين، وهو مرفوض في العربية، لذلك وجب التغيير بالحركة أو الحذف نطقًا وكتابةً، أو نطقًا دون الكتابة، أو مطلًا للمدّ، أو نقلًا إذا التقى الساكنان آخر الكلمة، وخيف على حركة الإعراب من الاستهلاك. وأمثلة هذه الحالات مبثوثة في كتب النحو، وقد استوفاها سيبويه ومثّل لها بالتفصيل(١٩). وسبب النفور من التقاء الساكنين هو عرقلة الوصل والإدراج، والتكلّف في النطق. وهناك حالات خاصّة لالتقاء الساكنين، كأن يكونا في كلمة واحدة فيها مدّ أو لين يليه إدغام، نحو (شابّة)، فيكون التخلّص بمطل حرف المدّ حتى يغدو كأنّه متحرك. واغتفروا التقاء الساكنين وقفًا، وفسّروه على أنّ الساكن الموقوف عليه متمكّن من نطقه الجرسي، ولذلك صار كالمتحرّك. على حين أنّ بعض القدامى فسّر ذلك بأنّه لابدّ من الإتيان بحركةٍ ضعيفة على الساكن الأوّل ليسوغ النطق به وبالحرف التالي له، إذ لو لم يكن كذلك لما أمكن النطق

(١٧) كتاب العين للخليل، ١/ ٤٩، والكتاب لسيبويه ٤/ ١٤٤ وما يليها.

(١٨) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ص٢٧٨-٢٧٩.

(١٩) الكتاب لسيبويه، ٤/ ١٥٢ وما يليها، ٣/ ٥٣٢ وما يليها.

بالساكن الأخير. وقد أبدع ابن جني في تناوله هذه الحالة خاصة[٢٠]. وظاهرة التخلّص من التقاء الساكنين هي إحدى خصائص التلّفظ في العربية، ولذلك توصف بأنّها ظاهرة سليقية لدى العربي، وعادة من عاداته النطقية[٢١].

- الوقف، والوقف عكس الحركة، وبينه وبين الحركة تنافر، لذلك قرّروا أنّه لا يوقف على متحرّك. فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء. أما الوقف فيأتي بعد تمام المعنى، وانقطاع النَّفَس. وظاهرة الوقف ظاهرة معروفة ومدروسة لدى النحاة والقرّاء وعلماء التجويد لِما لها من أهمّية في بيان المعنى. ويكون الوقف عادة بالتسكين، أو بالروم، أو الإشمام، أو الإبدال، أو الزيادة أو الحذف، أو النقل، أو التضعيف[٢٢]. وما عدا الإشمام -لأنّه ليس بحركة- وسائل الوقف تشمل الحركة والحرف. وتمثّل ظاهرة الوقف إحدى خصائص العربية في التلفظ[٢٣].

- الإبدال، الإبدال إزالة حرف، ووضع آخر مكانه، ويكون في الحروف الصحيحة، بجعل أحدها مكان الآخر، وبجعل مكان حرف العلّة حرفًا صحيحًا[٢٤]. وسبب الإبدال التنافر بين القواعد الصوتية ومتطلّبات الموقع؛ كالتنافر بين الإطباق والانفتاح في تاء الافتعال، إذا كانت فاؤه حرفًا مطبقًا، فتبدل التاء طاء للاتساق مع الفاء تحسينًا للنطق، وإزالة الكلفة فيه؛ أو التنافر بين الجهر والهمس، إذا كانت فاؤه دالًا، أو ذالًا، أو زايًا، فتبدل التاء دالًا اتساقًا مع

(٢٠) الخصائص لابن جني، ١/ ٦٠.

(٢١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ص٢٩٧.

(٢٢) انظر: الكتاب لسيبويه، ٤/ ١٦٦-١٨٨.

(٢٣) انظر للتوسّع: الوقف في ضوء اللسانيات لعبد البديع النيرباني.

(٢٤) انظر: جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، ٢/ ١٢٣، والكتاب لسيبويه ٤/ ٢٣٧ وما يليها.

الفاء (أي: حروف الدال والذال والزاي المجهورة). ويكون السبب فِرارًا من اجتماع العِلل، كما في كساو، وبناي، وقاوِل، وصحايف، ووواثل، فيقال: كساء، وبناء، وقائل، وصحائف، وأوائل، ونحو ذلك. ويكون السبب كذلك في التخلّص من الثقل، وانتحاء الأصل الاعتلالي المستحبّ نطقًا، في نحو: دِوَار، وحِواض، ومُيسر، وقَضُيَ، فقيل: ديار، وحِياض، وموسر، وقضُو. وكذلك إبدال الألف ياء وإدغامها، نحو: غزيّل تصغيرًا لغزال، أو من غير إدغام، نحو دنانير جمعًا لدينار، وفي تصغيره، كقولهم: دُنينير[٢٥].

– الإعلال، ويكون الإعلال في حرفي الياء والواو بالقلب، أو النقل، أو الحذف؛ ففي القلب تقلب الياء والواو ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، والسبب واضح، وهو اجتماع العِلل والحركات، والعلل حركات ممطولة أصلًا فجرى الإعلال فِرارًا من هذا الاجتماع، وعدم الاسترواح للسكون. وفي النقل يحدث تغيير بنقل الحركة إلى ما قبلها (بحسب إجراء التصريفيين) فيزول الثقل، ويُرجَع إلى الأصل الاعتلالي المرغوب به نطقًا، نحو: يَقْوُم، ويَبْيِع، ومَقْوُول، فتصير بعد النقل: يقُوم، ويبِيع، وبعد النقل والحذف: مقُول ونحوه كاستقامة وإقامة. وفي الحذف تكون الواو أو الياء أول الساكنين، نحو: لم يقُوْمْ، ولم يَبِيْعْ، فتحذفان لالتقاء الساكنين، فيصير الكلام: لم يقُمْ، ولم يبِعْ. ومنه الحذف في باب وعد، يعد، عِدة، وفي المعتل الآخر أمرًا ومضارعًا مجزومًا، نحو، ادعُ، ولم يرمِ. ونحو ذلك مبثوث في مصادر النحو وكتب التصريف. لكنّ المهمّ هنا هو الوقوف على العِلل الصوتية لهذه المسائل، وتصنيفها، وتوظيفها في درس جديد للأصوات. ومن الإعلال المفضي إلى التخفيف بالعود إلى الحالة الاعتلالية التسكين، نحو: القاضِيُ، ويدعُوُ، فتصبح بعد التسكين: القاضِيْ،

(٢٥) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص٢٧٥.

ويدعُوْ. وقد يؤدي التسكين إلى الحذف أيضًا، نحو: يرميْون، فتغدو بعد التسكين والحذف: يرمُون، ونحوه.

- الهمز، الهمزة من الحروف الصحيحة، لكنها كثيرة التغيّر ممّا جعلها كحروف العلة. ولذلك صنّفها الخليل مع الألف والواو والياء[٢٦]. وأشار الخليل إلى تغيّرها بقوله: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفِّه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح»[٢٧]. وواضح من كلام الخليل أنّ الهمزة عندما تنطق نطقًا صحيحًا، تكون شديدة بسبب غلق الوترين الصوتيين، ثم انفراجهما فجأة، وهذا معنى مهتوتة مضغوطة. لكنّ الهمزة حين تفارق هذا النطق تقترب من نطق حروف العلة والحركات التي لا حبس ولا تضييق فيها، بل تخرج بعد اهتزاز الوترين من الفم عن طريق حركات اللسان أساسًا. ويطرأ على الهمزة غير المحقّقة التخفيف والبدل والحذف، وتصير بَين بَين، أي: تجعل من مخرج الهمزة ومخرج الحرف الذي منه حركتها. وقد عُدّ هذا النحو لدى سيبويه فرعًا من فروع الحروف المستحسنة. على أنّ الهمزة التي تجعل كذلك لا تصل إلى أن تكون ألفات، ولا ياءات، ولا واوات، لأنّ أصلها الهمز. وقد عدّها سيبويه حرفًا واحدًا، على حين أنّ السيرافي وبعض علماء التجويد عدّوها ثلاثة أحرف، فصارت ثلاثة فروع لا فرعًا واحدًا[٢٨].

- الإمالة، وهي تقريب للألف من الياء التماسًا للانسجام بين الحركات وحروف المدّ، وتخفيفًا للنطق، إذ يرفع اللسان معها من موضع واحد، كما

(٢٦) كتاب العين للخليل ١/ ٥٧.

(٢٧) المرجع السابق ١/ ٥٢.

(٢٨) انظر الكتاب لسيبويه، ٣/ ٥٤١، و٤/ ٤٣٢، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٥/ ٣٨٨، والموضح في التجويد للقرطبي، ص٨٢.

يقول سيبويه[٢٩]. وعدّ سيبويه الألف التي تمال إمالة شديدة من فروع الحروف المستحسنة[٣٠]. وهي التي يقربونها من الياء، لأنّ الألف قد تشبه الياء، فتصبح الألف قريبة من لفظ الياء. وذكر ابن جني أنّ أمثلة من هذه الإمالة كتبت في المصحف بالياء[٣١]. وتمنع الحروفُ المستعليةُ الإمالةَ لما بينها من تنافر، إذ يستعلي أقصى اللسان معها باتجاه الطبق، على حين تحدث الإمالة حين يتجه اللسان إلى الغار في مقدّم الفم، فيحدث ثقل وتعارض، وهو عكس ما يراد من الإمالة من انسجام بين الأصوات، وقلّة الكلفة في النطق.

وذكر النحاة أمثلة للقلب المكاني، وللحذف طلبًا للخفة، ونفورًا من الثقل. وسنرى أنّ سيبويه جعل الحذف ملحقًا بباب الإدغام، ما عدا الحذف الإعلالي والترخيمي في النداء؛ كما ذكروا الإخفاء، والاختلاس، والإشراب، والإشمام (التقريب بين الحرفين)[٣٢]، والروم، ونحو ذلك من ضروب التغيير في الحروف والحركات على حدّ سواء.

ويستخلص مما تقدّم أنّ هناك غاياتٍ متعدّدةً لتلك الظواهر على اختلافها، ويمكن أن تجمع فيما يأتي:

١- الرجوع إلى الأصل الاعتلالي للياء والواو، وهو الأسهل فيما يبدو. ونجده في التسكين، نحو: يمشيُ، والقلب، نحو: دعَوَ، والنقل، نحو: يقْوُل،

(٢٩) الكتاب، ٤/ ١١٧ وما يليها، والرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص٨٥-٨٦.

(٣٠) الكتاب، ٤/ ٤٣٢.

(٣١) سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ١/ ٥٠.

(٣٢) المراد به خلط صوت الصاد بصوت الزاي، نحو (فُصْد) فيتولّد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي. انظر: سرّ صناعة الإعراب، ١/ ٥١، والخصائص لابن جنّي، ٢/ ١٤٤، أما الإشمام في الحركات فهو إيماء بالشفتين إلى الحركة، ولا يعرفه إلا البصير، وجمهور النحاة والقراء لا يرون جوازه في غير المرفوع. انظر: الدراسات الصوتية لدى علماء التجويد لغانم قدوري الحمد، ص٥١٠.

فتصير بعد الإعلال حروف مدّ، ويتحقق الانسجام بين الحركات والحروف، فيقال: يمشِيْ، ودعَا، ويقُوْل، ونحو ذلك. وكذلك في نحو: مِوْزان، ومُيْسر، فيقال: ميزان ومُوْسر، وغير ذلك كثير معروف.

٢- الفِرار من التكرار، نحو إدغام المتماثلين، وتوفير الجهد، إن كان أول المثلين متحرّكًا في الإدغام.

٣- الإدراج، نحو إدغام المتجاورين (أي: بين كلمة وأخرى). ويكون بالتخلّص من التقاء الساكنين باجتلاب حركة أو بالحذف ونحو ذلك.

٤- إيثار الخفة على الثقل أو التعثّر في النطق، كما في عدد من أمثلة الإبدال، نحو: اصتفى، واوتجه، فتغدو: اصطفى، واتّجه، ومثل ذلك كثير. ومنه تسهيل الهمز، والفِرار من تحقيقه لِما في ذلك من كلفة على الكثير من الناس.

٥- التقليل من بذل الجهد، ومنه الحذف والروم والاختلاس والترخيم، ونحو ذلك.

٦- النفور من توالي المتشابهات من غير فصل، نحو استثقال توالي أربعة متحرّكات في الكلمة، كإسكان (بناء) الماضي إذا أُسند إلى ضمير رفع.

٧- دفع مظنّة الإخفاء، وبيان آخر الكلمة الموقوف عليها، نحو بعض أحكام الوقف بالنفخ أو القلقلة أو التضعيف للوفاء بنطق الحرف الأخير من غير إدراج يستهلك بعضه(٣٣).

٣- مسائل الإدغام عند سيبويه وابن جنّي:

ذكرنا فيما تقدّم أنّ سيبويه اهتمّ بظاهرة الإدغام اهتمامًا واسعًا، حتى جعلها مناط دراسته تشكيل العربية كلّها. ومن هنا نفهم توسّع سيبويه في دلالة الإدغام ليشمل ظواهر أخرى يجمعها التغيير لغايات لفظية صرف. وسنعرض

(٣٣) انظر: بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها لأحمد قدور، ص٢١٨-٢١٩.

لأهمّ ما جاء في باب الإدغام من مسائل التشكيل من غير تطرّق إلى أحكام الإدغام المبثوثة في كتب الصرف. وذكر سيبويه في موضع متقدّم على باب الإدغام «أنّ التضعيف (تكرار الحرف) يثقل على ألسنتهم، وأنّ اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون من موضع واحد.. وذلك لأنّه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد، ثم يعودوا إليه. فلما صار ذلك تعبًا عليهم أن يداركوا في موضع واحد، ولا تكون مهلةٌ، كرهوه، وأدغموا، لتكون رفعةٌ واحدةٌ، وكان أخفّ على ألسنتهم مما ذكرت لك»[٣٤]. وذكر كذلك كراهية توالي المتحركات، إذ كلّما توالت المتحركات كان الإدغام أحسن، ومما يدلّ على هذا الاستثقال أنّه لا يتوالى في تأليف الشعر خمسة أحرف متحركة[٣٥]. والعروض عند النحاة حاكم القسمة وميزان الكلام.

وعرض سيبويه بعد أن قدّم لباب الإدغام بخلاصة للدرس النظري للأصوات للإدغام في الحرفين المتماثلين، إن وردا في كلمتين، أي: وردا منفصلين، أمّا إدغام المتماثلين في كلمة واحدة فقد عرض له سابقًا. وليس هناك تعريف محدّد للإدغام لدى سيبويه على نحو ما عرف فيما بعد. وهو – كما يقول ابن السراج (ت٣١٦هـ) – وَصْلُكَ حرفًا ساكنًا بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد[٣٦]. والإدغام صوتيًّا هو النطق بصوتين من موضع واحد من غير مهلة أو فاصل بينهما. ويكون بنطق الأول من غير انفصال عن موضع النطق، ونطق الثاني من غير ابتداء من موضع النطق، لأنّ الأول سبقه إلى ذلك الابتداء، ثم ينفصل الثاني

(٣٤) الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤١٧.

(٣٥) المصدر نفسه، ٤/ ٤٣٧.

(٣٦) الأصول في النحو لابن السراج، ٣/ ٤٠٥، وانظر: شرح شافية ابن الحاجب للخضر اليزدي، ٢/ ٩٦٣ والحاشية رقم (٣) منه.

عن موضع النطق، ويغدوان كحرف واحد مشدّد. ويفسد الإدغام بالوقف على الحرف الأوّل، لأنّه بالوقف ينفصل عن موضع النطق[٣٧].

وعرض للإخفاء - اختلاس الحركة وإضعاف الصوت - بزنة المتحرّك. وذلك حين لا يجوز الإدغام. أما الإظهار والبيان فهما يدلّان على عدم الإدغام. وذكر مثالًا للإدغام، وهو يعني الإخفاء، لأنّ الإخفاء عنده ضرب من الإدغام (بمفهومه الواسع). وقد أُخذ عليه ذلك. وفسّره ابن جنّي بأنّ سيبويه لم يرد محض الإدغام، إنّما أراد الإخفاء، فتجوّز بذكر الإدغام، فلا يظنّ بسيبويه أنّه ممّن يتوجّه عليه هذا الغلط الفاحش. ولذلك ذكر آخرون أنّ الإخفاء نوع من الإدغام[٣٨]. وعرض للإخفاء في النون الساكنة خاصة، فذكر أنّ النون تكون حرفًا خفيًّا مع سائر حروف الفم. أما مع حروف الحلق فهي بيّنة، وذكر إدغام النون في الراء واللام والواو والياء بغنة وبغير غنة[٣٩]. وعدّ سيبويه النون الخفية فرعًا من الحروف المستحسنة، ثم جعل لها مخرجًا مستقلًّا[٤٠]. والنون الخفية في حدّ ذاتها غنّة محضة، أي: صدى يحدث في خرق الأنف المسمّى بالخياشيم، ولا يحدث معها اعتماد طرف اللسان على ما فويق الثنايا، كما هو الحال في النون غير الخفية. والنون الخفية في الوصف الحديث غُنّة تخالط صوت الحركة السابقة عليها، فتصير الحركة فتحة أو كسرة أو ضمة غنّاءَ، ويستمرّ الأثر إلى الحرف التالي للنون[٤١]. وهذا يفسّر إحساس الناطق أنّ

(٣٧) انظر: مجلة اللسانيات، العدد (٦)، لعام ١٩٨٢، ص١٨.

(٣٨) انظر: سرّ صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٥٨، والمحتسب لابن جني، ١/ ٦٢، والنكت للشنتمري، ٢/ ١٢٦٠-١٢٦١، والممتع لابن عصفور، ٢/ ٧٠٠-٧٠١، وشرح الشافية للأستراباذي، ٣/ ٢٨٠. وانظر الشاهد موضع الاختلاف في الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٥٠.

(٣٩) انظر: الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٥٣-٤٥٦.

(٤٠) المصدر نفسه، ٤/ ٤٣٢-٤٣٤.

(٤١) انظر: مجلة اللسانيات، العدد (٦)، لعام ١٩٨٢، ص١٢-١٣.

النون اقتربت من المخرج التالي لها اقترابًا كبيرًا. وذكر أيضًا إدغام لام المعرفة في ثلاثة عشر حرفًا لا يجوز معهنّ إلا الإدغام، ثم وقف على الإبدال والإدغام في وزن «افتعل»، ووزن «تفعّل»(٤٢).

وخصّص بابًا فرعيًّا لمضارعة الحرف للحرف إن كان من موضعه، أو ليس من موضعه. وهذه المضارعة وسط بين الإدغام والإبدال، إذ لم يصلوا إلى الإدغام، ولم يجسروا على الإبدال، نحو (مصْدر) فالصاد قلّ همسها قليلًا، وحدث فيها ضرب من الجهر بإشمامها زايًا(٤٣)؛ كما خصّص بابًا آخر لما دعاه بقلب السين صادًا في بعض اللغات، نحو قولهم: (صُقت) في (سقت) تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة. وكذلك تكون السين مع الخاء والغين لما فيهما من استعلاء، «أو لأنّها في التصعّد مثل القاف»(٤٤). وختم سيبويه باب الإدغام بباب فرعي عرض فيه لأمثلة في الحذف تخفيفًا، لكنه ليس بمطّرد(٤٥). هذا فضلًا عن بحثه في مسائل إدغام المثلين والمتقاربين، إن كانا في كلمتين، إذ ذكر أنواع الإدغام كالذي لا يدغم في مقاربه، ويدغم فيه مقاربه، ونحو ذلك تفصيلًا. واستوفى الحروف التي يقع فيها الإدغام بدءًا من حروف الحلق، ثم حروف الفم، ثم حروف طرف اللسان والثنايا. وتعرّض لمسائل أخرى كالقلب والإبدال والتسهيل، إضافة إلى ما ذكرناه آنفًا. ونثر سيبويه في تضاعيف باب الإدغام ملحوظات صوتية جمّة، ينبغي درسها وتصنيفها وربطها بما تقدّمها. فقد عرض لتحديد المخارج، وآليات نطق الحروف، كما عرض للصفات وشرحها من غير أن يظهر فرق ما بين ما قدّمه سابقًا في صدر باب الإدغام من درس

(٤٢) الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٥٧-٤٧٧.

(٤٣) المصدر نفسه، ٤/ ٤٧٧-٤٧٨، وانظر: سرّ صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٥٠-٥١.

(٤٤) الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٧٩-٤٨٠.

(٤٥) المصدر نفسه، ٤/ ٤٨١-٤٨٥، وانظر: سرّ صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ١٦٨.

نظري، وما يعرض له هنا في درسه التطبيقي[٤٦]. ويدلّ هذا على ضبط دقيق، وإحاطة قلّ نظيرها. وجعل هذا كلّه بحثه في الإدغام متماسكًا يفسّر بعضه بعضًا، مع صعوبته على غير المتمرّس فيه.

ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ مفهوم الإدغام عند سيبويه يشمل معظم ما يدخل في مسائل التغيير، وأنّ المسائل التي عرض لها ذات منشأ صوتي صرف، قد يقتصر فيها على الأثر الصوتي وحده، وقد يشمل البناء، على أنّ أغلبه ليس مؤثرًا في البناء. وابن جنّي في كتابيه «سرّ صناعة الإعراب»، و«التصريف الملوكي» لم يتعرض للإدغام في كلمتين، لأنّه ليس من أحوال البناء ذاته[٤٧]، واقتصر على بعض الإدغام، وهو إدغام بعض حروف الكلمة في بعض[٤٨]. وأدخل ابن جنّي هذا النوع من الإدغام في باب «التغيير بالحركة والسكون»، ولم يفرد له بابًا مستقلًّا[٤٩].

ولابن جنّي مذهب في الإدغام بسطه في كتابه «الخصائص»، إذ عقد بابًا سمّاه «الإدغام الأصغر»، وقسم الإدغام فيه إلى نوعين: أكبر، وأصغر. فالأكبر عنده أن يلتقي المثلان أو المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه، فتدغمه فيه. والمعنى الجامع لهذا كلّه تقريب

(٤٦) انظر: أصوات اللغة عند سيبويه لأحمد قدور، ص٦٤-٧١.

(٤٧) انظر: شرح الشافية للأستراباذي، ١/ ٥، وشرح الشافية للخضر اليزدي، ١/ ١٢٧، وألفية ابن مالك ص٧٩-٨٠.

(٤٨) تحقيقات في «التصريف الملوكي» لابن جني، لياسر تربه جي، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد (١٤٢) لعام ٢٠٢٠.

(٤٩) التصريف الملوكي لابن جني، ص٧١-٧٤. وكان ابن جني وعد في صدر الكتاب أن يعقد بابًا للإدغام، ولكنه لم يفعل، وألحق أمثلة الإدغام «بالتغيير بالحركة والسكون»، انظر ص٧ منه، وشرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، ص٤٥٠-٤٥٥.

صوت من صوت[٥٠]. ثم عرّف الإدغام الأصغر بأنّه تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه منه، من غير إدغام يكون هناك، وهو ضروب. من ذلك الإمالة، وإنما وقعت لتقريب الصوت من الصوت، ومنه أن تقع فاء (افتعل) صادًا أو ضادًا أو طاءً أو ظاءً فتقلب لها تاؤه طاء، نحو (اصطبر)، فهذا تقريب من غير إدغام. وقد يكون تقريبًا مع إدغام، نحو (اطّرد)، فإدغامه ورد هنا التقاطًا لا قصدًا، لأنّ فاءه طاء، فلما أبدلت تاؤه طاء صادفت الفاء طاء فوجب الإدغام. ومنه أن تقع فاء (افتعل) زايًا أو دالًا أو ذالًا، فتقلب تاؤه لها دالًا. فأما (ادّعى) فحديثه حديث (اطّرد). ومنه أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرّب منه بقلبها صادًا على ما هو مبيّن في موضعه من باب الإدغام. وذلك كقولهم في (سقت): (صقت)، وقولهم: (ستّ)، فأصلها (سدس)، فهذا تقريب لغير إدغام[٥١]. ومنه تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق، نحو: (شِعير)، و(بِعير)، و(رِغيف)، ومنه قولهم: (فعَل يفعَل) ممّا عينه أو لامه حرف حلقي، نحو: سَأَلَ يَسْأَلُ، وقَرَأَ يَقْرَأُ، لأنّهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق، لمّا كان موضعًا منه مخرج الألف التي منها الفتحة. ومنه تقريب الحرف من الحرف، نحو قولهم في مصدر: مزدر، وفي (التصدير): التزدير. فلما سكنت الصاد فضعفت به، وجاورت الصادُ، وهي مهموسة الدال، وهي مجهورة، قُرّبت منها بأن أُشمّت شيئًا من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر[٥٢]. وقد تقدّم لدى سيبويه. ومنه كذلك مررت بمذعُور،

(٥٠) الخصائص لابن جني، ٢/ ١٤٠

(٥١) الخصائص، ٢/ ١٤٣، وفيه: «من ذلك قولهم: ستّ، أصلها سِدْس، فقرّبوا السين من الدال بأن قلبوها تاء، فصارت سِدْت، فهذا تقريب لغير إدغام، ثمّ إنّهم فيما بعد أبدلوا الدال تاء لقربها منها، إرادة للإدغام الآن، فقالوا: سِتّ. فالتغيير الأوّل للتقريب من غير إدغام، والتغيير الثاني مقصود به الإدغام».

(٥٢) ذكره أيضًا في سرّ صناعة الإعراب، ١/ ٥٠-٥١، وذكره سيبويه في موضع متقدّم على باب الإدغام، ٤/ ١١٧.

وابن بُور، فهذا نحو من قِيل وغِيض لفظًا، وإن اختلفا طريقًا. والمراد إشمام الضمة شيئًا من الكسر لكسر الراء في مذعور وابن بور، وإشمام الكسرة شيئًا من الضمة في قِيل وغِيض. فالعمل صوتيًّا فيهما متشابه، لكنّ طريق الإشمامين مختلف(٥٣). وذكر ابن جني كذلك الإخفاء بمعنى إضعاف الحركة لتقرب بذلك من الساكن، نحو: حِيَ، وأُحيِيَ، فهذا وإن كان مخفًى بوزنه محرّكًا. ودعاهم طلب قرب الصوت إلى الإخلال بالإعراب، نحو: الحمدِ لِلّه. فهذا تقريب للصوت من الصوت من غير إدغام. على أنّ «ما هذه حالُهُ ممّا قرّب فيه الصوت من الصوت جارٍ مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب. وإنما احتطنا له بهذه السمة التي هي الإدغام الصغير، لأنّ في هذا إيذانًا بأنّ التقريب شامل للموضعين (أي: الإدغام المعروف، وتقريب الصوت من الصوت)، وأنّه هو المراد المبغيّ في الجهتين»(٥٤). وهناك إشارة مهمة في هذا الصدد، إذ ذكر سيبويه حين عرض للإمالة مثالَ (صدر)، فقال: «.. كما قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا: صدر، فجعلوها بين الزاي والصاد.. وبيان ذلك في الإدغام. فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يقرّب الحرف إلى الحرف قدر ذلك»(٥٥). فربّما أوحى هذا الكلام إلى ابن جنّي أن يدعو تلك المسائل بالإدغام الأصغر (أو الصغير)، وهو مما لم يصرّح به سيبويه، وإن كان أشعر بما يشبهه. وواضح أنّ ابن جنّي يتابع سيبويه في معظم

(٥٣) سرّ صناعة الإعراب، ١/ ٥٢-٥٣، وذكر سيبويه مثالًا في موضع متقدم على باب الإدغام، ٤/ ١٤٣. والفرق هو في نحو (بمذعور) أننا نبدأ بالضمة ثم ننحو بها باتجاه الكسر قبل تمامها. على حين أننا حين ننطق بـ (قِيل) مع إشمامها الضم، نبدأ بالكسرة ثم ننتقل إلى الضم قبل تمام الكسر. ولهذين الصوتين شبيه في الحركات المعيارية الثانوية. انظر بحث «الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية» لسمير شريف ستيتية، مجلة البلقاء بالأردن، ص١٤١-١٤٢.

(٥٤) الخصائص، ٢/ ١٤٥.

(٥٥) الكتاب لسيبويه، ٤/ ١١٧.

المسائل المدروسة، وقد تبيّن ذلك آنفًا.

ويمكن النظر إلى المسائل المتقدّمة كلّها على أنّها حلول صوتية لإشكالات تعترض الكلام نطقًا. وتأتي هذه الحلول لضمان سيلان الكلام واتساق أجزائه من غير عوائق تخلقها القواعد أو المجاورة في السياق. فالقواعد تطلب الاطّراد في كلّ حالة، لكنّ ذلك لا يتحقق دائمًا لأسباب ذكرنا معظمها فيما تقدّم. كذلك يتطلب السياق الاستعمالي أحيانًا حاجة إلى التغيير بضروب من التصرّف الضامن لأمن اللبس، والاقتصاد في بذل الجهد. وما زالت الحاجة ماسة إلى دراسة تلك المسائل دراسة صوتية خالصة، وإضافة نتائجها إلى «علم الأصوات» عند العرب المرجوّ إنشاؤه من جهود النحاة القدامى وغيرهم من العلماء الذين تعاطَوا الدرس الصوتي بأي شكل من الأشكال، ولا سيما علماء التجويد الذين أَولَوا الدراسة التطبيقية للأصوات اهتمامًا واسعًا، إذ يمكن إضافة أشياءَ اختصّوا بها إلى ما تقدّم ذكره من أمثلة.

٤- خاتمة وتعليق:

تبيّن فيما تقدّم أنّ درس هذه المسائل من الوجهة الصّوتيّة الخالصة يُلبّي حاجة ماسّة للباحث في الأصوات العربيّة؛ إذ ليس مقبولًا تركُها حيث هي مع مباحث الصّرف التي نَحَتْ نحوًا تعليميًّا خالصًا، اهتمّ باستخلاص الأحكام والقواعد التي تضبط الاستعمال، وتُعين على الدُّربة فيه، من غير التفات إلى عللها الصّوتية، ولا سيّما في المصادر التّعليمية المتأخرة. وقد أوحى ذلك إلى بعض الباحثين المُحدثين بأنّ تناول الصّرفيين لها خِلو من احتساب الجانب الصوتي، أو الانطلاق منه. وأدّى ذلك إلى جُملة من الأحكام المُتسرّعة، واصطناع البديل. ولا شكّ في أنّ استثمار هذه المسائل في الدّرس الصّوتي مع الرّجوع إلى المصادر المتقدّمة سيعود بالفائدة والتّوسّع

في معطيات هذا الدّرس، وسيُصحح الكثير من الآراء المُبتسرة التي اقترح بعضها منهجًا صوتيًّا غريبًا يلغي الإنجازات الكُبرى لعلمائنا القُدامى(٥٦).

وظهر في هذه المسائل من حيث المبدأ تنبُّه إلى الصّلة بين الصّوتيّات والصّرف، إذ عرف الأقدمون خلافًا لبعض المُحدثين تشابك العلاقة بين الأصوات والصرف والنّحو في إطار علميّ شبيه بالمنهج التّكاملي المُتسلسل والمُفسَّر تفسيرًا عميقًا كَشَف عن خصائص العربية وإمكاناتها التعبيرية الغنية. والغريب أنْ يذهب مَن يزعم أنّ شيخ النّحاة سيبويه لم يُدرك بوضوح مدى العلاقة بين الأصوات وعلمَي الصّرف والنّحو، بدليل أنّه لم يُفِد (كذا؟) الإفادة المرجوّة في استغلال نتائج البحث في هذه العلوم لخدمة بعضها لبعض(٥٧). وواضح ممّا تقدّم التّعميم الذي شاب كلامَ الدّكتور كمال بشر المُتقدِّم من بدايته، حين رأى أنّ علوم اللغة ليست على قدر مطلوب من التّكامل مُهمِلًا النّظر في تاريخ الدّرس اللغوي الذي اصطُلح عليه بالنّحو أو العربية. مع أنّ هذا الدّرس كان يتتبّع الظّواهر اللغويّة، ويربط بعضها ببعض عمليًّا كما دلّت المصنّفات المتقدِّمة. بل إنّ أي توسّع في فروع العربية أو النّحو لم يُؤخذ على أنّه انفصال لهذه الفروع بعضها عن بعض، ومصداق ذلك مُستفاد من آثارنا القديمة، وشواهده لا تُحصى؛ لأنّه السُّنَّةُ التي سار عليها التأليف المنهجي في علوم اللغة جُملةً وتفصيلًا. والله الموفّق إلى الصّواب.

* * *

(٥٦) المنهج الصوتي للبنية العربية لعبد الصبور شاهين، والتصريف العربي للطيب البكوش.
(٥٧) انظر: دراسات في علم اللغة لكمال بشر، ٢/ ٢٤، ٣٩.

المصادر والمراجع

الكتب:

- أصوات اللغة عند سيبويه لأحمد محمد قدور، دار نينوى، دمشق، ط. أولى، ٢٠١٩م.
- الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ثالثة، عام ١٩٨٨م.
- ألفية ابن مالك في النحو والصرف، مطبعة كرم ومكتبتها، دمشق، د.ت.
- بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها لأحمد محمد قدور، دار نينوى، دمشق، ط. أولى، ٢٠١٧م.
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للطيب البكوش، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله بتونس، ط. ثالثة، ١٩٩٢م.
- التصريف الملوكي لابن جني، عُني بتحقيقه محمد سعيد النعسان، طبع دار المعارف بدمشق، ط. ثانية، ١٩٧٠م.
- جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، المطبعة العصرية، صيدا، ط. العاشرة، ١٩٦٨م.
- الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، د.ت.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم قدوري الحمد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٦م.
- دراسات في علم الأصوات عند العرب لأحمد محمد قدور، دار الرفاعي ودار القلم العربي، حلب والقاهرة، ط. أولى ٢٠١٤م.

- دراسات في علم اللغة لكمال بشر، دار غريب بالقاهرة، ١٩٩٨م، ودار المعارف بمصر، ط. ثانية، ١٩٧١م (جزءان).
- دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر، توزيع عالم الكتب، القاهرة، ط. أولى، ١٩٧٦م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، توزيع دار الكتب العربية، دمشق، ١٩٧٣م.
- سرّ صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط. أولى ١٩٨٥م.
- شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط للخضر اليزدي، دراسة وتحقيق حسن أحمد العثمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط. أولى، ٢٠٠٨م.
- شرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي (رضي الدين المتوفى سنة ٦٨٨هـ)، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٦-١٣٥٨هـ.
- شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، ط. أولى ٢٠٠٨م (صورة من الشابكة).
- شرح الملوكي في التصريف، صنعة ابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الأوزاعي، بيروت، ط. ثانية، ١٩٨٨م.
- علم اللغة الاجتماعي، مدخل، لكمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط. ثالثة، ١٩٩٧م.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم (إيران)، ١٤٠٥هـ.
- اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط. ثانية، ١٩٧٩م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شبلي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الممتع في التصريف لابن عصفور، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط. أولى، ١٩٧٠م.
- مناهج البحث في اللغة لتمام حسان، دار الثقافة بالدار البيضاء، ١٩٧٩م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية لعبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- الموضح في التجويد للقرطبي، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان، ط. ثانية، ٢٠٠٩م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه للشنتمري، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، الكويت، ط. أولى، ١٩٨٧م.
- الوقف في العربية في ضوء اللسانيات لعبد البديع النيرباني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط. أولى، ٢٠٠٨م.

البحوث:

- «تحقيقات في (التصريف الملوكي) لابن جني» لياسر تربه جي، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد (١٤٢) لعام ٢٠٢٠م.
- «الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية» لسمير شريف

ستيتية، مجلة البلقاء، الأردن، للبحوث والدراسات، المجلد (٢)، العدد الأول، كانون الأول لعام ١٩٩٢م.

- «مسائل في مصطلحات التجويد لفضيلة الشيخ جلال الحنفي، والإجابة عنها»، لعبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، العدد (٦) لعام ١٩٨٢م، معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر.

* * *

عوامل النشاط الأدبي العربي الحديث في إيران

د. حسين مَرعشي(*)

1- المقدّمة

إنّ لإيران والإيرانيّين علاقةً قديمةً باللغة العربيّة وآدابها. وصارت هذه الرُّقعة مَوطنًا ثانيًا لها مُنذ أن دخلها العربُ سنة ٣١هـ.ق/ ٦٥٢م؛ بَيدَ أنّ الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة أثّرت في انتشار هذه اللغة وتقلُّصها في إيران. ففي العصر البُوَيهي (٣٢٧هـ.ق/ ٩٣٢م-٤٤٨هـ.ق/ ١٠٥٥م) بلغتِ اللغة العربيّة وآدابها ذروتَها في إيران، وذلك بفضل أدباء وشعراء موهوبين كثيرين وتشجيع المُلوك البُوَيهيّين لهم، ولكن بَدَت بعدَهم مَلامحُ الانحطاط في الأدب العربي في إيران، وذلك لأنّ الحُكمَ فيها أصبح بِيَد الأتراك، ابتداءً من السلاجقة (٤٢٨هـ.ق/ ١٠٣٧م-٥٤٧هـ.ق/ ١١٥٤م) وانتهاءً بالقاجار (١١٩٣هـ.ق/ ١٧٧٩م-١٣٤٤هـ.ق/ ١٩٢٥م).. وعندما ننظر إلى آراء مؤرّخي الأدب في الأدب العربي المعاصر، في إيران، لانجد اهتمامًا بالغًا لديهم في ذلك، كأنّهم يرون أنّ الأدب العربي فيها، في هذه المدّة، قد انحطّ أو زال. وهذا ما أشار إليه شوقي ضيف إذ قال: «وظلّ حُكمُ الدولة الصَّفَويّة في إيرانَ

(*) أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة شيراز.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ١٥/ ٩/ ٢٠٢١م

نحوَ مئة وأربعين عامًا، وخلّفَهم عليها الأفغانيّون، وجاءَ في إثرهم الأفشاريّون والزنديّون، وخلّفهم القاجاريّون في أواخر القرن الثاني عشر وظلّوا نحوَ مئة وثلاثين عامًا. وفي كلّ هذه الحِقَب، وخاصّةً مُنذ حُكم الصَّفَويّين، خمد النشاطُ الأدبي العربيُّ في إيرانَ خُمودًا تامًّا»[١]. ويرى عُمر فرّوخ أنّ سبب هذا الخمود يرجع إلى عدم اهتمام الملوك والفقهاء، إذ قال: «ولكنّ قيامَ الدولة الصَّفَويّة لم يكن موافقًا لنهضة الأدب إذ كان المُلوك والفقهاء، لايهتمّون بالشعر والشعراء»[٢]. ويرى أحد الباحثين الإيرانيّين المعاصرين «أنّ الشعر العربيّ في العَهد القاجاري قد تقلّص بشكل كبير...»[٣].

ولكنّنا لانتّفق مع هؤلاء المؤرّخين؛ لأنّنا نجد أعمالًا أدبيّةً كثيرة، نثرًا وشعرًا، أنتجَها الأدباء والشعراء المعاصرون، بدءًا من العَهد القاجاري إلى اليوم. ونجد أسماء هذه الكتب والآثار الأدبيّة ومؤلّفيها في فهارس المخطوطات والمطبوعات الإيرانيّة. وقد أسهم في ذلك عواملُ كثيرة سوف نحدّدها وندرسها في هذا البحث. وهذه الدراسة سوف توفّر أرضيّة مناسبة لدراسات مُستقبليّة تسلّط الضوء على جوانبَ متعدّدة من الأدب العربي المعاصر في إيران.

ولدراسة هذه الإشكاليّة سوف نعتمد المنهجَين التاريخي والاجتماعي، ومن شأنهما تحديد هذه العوامل التاريخيّة والاجتماعيّة والسياسيّة من خلال الكتب المتوفّرة لدينا.

ينقسم البحث الحالي إلى قسمَين رئيسَين. سنَستعرض في القسم الأوّل الدراساتِ السابقةَ والمصادرَ المتعلّقةَ بالموضوع، وفي القسم الثاني سوف

(١) شوقي ضيف، عصر الدُّوَل والإمارات، ص٤٩٧ و٤٩٨.

(٢) عمر فرّوخ، مَعالم الأدب العربي في العصر الحديث، ج٢، ص٤٠ و٤١.

(٣) ياسر خلفي، تاريخ أدبيات عرب دَر إيران، ج٢، ص٢.

نتطرّق إلى العوامل التي أسهمت في النشاط الأدبي العربي في إيران في بدايات العصر الحديث.

٢- الدراسات السابقة

سوف نسعى، قبل الكلام على موضوع بحثنا، إلى تعريف وتقويم موجَزَين بالدراسات السابقة والمصادر التي شكّلت الأساس الذي استند إليه البحث. وهي:

٢-١- عبدالرسول الغفاري (٢٠٠٥)، يحاول في بحثه أن يقدّم لنا صورة واضحة عن الشعر العربي الحديث في إيران من خلال تعريف بعض شعرائها وأعمالهم الشعريّة. ويؤكّد الباحث دَور الشعراء العراقيّين في شعر الشعراء الإيرانيّين، ويُشير إلى صلات عديدة تربط الشعراء الإيرانيّين بشعراء النجف وكربلاء وبغداد.

٢-٢- نصرالله شامِلي وحَميد باقري دِهبارِز (٢٠١٥)، اهتمّا بالشعر العربي المعاصر في إيران منذ القرن الرابع عشر؛ أي: أواخر حُكم ناصرالدين القاجاري (المتوفّى ١٣١٣هـ.ق). حتّى اليوم. ولا يقدّم الباحثان سببًا لاختيار القرن الرابع عشر بداية للعصر المعاصر.

٢-٣- جعفر رحمن زادِه صُوفياني (٢٠١٥)، تناولَ الشعراء الذين وفدوا إلى العتبات المقدسة في العراق للدراسة في مدارسها الدينيّة العريقة. وكلّهم من أصول تركيّة، ومعظمهم من شعراء القرنَين الثالث عشر والرابع عشر الهجريَّين.

٢-٤- شُعلة ظهيري (٢٠١٧)، اهتمّت في كتابها بالأدب العربي في كردستان إيران والعراق، وذكرت أدباء وشعراء كردستان إيران في العصر الحديث (العهد القاجاري والبَهلَوي).

٢-٥- حسين مَرعشي (٢٠١٧)، درس موضوع الشعر العربي في العَهد القاجاري من خلال كُتب عبرت النائيني من مؤرّخي الأدب في هذا العصر. يقول الباحث في نتائج بحثه: « نُلاحظ في هذه الفَترة وجودَ غَرَضَينِ جديدَينِ لم يكونا موجودَين في القُرون الماضية أو حَظِيا باهتمامٍ أقلّ مِن قِبَلِ الشعراء: يتمثّل أحدُهما في مدح المهدي المنتظر، و قد حَظِيَ بشَعبيّة خاصّة في عَهد ناصرالدين شاه. وقد أدّى ظهورُ علي محمّد باب دَورًا مهمًّا في انتشار هذا النوع من الشعر. أمّا الغرضُ الآخر الذي لم يكنْ موجودًا قَبلَ العَهد القاجاري؛ أي: في العصر الصَّفَوي والأفشاري والزندي، فهو مدحُ السياسيّين، وخاصّةً ناصرالدين شاه ووُزرائه وكِبار المسؤولين في عَهده.»

٢-٦- حسين مَرعشي (٢٠١٩)، جمعَ في بحثه شعراء العربيّة في ميناء لِنجَة على الساحل الشمالي الشرقي للخليج الفارسي(*)، وهم عشرون شاعرًا مُعظمهم من العرب السّنّة، وكان لديهم علاقاتٌ ودّيّةٌ مع أقربائهم وأصدقائهم في دُوَل الخليج العربيّة.

٢-٧- أيّوب خوشي (٢٠٢٠)، درسَ في رسالته شعراء العربيّة في منطقة لِنجَة، وأضاف شعراءَ إلى الشعراء الذين ذكرهم مَرعشي في بحثه، وتناولَ الموضوعاتِ الواردةَ في أشعارهم.

٢-٨- ياسر خلفي (٢٠٢١)، قام في تاريخة الذي نشره في ثلاث مجلّدات بجمع عدد كبير من الشعراء الإيرانيّين منذ البَدء حتّى العصر المعاصر. وخصّ المجلّدَ الثاني وقسمًا من المجلّد الثالث بالشعراء الإيرانيّين في العصر الحديث، وأورد حياتهم بصورة موجَزَة ونقلَ نموذجًا من شعرهم. يرى الباحث أنّ الشعر العربي في العَهد القاجاري قد تقلّص نسبةً إلى العصور السابقة. وفي نفس الوقت يذكر الباحث عددًا كثيرًا من الشعراء في هذه المدّة.

(*) الخليج العربي: التسمية المعتمدة في البلاد العربية. [المجلة].

ومن خلال هذا العرض المختصر يمكن الإشارة إلى النتائج التالية:

- قلّما اهتمّ هؤلاء الباحثون بدراسة العوامل التي أدّت إلى انتشار اللغة العربيّة وآدابها في العصر الحديث، وكان جُلّ اهتمامهم أن يذكروا حياة عدد من الأدباء والشعراء مع نقل نماذج من أعمالهم الأدبيّة والشعريّة.

- وكان اهتمامهم بالشعر أكثر من النثر بكثير، ونحن نعرف أنّ هناك نصوصًا نثريّةً عربيّة لأدباء إيران في العصر الحديث.

وقبل أن ننتقل إلى الفقرة التالية يجب أن نقول: إنّ هناك دراسات وأبحاثًا عن الأدب العربي في خوزستان قام بها أبناء هذه المنطقة العربيّة، إلّا أنّها لاتختلف كثيرًا عمّا ذكرناه عن الدراسات السابقة، ولانجد فيها دراسة درست موضوعَ عوامل النشاط الأدبي العربي في إيران في العصر الحديث دراسة وافية.

٣- العوامل المؤثّرة في النشاط الأدبي العربي الحديث في إيران:

بعد أن درسنا الدراسات السابقة وعرفنا المصادر المهمّة المتعلّقة بالموضوع آن الأوان أن ندرس العوامل المؤثّرة في النشاط الأدبي العربي الحديث في إيران. نقسّم هذه العوامل إلى قسمَين: عوامل مشتركة مع سائر البُلدان، وعوامل خاصّة بها.

٣-١- العوامل المشتركة:

من المعروف أنّ الأدب العربي الحديث يبدأ من قُدوم الحملة الفرنسيّة ودُخول نابليون مصر في عام ١٧٩٨م/ ١٢١٣هـ.ق وإذا قارنّا بين عوامل النهضة الأدبيّة العربيّة في إيران وسائر البُلدان العربيّة عُمومًا، ومصر خاصّة، طوالَ هذه الفترة، فسنرى أنّها تشترك، في بعض هذه العوامل، وهذه الدُّوَل، وهي:

٣-١-١- إيجاد المطابع: «عُرفت المطبعة في أوربا منذ القرن الخامس

عشر، وطَبع الأوربيّون بها الكتبَ العربيّةَ أو أخذوا يَطبعونها بها منذ القرن السادس عشر، وعنهم نقلتها تركيا في القرن السابع عشر كما نقلتها سورية في القرن الثامن عشر. أمّا مصر فظلّت لاتعرفها، حتّى كانت حملة نابليون، فنقلتها إليها واستخدمتها في منشوراتها»[٤]. وتأسّست أُولى المطابع بالحرف العربي على الحرف المتحرّك، وبقيت مطبوعاتها اليوم، سنة ١٢٢٧هـ.ق [١٨١٢م.] في تبريز[٥]، أي: أربعة عشر عامًا بعد تأسيس المطبعة العربيّة في مصر. وأنشأ الميرزا صالح التبريزي أوّل مطبعة حَجَريّة بالحرف العربي في تبريز، عام ١٢٥٠هـ.ق/ ١٨٣٥م[٦]. وأُنشئت، بعد ذلك، مطابعُ حَجَريّة أخرى في طهران وسائر المدن الإيرانيّة، وكانت هذه المَطابع تَنشر كتبًا نحويّةً وبلاغيّةً وأدبيّة، تراثيّة وغير تراثيّة، باللغة العربيّة. وفي فَهرس هادي هاشميان للمطبوعات الحجريّة في مَطابع تبريز، كتب في اللغة العربيّة وآدابها، وهي:

- تحفة المهدويّة (كذا)، ديوان المعصومين؛ محمّدعلي التبريزي المعروف بالمدرّس (المتوفّى ١٣٧٣هـ.ق).

- الحدائق النديّة في شرح الفوائد الصمديّة، السيّد علي خان المدني (المتوفّى ١٠٢٠هـ.ق).

- ديوان عليّ بن أبي طالب.

- ديوان مجنون ليلى.

- رسالة في المشتقّات، محسن التبريزي (١٣٥٢هـ.ق).

- السامي في الأسامي، الميداني النيسابوري (المتوفّى ٥١٨هـ.ق).

---

(٤) شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ٣٠.

(٥) هوشنگ دانشور، صنعت چاپ، ص١٧.

(٦) م.ن.، ص ١٨.

- شرح الشافية، رضي الدين الأستراباذي (المتوفّى ٦٨٧هـ.ق).
- شرح شافية أبي فراس في مناقب آل الرسول ومثالب بني العبّاس، محمّد بن أمير الحاج الحسيني (كان حيًّا ١١٧٣هـ.ق).
- شرح حاشية البهجة المرضية في شرح الألفيّة، أبوطالب الأصفهاني (المتوفّى ١٢٣٧هـ.ق).
- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب في علم النحو والإعراب، رضي الدين الأستراباذي (٦٨٧هـ.ق).
- شرح شواهد التصريف، نظام الدين الأردبيلي (من أعلام أواخر القرن الثالث عشر).
- شرح قصيدة النابغة الذبياني، محمّدعلي القراجه داغي (من أعلام أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر).
- شرح قصيدة عبدالباقي الأفندي في مدح الرضا، كاظم الرشتي (١٢٩٥هـ.ق).
- شرح النموذج، نظام الدين الأردبيلي (المتوفّى ٦٤٧هـ.ق).
- شواهد السيوطي، أحمد الموسوي الخياباني (؟)
- الصمديّة في النحو، الشيخ بهاء الدين العامِلي (١٠٣٠هـ.ق).
- ضرام السقط في شرح السقط، القاسم الخوارزمي (المتوفّى ٦١٧هـ.ق).
- الطلعة الوضيّة في مبادئ علم العربيّة، جعفر جوان (المتوفّى ١٣٣٥هـ.ق).
- العوامل المنظومة (في النحو)، محمّد بن مالك الشفيعي (؟)
- الفوائد الضيائيّة في حلّ مُشكلات الكافية، ابن الحاجب (٦٤٦هـ.ق)(*).
- الألفيّة في النحو، ابن مالك (المتوفّى ٦٧٢هـ.ق).

(*) هذا الكتاب لعبد الرحمن الجامي (ت٨٩٨هـ)، شرح به الكافية لابن الحاجب = [المجلة].

- القاموس المحيط، الفيروزآبادي (٨١٧هـ.ق).
- مجموعة قصائد، علي بن عبدالله العلياري (المتوفّى ١٣٢٧هـ.ق).
- شرح قصيدة السيّد الحميري، محمّدرضا القراجه داغي (من أعلام أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر)
- القصيدة الحبسيّة الإشكنوانيّة، عميدالدين أسعد بن نصر الأنصاري الفالي (المتوفّى ٦٢٤هـ.ق).
- لاميّة الأفعال في الصرف، عبدالرحمن الأخضري (المتوفّى ٩٨٣هـ.ق).
- مجمع البحرين ومطلع النّيّرَين، فخرالدين الطريحي (المتوفّى ١٠٨٥هـ.ق).
- مدارج القرّاء، همام جرجيس (المتوفّى ١٩٢١م).
- المطوّل، التفتازاني (المتوفّى ٧٩١هـ.ق).
- المعلّقات السبع.
- المقالات التوحيديّة في الأصول الخمسة (أرجوزة)، محمود الدصولي الخوئي (١٣١٤هـ.ق).
- من الدروس النحويّة، حفني أفندي ناصف، محمّد أفندي دياب، مصطفى طموم.
- المنتخب في جمع المراثي والخُطب، فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ.ق).
- منظومة بحر العلوم، محمّدمهدي بحر العلوم (١٢١٢هـ.ق).
- النجمة الدريّة في تعليم اللغة العربيّة لأبناء الأمّة الفارسيّة، أحمد الكِسرَوي (المتوفّى ١٣٦٥هـ.ق).
- النموذج، الزمخشري (المتوفّى ٥٣٨هـ.ق).
- نموذج الصرف، محسن التبريزي (١٣٥٢هـ.ق).

٣-١-٢- السفر أو الهجرة المكثّفة إلى الخارج: إذا أُرسلت البِعثاتُ

العِلميّة المصريّة، في بدايات العصر الحديث، إلى أوروبا للاطّلاع على الحضارة الجديدة والآداب الأوربيّة، وقد هيّأ ذلك «لجوّ من المناقشات الفكريّة والأدبيّة، أنارت العُقول، وشحذت الأذهان، وحفزت الهِمم إلى إعادة النظر في الواقع»[٧] = فقد وفدَ كثيرٌ من الإيرانيّين الشيعة إلى العتبات المقدّسة في العراق للدراسة في المدارس الدينيّة الشيعيّة فيها. فقد تعلّمَ هؤلاء اللغةَ العربيّة في النجف الأشرف وكربلاء وسامرّاء، بعد أن كانوا يتعلّمونها، عُمومًا، في المدارس الدينيّة التي أرسى قواعدَها العلماءُ العامِليّون في العصر الصَّفَوي في أصفهان، وفي المدُن الإيرانيّة الأخرى. وقد سافرَ عدد من الأدباء السُّنّة إلى العراق والحجاز ومصر لدراسة العلوم الدينيّة في المدارس الدينيّة السُّنّية، مثل الأزهر الشريف. وقد تعلّم كلا الفريقَين اللغةَ العربيّة في هذه البيئات العربيّة. ويُعَدّ السفرُ إلى البُلدان العربيّة أهمّ عامِل لتنمية اللغة العربيّة وآدابها في إيران إذ كان يشترك كثير من هؤلاء الأدباء والشعراء في المجالس الأدبيّة في هذه البُلدان العربيّة، وكان لكثير منهم صداقات ومراسلات شعريّة بينهم وبين الشعراء العرب في هذه البُلدان. وفي هذا الخصوص يمكن الإشارة إلى المراسلات الشعريّة بين أبوالفضل الطهراني (المتوفّى ١٣١٦هـ.ق/ ١٨٩٨م) وحيدر الحلّي (المتوفّى ١٣٠٤هـ.ق/ ١٨٨٧م). وقد وردت هذه المراسلات في ديوانهما. «وكان للعلاقة المستمرّة مع شعراء العراق الكبار أثرٌ كبير في ازدهار الشعر العربي بين العلماء والأدباء الإيرانيّين المقيمين في هذا البلد»[٨].

٣-١-٣- إنشاء الصحف والمجلات: ومن أهمّ آثار المطبعة في مصر وإيران، بجانب إذاعة الكتب ونشرها بطريقة سهلة، إصدارُ الصحف

(٧) إبراهيم السعافين، مدرسة الإحياء والتراث، ص٣٨.

(٨) ياسر خلفي، تاريخ أدبيات عرب دَر إيران، ص٢.

وإذاعتها في طبقات الشعب المختلفة. وكانت تَنشر هذه الصحف والجرائد نصوصًا إبداعيّة عربيّة أو ترجمتها. وفي هذا الخصوص يمكن الإشارة إلى مجلّة **بَهار** التي أنشأها الميرزا يوسف خان اعتصام المُلك (المتوفّى ١٣١٦هـ.ق): والد الشاعرة بَروين الاعتصامي في تبريز. يُعَدّ اعتصام المُلك من المترجمين المعروفين في العَهد القاجاري، وتَرجم كثيرًا من النصوص الأدبيّة العربيّة، ونشرها في هذه المجلّة[٩]. وقد نُشر في المجلّة أعمال شعريّة عربيّة لأحمد صافي النجفي (المتوفّى ١٩٧٧م) وترجمتها. وقد نَشرت مجلّات إيرانيّة أخرى، في هذا العصر، أشعار صافي النجفي[١٠].

٣-٢- العوامل الخاصّة بإيران

إنّ للنشاط الأدبي العربي في إيران عواملَ تخصّها، وهي:

٣-٢-١- الحضور العربي للمسلمين السُّنّة: اختفى الحضور السُّنّي العربي في العصر الصَّفَوي بسبب تعرّضهم للاضطهاد المذهبي في الدولة الصَّفَويّة لترسيخ المذهب الشيعي الإمامي في إيران، إذ غادركثير من العلماء السنّة إيرانَ إلى البُلدان الأخرى، وعلى سبيل المثال هاجر العلماء الأكراد إلى الدولة العُثمانيّة، وما ورد في كتاب **الشقائق النعمانيّة** من أسماء وافدين إلى الدولة العُثمانيّة من هؤلاء العلماء تأكيد لهذا الأمر. إلّا أنّنا نجد في العهد القاجاري أدباء وشعراء سُنّة، في إقليم كُردستان[١١]، وفي منطقة لِنجَة[١٢]؛

(٩) ناصر محسني نيا ورضا ميرزايي، بررسى جايگاه وخدمات ميرزا يوسف خان اعتصام المُلك (اعتصامى) به دو أدب فارسى وعربى، ص٢٠١.

(١٠) خليل برهومي، أحمد الصافي النجفي شاعر الغربة والألم، ص٢١.

(١١) يُراجَع: شُعلة ظهيري، تحليل سير تحوّل أدب عربي دَر كردستان.

(١٢) يُراجَع: حسين مَرعشي، شعراء العربيّة بِلِنجَة في العصر الحديث وانتماءاتهم الفكريّة والعَقَديّة.

وفي إقليم بلوشستان أيضًا[١٣]، لهم نشاطٌ أدبي وشعري عربي في منطقتهم. وإنّ أكثر هؤلاء كما قُلنا تعلّموا اللغة العربيّة في المدارس الدينيّة السنّيّة في البُلدان العربيّة.

٣-٢-٢- تشجيع الأدباء والشعراء مِن قِبل البلاط: «إنّ الشعر السياسي غرضٌ جديد في الشعر العربي في تلك الفترة، فلا عهدَ لنا به في العُصور الماضية ما قبل القاجار (الصَّفَويّة، الأفشارية والزنديّة)»[١٤]. وإنّ للمديح في هذا الغرض نصيبَ الأسد. ونَعنِي بالمديح السياسي مدحَ السلاطين والوزراء والأمراء ووُلاة الأقاليم والقادة العسكريّين، شعرًا ونثرًا. وأصبح المديح السلطاني غرضًا شائعًا في هذا العهد إذ أنشد شعراء إيرانيّون كثيرون، وشعراء من البُلدان الأخرى مثل العراق والكويت ولبنان ومصر، قصائدَ عربيّة كثيرة في مدح السلطان القاجاري[١٥].

وكان القاجاريّون يشجّعون الشعراء، وأحيانًا الأدباء، ليمدحوهم، وذلك لأسباب أهمّها أنّ القاجاريّين، خلافًا للصَّفَويّين، لم يَعُدّوا أنفسَهم صوفيّين، ولم ينسبوا أنفسَهم إلى الرسول محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلم يكن الشيعة الإيرانيّون ينظرون إليهم كما كانوا ينظرون إلى الصَّفَويّين ويحترمونهم باعتبارهم مَن أسّسوا الدولةَ الشيعيّة الوحيدة في العالم. إذن، للحصول على المظهر المقبول أقبلَ القاجاريّون إلى عدّة أمور، منها استعمال الأدب والشعر وسيلة دِعائيّة في خدمة سلطتهم وضدّ خصومهم السياسيّين. وكان هؤلاء، والسلطان القاجاري خاصّة، مركزًا خصبًا لمدح

(١٣) لا نعرف شيئًا كثيرًا عن الأدب العربي الحديث والمعاصر في هذه المنطقة.

(١٤) حسين مَرعشي، عِبرت نائيني والشعر العَرَبي في عَصر القاجار (١٩٢٥-١٧٩٤)، ج٤ ، ص٣١٨.

(١٥) مدحَ بعضُ الشعراء الإيرانيّين، في العَهد القاجاري، السلطان عبدالحميد العُثماني.

الشعراء طلبًا لعطاياهم والتقرّب منهم.

وخير دليل على ذلك ما نجده في **مجموعة أعمال الأديب الكَرْمْرُودي الأذربيجاني**، من شعراء النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر الهجري، من جوائزَ نقديّة قدّمها إليه السلطان محمّد القاجاري (المتوفّى ١٢٦٤هـ.ق)[١٦]. أو جوائز ومنصبًا في البلاط القاجاري أعطاها إيّاه السلطان ناصرالدين القاجاري[١٧]. ولم يكن السلطان القاجاري غريبًا على اللغة والأدب وفهم الشعر العربي، وكان يتعلّم هذه الأمور أيّام ولاية عهده، وكان ناصرالدين القاجاري حافظًا لألفيّة ابن مالك، وهو في السادسة عشرة من عُمره[١٨]. وقال هذا السلطان عن شعر الأديب الكَرْمْرُودي بعد أن اطّلع على القصيدة التي أنشدها الشاعر في مدحه: «إنّه [الأديب الكَرْمْرُودي] فاقَ العربَ العرباء، ففخرًا لنا الأعاجم إذ طلعَ منّا مَن يَفوقُها»[١٩].

---

(١٦) محمّد حسين الكرْمْرُودي، مجموعة الأعمال، ب/ ٢٦.

(١٧) م.ن، أ/ ١١.

(١٨) محمّد هاشم الخراساني، مُنتخب التواريخ، ص٨٧٠.

(١٩) محمّد حسين الكرْمْرُودي، مجموعة الأعمال، أ/ ١١. وقصيدة الشاعر في مدح السلطان القاجاري مؤلفة من ستّةٍ وأربعين بيتًا، وهذه أبيات منها:

جاء البشير بأنباء فأحيانا ... والنفس تحيا من الأنباء أحيانا
يا نضرةً وسرورًا للبشير فقد ... أهدى لأنفسنا روحًا ورَيحانا
عن السعادة والإقبال نبّأنا ... وبالكرامة والإفضال حيّانا
فكلّ الذي قد ترجّيناه بشّرنا ... ومثل ما قد تمنّيناه منّانا
أتى فأخبرَنا عن كلّ أُمنية ... بها تُعلّلنا الأيّامُ أزمانا
عن دولةٍ أقبلت، عن رحمة وسعت ... عن نعمة أسدلت، عن مقصد حانا
عن طلعة البدر يا أجمل بها بلجا ... عن ليلة القدر يا أعظم بها شانا
عن السماء عن الشمس المضيئة عن ... ظلّ الإله فتمّ القول تبيانا =

وكانت حاشية السلطان تضمّ بين ظهرانَيها رجالًا يعرفون العربيّة ويُشجّعون الشعراء لكي يُنشدوا قصائدَهم في مدحهم، باللغتَين الفارسيّة والعربيّة. وفي هذا الخصوص، يمكن الإشارة إلى الميرزا آقا خان النوري (المتوفّى ١٢٨١هـ.ق): الصدر الأعظم في عهد السلطان ناصرالدين القاجاري، وقد أمر الميرزا طاهرَ الأصفهاني (المتوفّى ١٢٧٤هـ.ق) أن يجمع الأشعار الفارسيّة والعربيّة التي أنشدها الشعراء في مدحه. ويمكن أيضًا أن نُشير إلى تذكرة **مدايح مؤيّديّة**، وهي مجموعة فارسيّة وعربيّة، شعرًا ونثرًا، في مدح الأمير طهماسْب ميرزا مؤيّد الدولة (المتوفّى ١٢٩٧هـ.ق) جمعها إسحاق الشيرازي النَّيريزي (كان حيًّا: ١٢٨٠هـ.ق)[٢٠]..

= عن ناصرالدين لازالت عساكرُه تعلو بشوكتها كسرى وخاقانا
أَوفَى المُلوك وأنداهم وأسمحُهم يدًا وأقدمهم عزًّا وسلطانا
أبهى السلاطين أسناهم وأرفعهم شأنًا وأقدمهم عزًّا وسلطانا
سلطان عزّ بدت للدهر شوكتُه فجاءه الدهرُ مِطواعًا ومِذعانا
ملكٌ عطوفتُه بالقُرب تأمرنا لكن مهابتُه تبدو فتَنهانا

(٢٠) وهذه رسالة إخوانيّة كتبها إسحاق الشيرازي النَّيريزي للأمير طهماسب ميرزا مؤيّد الدولة (ت١٢٩٧هـ.ق) والي شيراز يُهَنّئُه بالعيد: (الشيرازي النَّيريزي، مدايح مؤيّديّة، ص ٣٧-٣٤)

فديتُك يا مَن جَلّ عن وصف واصفٍ سَما بك قدرٌ فاقَ في فرق فرقدِ

كتابي – أطال اللهُ بقاءَ الأمير المؤيَّد والملك الأمجد – وأنا أقرعُ سنّ الكآبة والأسى، وأرتعُ في روض الأسف والنوى، زياد الشوق والشكوى، وأغصّ بالشجو والشَّجَى، وأشرق بِجُرَع المرارة والجَوى، من شُسوع الدار، وبُعد المزار، ورُكوب الأخطار، والتنائي عن تلك الحضرة الرفيعة، والسدّة السنيّة، وأفول النجوم الطالعة، وغروب الشموس الساطعة، والحرمان من التشرّف بهاتيك المغاني السامية، والمَعالم العالية، ولواعج زفرات الأشواق، وتأجُّج جمرات الأتواق، واصطدام نوائر الفراق عن تلثيم تلك الأعتاب، وتعفير تلك الأبواب، وفقدان البضاعة، وتعذّر الاستطاعة، عن نيل =

= حُظوظ الخدمة، والأصول برغائب الصحبة، واقتطاف ثمرات البهجة والسرور، والاستضاءة بأنوار القُرب والحضور.

أمّا بعد،

فأسعدَكم الله بهذا العيد الحاضر، والفضل الزائر، سعادةً واقعةً بأيمن طائر، مستقرّةَ المقام، كاملةَ التمام، كافلةً بالدوام، ضامنةً للعُمر التراقي، والبقاء المتمادي، والجدّ الصاعد، والحظّ الزائد، والعزّ الناصر، والإقبال المتناصر. ولا أخلاك في كلّ يومٍ وارد، وشهرٍ وافد، من النصر المبين، والفتح المكين، وعلوّ القدر، وسموّ الذكر، ونفوذ الأمر، وتظاهُر العزّ، وتطاوُل العُمر، وسُبوغ النِعَمِ ودُرور موادّها، وشُمول المِنَح واتّصالِ إمدادها، وطلوع سعدٍ غير آفل، وصعود جدّ غير نازل، راقيًا من المجد أعلى قِمَمِه، وعالِقًا من السؤدد بأوفَى ذِمَمِه، حتّى تكونَ السعادةُ راهنةً بفنائكم من غير انتقال، ومُقيمةً في داركم من غير ارتحال، جاريةً على الأيّام من غير انقطاع، ولازال ظلّكم على الدهر ممدودًا، وفضلكم موروداً، وقولُكم مسموعًا، وأمرُكم متبوعًا، وشملُكم مجموعًا.

وأمّا حالُ العبد في غيبتكم المتطاولة، وهجرتكم المتصاولة، فالله الله من هذا الدهر الغَشوم، والزمان الظلوم، وسوء صنيعه المشؤوم، فقد شَنّ عليَّ الغارات، وأخذ منّي الثارات، وكم قاسيتُ منه جُرَعَ الأحزان، واحتسيتُ منه مَضَضَ الأشجان، وتركني في نبات طمار، وبؤسٍ وضرار، وفقدان الأعوان والأنصار!، إذ أمطرَ عليَّ حجارةً من النوائب، وأرسلَ عليَّ حاصبًا من المصائب، وسَدَّدَ نحوي سِهامَ المحاذر، وصيّرَني غرضًا للزواجر، وسامَني الذُّلَّ والهوان، وباءَ بالضغن والشنآن، وأرهفَ لي ظُبى القوارح، وشحذَ لي حُمَةَ الطوائح، وأذاقني سُمومَ الهلكات، وألقاني في مَهاوي الورطات، ومَغاوي الغمرات، وانتهك منّي الحُرُمات، وطارَدَني في حلبة الشدائد، وناضلَني بأرماح المكائد، وجعل عرضي غرضًا لسِهامِ المَنون، وقلبي درّيّةً لرِماح الظنون، وساورَني مُساورةَ السُّموم القاتلة، وجرّعَني زُعاقَ المرارات الهائلة.

ونسألُ اللهَ - تعالى - أن يفرّجَ همّنا، وينفّسَ غمّنا، ويجمعَ الشملَ بعد شتاته، ويصلَ الحبلَ بعد بتاته، ويجبرَ العظمَ بعد انكساره، ويلمَّ الشعث بعد اكفهراره، ويُقِرَّ عُيونَنا بطلعتكم البيضاء، وغرّتكم الغرّاء، ولقائكم الميمون، وروائكم المخزون، وتعويض الشدّة بالرخاء، والضرّاء بالسرّاء، والتخلّص من الرجاء، ويبشّرَنا بتجديد دولتكم السعيدة، ويسرَّنا برجعتكم الحميدة، ويعجّلَنا بالفرج، ويسهّلَ علينا المخرج، ويَهَبَنا برحمته فرجًا هنيئًا، وبكرمه مخرجًا وحِيًّا، ويبرّدَ غلّتَنا، ويشفي علّتَنا، بحُسن =

ولا شكّ أنّ الممدوحَين كانا يفهمانِ هذه النصوص الشعريّة والنثريّة العربيّةَ الواردةَ في هاتَين المجموعتَين، ولا شكّ أيضًا أنّ الذين وردت أشعارُهم ونُصوصُهم النثريّة فيهما أخذوا جوائزَ ومبالغَ ماليّةً إزاءَ هذه الأشعار والنصوص.

النتائج:

وقد توصّلنا في هذا البحث إلى النتائج التالية:

١- عوامل النشاط الأدبي العربي الحديث في إيران المشتركة مع مثيلاتها في سائر البُلدان هي: إيجاد المطابع ونشر الكتب الأدبيّة واللغويّة والبلاغيّة في هذه المطابع، والسفر أو الهجرة المكثّفة إلى الخارج والدراسة في المدارس الدينيّة في البُلدان العربيّة، وإنشاء الصحف والمجلّات ونشر الأعمال الأدبيّة العربيّة فيها.

٢- عوامل النشاط الأدبي العربي الحديث في إيران خاصّة هي: الحضور العربي للمسلمين السُّنّة بعد غياب دام نحو ثلاثة قرون، وتشجيع الأدباء والشعراء مِن قِبل بلاط القاجار.

* * *

= التقدير، وتيسير العسير، ويفلّ عنّا حدّ النوائب، ويكسر عنّا سورةَ المصائب، إنّه يُجيب كلّ مسؤول، ويُسعف كلّ مأمول، وبيده إصلاح الأمور، وتبديل الغمّ بالسرور، والمعسور بالميسور.

الباقي دوام عزّكم، وبقاء مجدكم.

كتبه ربيبُ دولتكم، وغذيُّ نعمتكم إسحاق بن أحمد في شهر شوّال المكرّم.

المصادر والمراجع

- إبراهيم السعافين – مدرسة الإحياء والتراث: دراسة الشعر العربي القديم على مدرسة الإحياء في مصر – دار الأندلس بيروت – د.ت.
- إسحاق الشيرازي النَّيريزي – مدايح مؤيّديّة – المكتبة المركزيّة لجامعة طهران – المخطوطة ٢٦٣٧.
- أيّوب خوشي – الشعر العربي الحديث في لِنجَة: دراسة نقديّة في أعلامه وموضوعاته – جامعة شيراز: رسالة ماجستير – ٢٠٢٠م.
- جعفر رحمن زادِه صُوفياني – عربي سُرايان آذَري زَبان: پَژُوهِشي دَر عربي سُرايانِ آذري زبان مرتبط با كشور عراق – مجمع الذخائر الإسلاميّة قُم – ١٣٩٣ش./ ٢٠١٥م.
- حسين مَرعشي – شعراء العربيّة بِلِنجَة في العصر الحديث وانتماءاتهم الفكريّة والعَقَديّة – مجلّة المشرق بيروت – ٢٠١٩م.
- حسين مَرعشي – عبرت نائيني والشعر العربي في عصر القاجار – في: مجموعه مقالات همايش بين المللي نقش وجايگاه عربي نويسان عربي سُرايان إيرانى در رشد و شكوفايي فرهنگ وتمدّن إسلامي – جامعة شيراز – ١٣٩٦ش. [٢٠١٧م.].
- خليل برهومي – أحمد الصافي النجفي شاعر الغربة والألم – دار الكتب العلميّة بيروت – ١٩٩٣م.
- شعلة ظهيري – تحليلِ سيرِ تحوّلِ ادب عربي در كردستان نشر إحسان طهران – ١٣٩٥ش. [٢٠١٦م.].

- شوقي ضيف – الأدب العربي المعاصر في مصر – دار المعارف القاهرة – الطبعة العاشرة ١٩٩٢م.
- شوقي ضيف - عصر الدُّوَل والإمارات – دار المعارف القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٩٨م. (سلسلة تاريخ الأدب، ٥).
- عبد الرسول الغفّاري - نبوغ الإيرانيّين في الشعر العربي خلال القرنَين التاسع عشر والعشرين - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - ٢٠٠٥م.
- عُمر فرّوخ - مَعالم الأدب العربي في العصر الحديث – دار العلم للملايين بيروت – ١٩٨٦م.
- محمّد حسين الكَرْمْرُودي - مجموعة الأعمال – مكتبة المجلس طهران - المخطوطة ٨٢٧١.
- محمّد هاشم الخراساني - مُنتخب التواريخ - كتاب فروشي إسلاميّة طهران – ١٣٨٢ش.
- ناصر محسني نيا ورضا ميرزايي - بررسی جايگاه وخدمات ميرزا يوسف خان اعتصام المُلك (اعتصامی) به دو أدب فارسی وعربی - مجلة أدب عربي جامعة طهران - ١٣٩٢ش. [١٠١٣م.].
- نصرالله شامِلي وحَميد دِهبارِز باقري - دراسة الشعر العربي المعاصر في إيران أدبيًّا وتاريخيًّا (من القرن الرابع عشر للهجرة حتّى الآن) - مجمع الذخائر الإسلاميّة قُم – ١٤٣٦هـ.ق/ ٢٠١٥م.
- هادي هاشميان - فهرست كتب چاپ سنگی تبريز – ستوده تبريز – ١٣٨٦ش. [٢٠٠٧م.]
- هوشنگ دانِشوَر - صنعت چاپ – مؤسسة جغرافيا الوطنيّة طهران – ١٣٥١ش. [١٩٧٢م.].

- ياسر خلفي - تاريخ أدبيات عرب دَر إيران - نشر شادگان طهران - ١٣٩٩ش. [٢٠٢١م.].

* * *

معرفة العرب بأساليب الاستفادة والوقاية من طاقة المد والجزر

د. سائر بصمه جي(*)

الملخص:

تُعتبَرُ الطاقة التي تنقلها موجات المدِّ والجزر في البحار والأنهار هائلة. وقد تعددت طرائق الاستفادة من طاقة المدِّ والجزر، فكانت تُستعمَل لتدوير طواحين الحبوب، ولتسيير حركة السفن... وكانت هناك إجراءات احترازية وقائية تتخذ للتحذير من ضرر حركة المد والجزر في البحار والأنهار على حركة الملاحة، كأن توضع مؤشرات تنبه البحارة على ذلك.

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يسلط الضوء على جهود العلماء العرب والمسلمين في تفسير ظاهرة المد والجزر حسب معارفهم، ويلقي نظرةً واسعة على كيفية استفادة سكان البصرة في العراق – الذين ربما كانوا الأوائل في ذلك– من طاقة المد والجزر وتحويلها إلى عمل مفيد بواسطة الطواحين المائية، فسبقوا الأوربيين في هذا التطبيق بنحو ثلاثة أو أربعة قرون.

الكلمات المفتاحية: المد والجزر، الطاقة، البحار، الأنهار، الطواحين.

المقدمة:

تحظى ظاهرة المد والجزر Tides اليوم باهتمام عالمي كبير؛ إذْ يجد

(*) باحث في التراث العلمي العربي/ سورية.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٤/ ٨/ ٢٠٢١م

فيها الكثيرون إحدى بوابات الطاقة المتجددة والنظيفة التي يمكن عبورها في المستقبل. وتنشأ ظاهرة المد والجزر نتيجة تأثير جاذبية القمر والشمس في كتلة المياه المتوزعة على سطح كوكب الأرض.

في الواقع لنا أن نتلمس عدم اهتمام معظم مؤرخي الغرب ومستشرقيهم بإسهامات العلماء العرب والمسلمين في نظريات ظاهرة مد وجزر البحار من خلال الأبحاث والدراسات التي قاموا بها. فالمؤرخ جون هوث J. Howth ذكر أن تفسيرات ظاهرة المد والجزر في البحار كانت مشتتة قبل أن يضع نيوتن نظريته في الجاذبية[١]. في حين أن الكاتب العلمي وليمز إيدغر W. Edgar قال: «كان يوهانس كبلر أول عالم يفسر أن سبب المد والجزر هو القمر»[٢]. وحتى أوسع كتاب تناول هذا الموضوع من الناحية العلمية التاريخية للمؤرخ ديفيد كارترايت D. Cartwright نجده لا يُخصّص سوى أقلّ من صفحةٍ واحدة[٣] للحديث عن أبي معشر البلخي فقط من بين عشرات العلماء العرب والمسلمين الذي درسوا الظاهرة!

وهذا يدل على أن معظم مؤرخي العلوم في الغرب لم يطلعوا بما فيه الكفاية على ما ألَّفه وكتبه العلماء العرب والمسلمون، أو أنهم تقصّدوا تهميش إسهامات العلماء العرب والمسلمين في تفسير هذه الظاهرة وتطبيقاتها لغايةٍ في نفس يعقوب.

---

(١) هوث، جون إدوارد، الفن الضائع ثقافات الملاحة ومهارات اهتداء السبيل، ج٢، ترجمة: سعد الدين خرفان، سلسلة عالم المعرفة، العدد-٤٤١، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٦م، ص ١٣٨.

(٢) Williams, Edgar, *Moon*, Reaktion Books Ltd, London, 2014, p. 108.

(٣) Cartwright, David Edgar, Tides: A Scientific History, Cambridge University Press, Cambridge, 1999, p.6.

وفقًا للمسح التاريخي الذي أجراه الباحث و. إ. منشنتون W. E. Minchinton لمعرفة إسهامات كل الحضارات في صناعة طواحين المد والجزر قال: «أخبرني جوزيف نيدهام (مؤرخ الحضارة الصينية المعروف) أنّه لا علم له بوجود طواحين المد والجزر في الصين أو الهند، على حين أكّد لي ماريون جونسون أنّه ما من دليل على وجود طواحين المد والجزر في إفريقية. وأعرف أنه ما من دليل قبل الدليل الأوروبي عن شمال وجنوب أمريكا والكاريبي»(٤). وهذا يدلنا على تفرّد العرب -إلى الوقت الحاضر- بهذا الابتكار.

المبحث الأول: جهود العلماء العرب في تفسير ظاهرة المد والجزر:

لقد كانت الدول العربية والإسلامية على تماسٍّ مباشر مع مياه البحار والمحيطات، ومن ثَم لفت ما يحدث على هذه المياه من ظواهر طبيعية أنظار العلماء العرب والمسلمين، الذين تناولوها دراسة وبحثًا وتفسيرًا.

ويبدو من أشعار عرب الجاهلية أنهم عرفوا ظاهرة المد والجزر، كما سجلوا ذلك؛ فقد قال سهم بن حنظلة الغنوي (نحو ٧٠هـ/ نحو ٦٩٠م):

مَدَّ الخليجُ ترى في مدّه تأقًا وفي الغوارب من آذيِّهِ حدبا

ويقصد «بالتأق» شدة الامتلاء، أما قوله «وفي الغوارب ...»؛ أي: تسمح سعة الخليج بتكوّن الأمواج العالية(٥). وكذلك ذُكِرَت ظاهرة المد والجزر في أشعار اللاحقين من باب الاستعارة، وهو ما نجده في قول سبط ابن التعاويذي (توفي ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م):

---

(٤) Minchinton, W. E., Early Tide Mills: Some Problems, Technology and Culture, Vol. 20, No. 4 (Oct., 1979), The Johns Hopkins University Press and the Society for the History of Technology, p. 777.

(٥) جبر، يحيى عبد الرؤوف، التكون التاريخي لاصطلاحات البيئة الطبيعية والفلك-مجلة مجمع اللغة العربية في الأردن، العدد ٤٦-يناير، عمان، ١٩٩٤م، ص ٦٣.

تختلف الأيام في أهلها مثل اختلاف المد والجزر
وما لإنسانيتي شاهد عندي سوى أني في خسر[٦]

وقد قدم اللغوي البارز أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (توفي ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) كل ما وصله من أوصاف العرب اللغوية لعملية جزر البحر واسم ما يجزر عنه، حيث قال: «جَزَرَ البحر يجزر جزرًا وانجزر، والجزيرة: ما جزر عنه. ابن دريد: سميت جزيرة لانقطاعها عن معظم الأرض، وقال: ثبر البحر: جزر. والدبر: قطعة تغلظ في البحر كالجزيرة يعلوها الماء وينضب عنها»[٧].

أما بعد الإسلام؛ فقد قدم لنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي (توفي نحو ٢٦٠هـ/ نحو ٨٧٣م) نظرية جديدة في رسالته (في العلة الفاعلة للمدّ والجزر) أراد فيها تفسير ظاهرة المد والجزر في البحار وفق رؤيته الخاصة (وإن لم تكن دقيقة وفق نظرياتنا الحالية)، لم تكن مأخوذة عن أي عالم سابق له. فقد كان الكندي يعتقد أن أشعة القمر تسبب، عن طريق توليد الأبخرة والرياح في مياه البحر، الزيادة في الحجم. وقدّم تصنيفه للمد الطبيعي على أساس يومي وشهري وسنوي[٨].

وقد ناقش أبو معشر البلخي (توفي ٢٧٢هـ/ ٨٨٦م) ظاهرة المد والجزر

(٦) العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١٦، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص٥٨.

(٧) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٥-١٦.

(٨) الكندي، أبو إسحاق، رسالة يعقوب بن إسحق الكندي إلى بعض إخوانه في العلة الفاعلة للمدّ والجزر، مخطوطة ضمن مجموع أياصوفيا، إستنبول، رقم (AYASOFYA4832) (١٤٩ظ-١٥٧و).

في البحار مناقشةً علميةً موسّعةً ومفصّلةً جدًّا في كتابه (المدخل الكبير في علم أحكام النجوم)، وقد أورد هذه المناقشة متتابعة في خمسة فصول (المقالة الثالثة: الفصول ٤، ٥، ٦، ٧، ٨)، حدد فيها العوامل الأساسية لحدوث المد والجزر، وهي حالة موضع الماء، وحالة الماء نفسها، وانتقال القمر في أطواره. وقدم أبو معشر صياغة رياضياتية تمكن الراصد من التنبؤ بساعة المد والجزر، ربما كانت أول صياغة على هذا الوجه. وانتبه أبو معشر إلى وجود ثمانية أسباب تؤثر في قوة المد وضعفه[٩]. وقد تبين لنا بعد إجراء مقارنةٍ دقيقة بين نص أبي معشر البلخي عن المد والجزر ورسالة روبرت غروستيست (توفي ١٢٥٣م) R. Grosseteste (التحقيق في أسباب المد والجزر De accessu et recessu maris) أن الكثير مما ورد فيها مقتبس من نصوص أبي معشر.

أما أبو إسحق نور الدين البطروجي الإشبيلي (توفي نحو ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م) فقد حاول أن ينحّي أثر القمر في ظاهرة المد والجزر جانبًا، معتبرًا أن السبب هو حركة السماء (الغلاف الجوي) التي تعلو كتلة المياه في البحار[١٠].

أخيرًا قدم عبد القادر بن أحمد بن علي بن ميمي البصري (توفي ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) مناقشة واسعة جدًّا؛ فقد أورد –ربما أول مرة– مقارنة تشبيهية في كتابه (يتيمة العصر في المدّ والجزر) بين جاذبية القمر لمياه البحر وجاذبية المغناطيس للحديد، ليقترب بذلك كثيرًا من مفهوم الجاذبية[١١].

---

(٩) أبو معشر البلخي، جعفر، المدخل الكبير في علم أحكام النجوم، مخطوطة المكتبة الوطنية، رقم (Arabe 5902)، ص ٣١و–٣١ظ.

(١٠) البطروجي، نور الدين، كتاب في الهيئة، مخطوطة مكتبة الأسكوريال، رقم (٩٦٣)، ص ١٧ظ–١٨و.

(١١) ابن ميمي، عبد القادر، يتيمة العصر في المد والجزر، مخطوطة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، رقم (ق ع ١١٠/ ٤٢٣)، ص ١٠١.

المبحث الثاني: طواحين طاقة المد والجزر:

من ناحيةٍ أولى، تشير الوثائق التي وصلتنا حاليًا إلى معرفة كلٍّ من العرب والأوربيين بالطواحين التي استفادت من طاقة المد والجزر. ولكن هذه الوثائق تؤكّد أن للعرب قصب السبق على الأوربيين في هذا المجال.

ومن ناحيةٍ أخرى، لا نعلم: هل كان تصميم وتنفيذ هذه الطواحين قائمًا على إحدى النظريات العلمية التي سبق أنْ تكلم عنها العرب، أم أنها قائمة على مبدأ الخطأ والصواب والتجريب المباشر؟

وفي جميع الأحوال إنّ توثيق وجودها واستثمارها بما ينفع الناس أمر بالغ الأهمية قد يغير الكثير من نظرتنا للماضي التقني عند العرب.

- **أولًا: العلماء العرب والمسلمون:**

يعود أقدم نص عربي وصلنا عن الطواحين التي استفادت من طاقة المد والجزر إلى القرن العاشر للميلاد. وهذا يعني أن هذه الطواحين كانت موجودة على الأقل منذ ذلك القرن، إن لم تكن أبكر من ذلك. فنحن نعلم أن مدينة البصرة قد بناها الصحابي الجليل عُتبة بن غَزوان (توفي ١٧هـ/ ٦٣٨م) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (توفي ٢٣هـ/ ٦٤٤م) سنة ١٤هـ، وقيل: ١٥هـ، عند ملتقى نهري دجلة والفرات[١٢]، أي: في القرن السابع للميلاد.

يروي محمد بن أحمد بن أبي بكر البنَّاء المقدسي البَشَّاري (توفي نحو ٣٨٠هـ/ نحو ٩٩٠م) أنّ أهل البصرة استفادوا من ظاهرة المد والجزر واستغلوا طاقتها، وذلك بوضع طواحين مائية عند مخرج المدّ، ليديرها في الدخول والخروج. ويشير هذا إلى أن مستوى المدّ كان يصل إلى مترين،

(١٢) العباسي، عبد القادر باش أعيان، البصرة في أدوارها التاريخية، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٦١م، ص ١٤.

حتى يمكن الاستفادة منه[١٣].

قال المقدسي البَشَّاري: «قُلْ في البصرة ما شئت من مياهها وبركها ومدّها وجزرها ... والجزر والمد أعجوبة على أهل البصرة ونعمة؛ يزورهم الماء في كل يوم وليلة مرتين ويدخل الأنهار ويسقي البساتين ويحمل السفن إلى القرى، فإذا جزر أفاد **أيضًا عمل الأرحية؛ لأنها على أفواه الأنهار فإذا خرج الماء أدارها**. ويبلغ المدّ الى حدود البطائح، وله وقت يدور مع دور الأهلة»[١٤].

وقد ذكر مؤرخ التكنولوجيا المعروف ر. ج. فوربيس R. J. Forbes أن: «البصرة تقع على الخليج العربي وقد كان فيها طواحين مد وجزر، معظمها من أجل طحن الذرة»[١٥]. ويمكن استعمال الطاحونة لطحن أي نوع من الحبوب، سواء القمح أو الشعير، ولا يمكننا الجزم بأنها استُعملت من أجل الذرة فقط.

ويبدو من النص أن هذا النوع من الطواحين قد انتشر واستُعمل بكثرة في البصرة لتكلفته الزهيدة وكفاءته العالية طوال أيام السنة، مقارنةً بالطواحين المائية التي تعتمد على حركة التيار المائي فقط والتي تتأثر كميتها بين الصيف والشتاء. وهذا ما يفسّر لنا حظوة البصرة فقط بظهور هذا النوع من الطواحين دون غيرها من المدن العراقية أو العربية الأخرى التي تقع على ضفاف الأنهار.

ونقدم في (الشكل-١) تصورنا عن طريقة تصميم طاحونة تعتمد على ظاهرة المدّ والجزر.

---

(١٣) Minchinton, W. E., Early Tide Mills: Some Problems, p. 777.

(١٤) المقدسي البَشَّاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٢٤-١٢٥.

(١٥) Singer, Charles, et al., A History of Technology, volume 2, Oxford, Oxford University Press, 1957, p. 614.

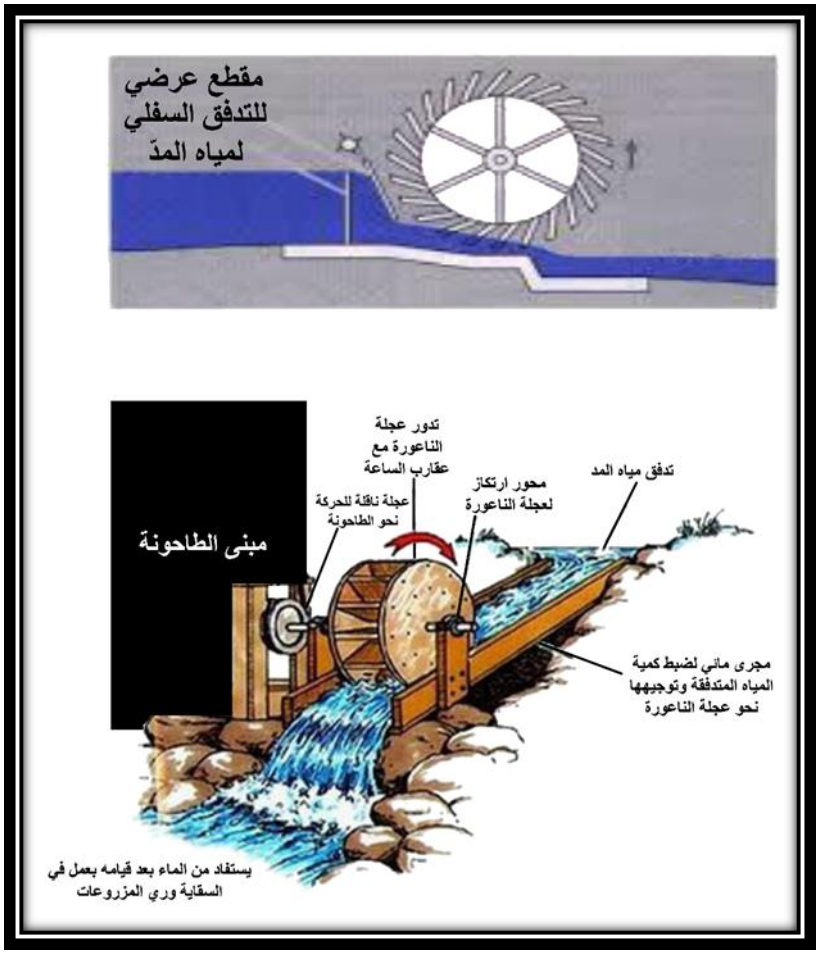

(الشكل-١) لم يكن هناك تفصيل كافٍ في رواية المقدسي البَشَّاري عن الطاحونة ومبدأ عملها، لذلك نرجح أن البصريين استعملوا طريقة التدفق السفلي لكونها أسهل في البناء وفي عودة مياه الجزر.

وكذلك تحدّث سراج الدّين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي (توفي ٨٥٢هـ/ ١٤٤٧م) عن تحكم أهل البصرة بالمد والجزر عن طريق حاجز (غالبًا خشبي) فقال: «وقال الحافظ في المد والجزر بالبصرة: ما قولكم وظنكم بقوم يأتيهم الماء صباحًا ومساء، فإن شاؤوا أذنوا له، وإن شاؤوا حجبوه؟»[١٦].

(١٦) ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٣٦٨.

ونستدل من كلام ابن الوردي على أمر آخر هو أن اختيار موقع طاحونة المد والجزر كان يجري بعناية كبيرة، خصوصًا من ناحية صلابة الأرض التي ستوضع عليها.

وقد وضعنا في (الشكل-٢) تصورنا لطاحونة مدّ وجزر مزودة بحاجز خشبي للتحكم بكمية المياه.

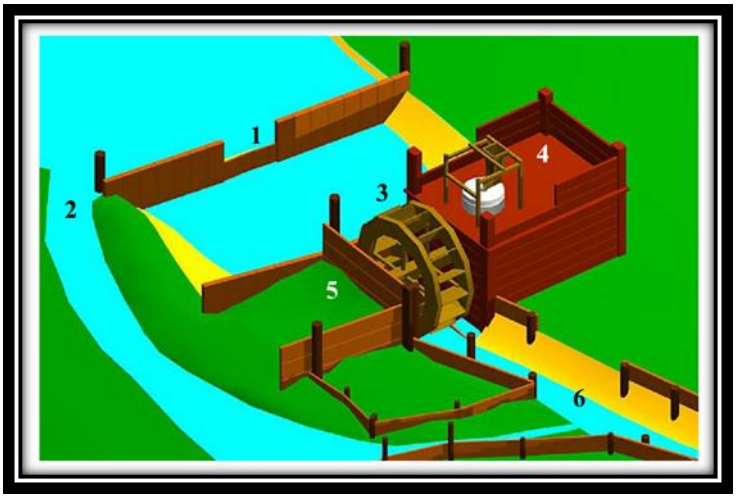

(الشكل-٢) بناءً على المعلومة التي أضافها إلينا ابن الوردي، فإننا نتوقع أن يكون تصميم طاحونة المد والجزر في البصرة وفق هذا الشكل التخيلي. وفيه: (١) حاجز مياه المد. (٢) قناة تصريف فرعية لتصريف الماء الفائض. (٣) الناعورة ذات العنفات. (٤) مكان الطاحونة. (٥) جدار استنادي لمحور الناعورة. (٦) قناة تصريف مياه المد بعد خروجها من الناعورة.

كانت ظاهرة المد والجزر ما تزال تحدث عند شط العرب في البصرة زمن أَنِسْتاس الكَرْمِلي كما يدلّ قوله: «ومن أجَلِّ نعم الله تعالى على البصريين وجود (المد والجزر) في شط العرب؛ فإن ماء (المدّ) يزورها كل أربع وعشرين ساعة مرتين فيسقي النخيل والأراضي (بدون استعمال آلات السقي أو نصب الكرود)، وبعد أن تأخذ تلك البقاع قسطها من الري بفضل تلك النعمة الجليلة يرجع الماء إلى من حيث أتى، ثم يعود بعد اثنتي عشرة

ساعة وأربع وعشرين دقيقة (فسبحان من تحيرت في صنعه العقول)»[١٧].

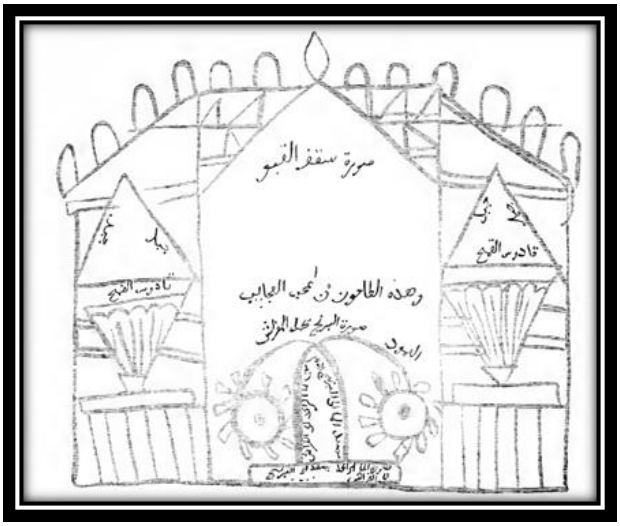

(الشكل-٣) أحد أشكال الطواحين المائية التي كانت تستعمل لطحن القمح في مدينة مرند في أذربيجان، كما وصفها ورسمها شيخ الربوة. ويبدو أن المبدأ نفسه كان يُطبَّق في حالة طواحين المد والجزر[١٨].

ويبدو من كلام الكرملي أنه في أواخر القرن ١٩م لم يكن أي ذكر لأي طاحونة تدار أو تستفيد من طاقة المد والجزر المهدورة هناك.

- **ثانيًا: الأوربيون:**

بحسب الوثائق التي وصلتنا تأخرت أوربا في الاستفادة من طاقة المد والجزر حتى القرن ١٢م؛ إذْ لم يستكشف تاريخ طواحين المد والجزر في فرنسا بالتفصيل، إنما يُذكر أنه في القرن الثاني عشر كانت طواحين مد وجزر في جوار نانتيس Nantes عند بياون Bayonne (١١٢٠-١١٢٥م)،

(١٧) مجلة لغة العرب، العدد ٢٦، ج٢، صاحب امتيازها: أَنِسْتاس ماري الأليـاوي الكَرْمِلي، وزارة الإعـلام، الجمهوريـة العراقيـة، مديريـة الثقافـة العامـة، مطبعـة الآداب، بغـداد، ١٩١٣م، ص ٥٩.

(١٨) مصدر الصورة: الدمشقي، شـمس الـدين أبـو عبـد الله، نخبـة الـدهر فـي عجائـب البـر والبحر، طبعة فرين وأغسطس بن يحيى مهرن، كوبنهاغن، ١٨٦٥م، ص ١٨٨.

وفي منطقة لابورد Labourd، في «بارثيس burthes» من أدور Adour أو النيف Nive، قيل: إنّ طاحونة موفيل Mufel يعود تاريخها إلى (١١٢٥ – ١١٣٣م)، وفي إسبوك Esbouc إلى ما قبل ١٢٥١م، وفي سانت بيرنارد St. Bernard إلى القرن الثالث عشر. أما في بيرتاني Brittany وفي قنال كويمياك Quimiac، فقد استحوذت تيمبلارس Templars على طاحونتين بحريتين بين ماريل Marel (ميركويل Merquel) وميسكوير Mesquer في عام ١١٨٢م. وفي القرن ١٣م كانت طواحين مد وجزر تعود إلى دير فيكامب Fecamp عند فيوليس Veules (١٢٣٥م) وعند بونت دوف Ponte d'Ouve قرب كارينتان Carentan (١٢٧٧) حيث شُغِّلت، كما ذُكر، حتى عام ١٦١٩م. أما رئيس أساقفة روين Rouen فكانت لديه طاحونتان: دي ماري de maree عند ديب Dieppe في القرن ١٤م، وواحدة عند لا روشيل La Rochelle قبل ١٣٢٥م. ولا تزال المعلومات عن هذه المدّة المتعلقة بتأريخ طواحين المد والجزر في فرنسا غامضة[١٩].

وقد وضع المهندس الفرنسي برنارد فورست دي بليدور (توفي ١٧٦١م) B. F. de Bélidor في كتابه (العمارة الهيدروليكية)[٢٠] رؤيته عن الطاقة المفقودة من حركات المد والجزر. ومنذ أن صدر الكتاب في منتصف القرن ١٨م ظهرت عدة كتابات عن الاستفادة من هذه الطاقة. وقد أُقيمت بعدها عدة منشآت صغيرة لهذا الغرض. وأكثر هذه المنشآت شهرة ومازالت تعمل حتى اليوم، السد المقام على نهر لارانس شماليّ فرنسا،

(١٩) Minchinton, W. E., Early Tide Mills: Some Problems, p.780-781.

(٢٠) العنوان الأصلي للكتاب:

L'architecture hydraulique, ou l'art de conduire, d'élever et de ménager les eaux pour les différents besoins de la vie, (1737-1753).

والذي يولد طاقة كهربائية استطاعتها ٢٤٠ ميغاواط[٢١].

أما في بريطانيا فقد أُنشئ فيها - بعد طاحونة دوفر Dover - عددٌ من طواحين المد والجزر؛ ففي ووتون Wootton (Isle of Whight)، افترض أن طاحونتها أُنشئت سنة ١١٣٢م؛ وأُنشئت في برومبلي بمحاذاة بو Bromely-by-Bow سنة ١١٣٥م؛ وفي وودبريج Woodbridge (سوفولك Suffolk) سنة ١١٧٠م؛ وفي بياردس كاسيل Bayards Castle (لندن) سنة ١١٨٠م. وقيل: إن ست طواحين مد وجزر أخرى بُنيت في القرن ١٢م، وبذلك صُنعت إحدى عشرة طاحونة بحلول ١٢٠٠م. وفي القرن ١٣م بُنيت سبعٌ وعشرون طاحونة؛ وفي القرن ١٤م بُنيت ثماني؛ وفي القرن ١٥م بُنيت ست؛ وكان ثمة سبعٌ لا يمكن إعطاء تاريخ لها بدقة أكثر من العصور الوسطى. وفي القرن ١٦م بُنيت ثلاثون أخرى. وهكذا كان مجموع طواحين المد والجزر التي شُيدت في إنكلترا بحلول القرن السابع عشر ٨٩ طاحونة[٢٢].

ومع عدم جدوى حصول الأوربيين على محركات دائمة الحركة Perpetual motion، كان لهؤلاء الباحثين دورٌ مفيد بجعل الآخرين يصلون إلى قانون حفظ الطاقة[٢٣]. وأوحت تصميماتهم بإمكان الاستفادة من مصادر جديدة في الطبيعة، إذ أصبحت ظاهرة المد والجزر شكلًا من أشكال الساعات الكونية. يقول الباحث كرومبي: «في عام ١٥٨٢م زُوِّدت لندن بالمياه، عن طريق مضخة دافعة

(٢١) رايس، إ. إ، البحر والتاريخ: تحديات الطبيعة واستجابات البشر، ترجمة: عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، العدد-٣١٤، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥م، ص ٩٩.

(٢٢) Minchinton, W. E., Early Tide Mills: Some Problems, p.781.

(٢٣) لانداو، ل. وكيتايجورودسكي، أ، الفيزياء للجميع، ترجم بإشراف: داود المنير، ط٣، دار مير، موسكو، ١٩٧٨م. ص ١١٨.

تعمل بوساطة دولاب يحرّكه المد، أقامه بالقرب من جسر لندن، المهندس الألماني بيتر موريس (توفي ١٥٨٨م) P. Morice»[٢٤].

أما في إيطاليا فقد وضع الإيطالي مارينو تاكولا (توفي نحو ١٤٥٨م) M. Taccola في كتابه (الآلات)[٢٥] تصميمًا لطاحونة تعتمد على حركة المدّ والجزر بحلول عام ١٤٣٠م (انظر الشكل-٤)، وتدور وفق الطريقة الآتية: «لنفترض أنه ثمة بركة طبيعية أو حوض ماء يمكن أن يتدفق وينحسر، قرب المحيط أو على طول الأنهار إنما بالقرب من المحيط إلى حد بعيد. إذا لم يكن هناك بركة طبيعية، فلنفترض أن ثمة بركة صنعية لها قناتان، إحداهما تسمح للماء أن يدخل في البركة عندما يرتفع البحر، والأخرى عندما ينخفض ماء البحر، ندع الفتحة مغلقة ببوابة مناسبة، ونترك القناة الأخرى مفتوحة مخرجًا للماء، يمكن بعد ذلك للماء أن يمضي إلى دواليب الطاحونة كما هو واضح في تصميم الطاحونة المذكورة آنفًا. وهذه العمليات يمكن تكرارها من حين إلى حين». ويذكر محرر التعليقات أن حركات المد والجزر كانت «القوى المدهشة كثيرًا في ذلك»، وقد «قِيْسَت» جزئيًّا في اعتمادها على أطوار القمر، وبطريقة يستحيل فهمها. وقد «كانت موثوقة بما يكفي لاستعمالها، وكانت بحجم كبير بقدرٍ كافٍ». ويتابع قائلًا: «على الأقل في بحر الأدرياتيك، مع أنه ليس مثل بحر ليغوريان Ligurian Sea قرب سينا، لاستعمالها بطريقةٍ اقتصاديةٍ جديرةٍ بالاهتمام». ربما استمد تاكولا معلومات هذا الفصل من المنطقة الأدرياتيكية؛ كما يحدث في أحيانٍ

(٢٤) تويلييه، بيير، العالم الصغير، ترجمة: لطيفة ديب غرنوق، سلسلة العلوم-١٦، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م. ص ٧٩.

(٢٥) العنوان الأصلي: De Ingeneis.

كثيرة، حين تكون قنوات المعلومات ومصادرها مجهولة، وعرف أن حالات المد والجزر التي في الأنهار يمكن للطواحين الوصول إليها نسبيًّا. هذه الحقيقة كانت قد سُجِّلَت جزئيًّا من قَبْلُ (ظهرت على سبيل المثال عند غروستيست Grosseteste في أوائل القرن الثالث عشر)[٢٦].

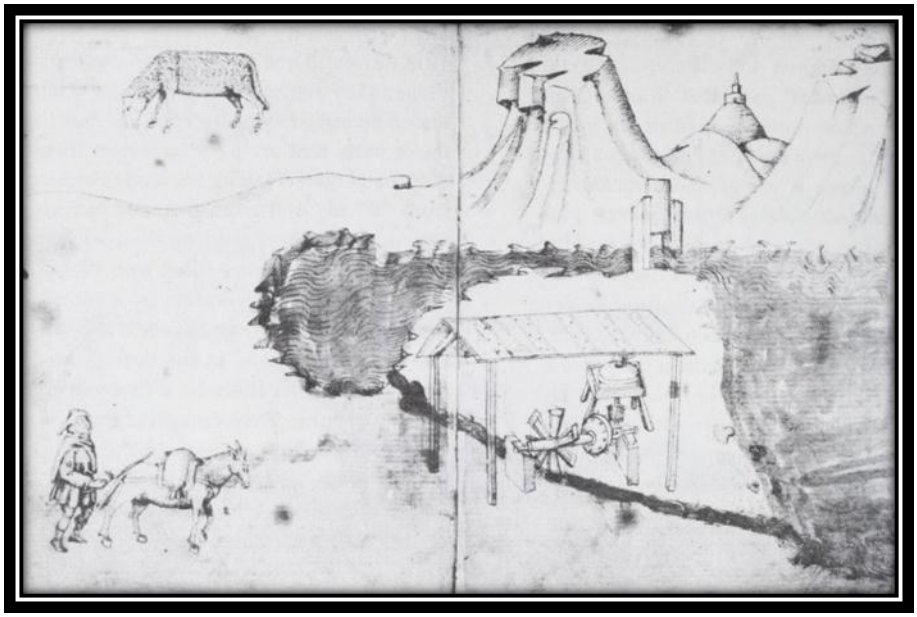

(الشكل-٤) تصميم مارينو تاكولا لطاحونة تستفيد من طاقة المد والجزر[٢٧].

وبعد تاكولا بقرنين تقريبًا وضع الإيطالي فاوستو فيرانزيو (توفي ١٦١٧م) F. Veranzio تصميمًا آخر في كتابه (علم الميكانيك الجديد)، يحصر فيه مياه المد، ويوجهها نحو عنفات الطاحون بطريقةٍ أفضل من تصميم تاكولا. وقد طرح فيرانزيو سؤالًا: «هل كان من الممكن حتى هذه الساعة وضع رباط على البحر يمكنه أن يدير الرحى، ويفيد في عمليات أخرى تحتاج إلى الحركة؟ ثم

(٢٦) Minchinton, W. E., Early Tide Mills: Some Problems, p. 782-783.

(٢٧) مصدر الصورة:

Prager, Frank D; Scaglia, Gustina, Mariano Taccola and his book De ingeneis, Cambridge, Mass., MIT Press, 1972, p. 86.

أجاب عن سؤاله الفني: نرى أنّه من الممكن إنجاز هذا فقط في الأماكن الضيقة والمحصورة». يقول الباحث كيلير Keller: من المحتمل أن تكون فكرة فيرانزيو وَضْع طاحونة في مضيق ساحلي ضيق قد سبق اقتراحها في طواحين المد والجزر، أي: لم يكن الأول من نوعه. ويقترح فيرانزيو أن المستودع المتشكل الذي يملؤه المد ويفرغه الجزر، يدير دواليب الطاحونة كلما قام بذلك. ويتابع فيرانزيو قائلًا: «قد يكون من الأنسب تطبيق هذا على المحيط [يعني الأطلسي، كما يقترح كيلير]، حيث يكون المد والجزر أكبر مما هو في البحار الداخلية». وقد تقدم بهذا المقترح باعتباره فكرة لاحقة في مشروعه لتكون «في صدع جرف ما، حيث تكون قوى الماء بحد ذاتها عنيفة جدًّا (في مياه البحر المقابل). أما الطاحونة نفسها فيكون لها عجلة مائية ذات رِيَشٍ مفصلية»[٢٨].

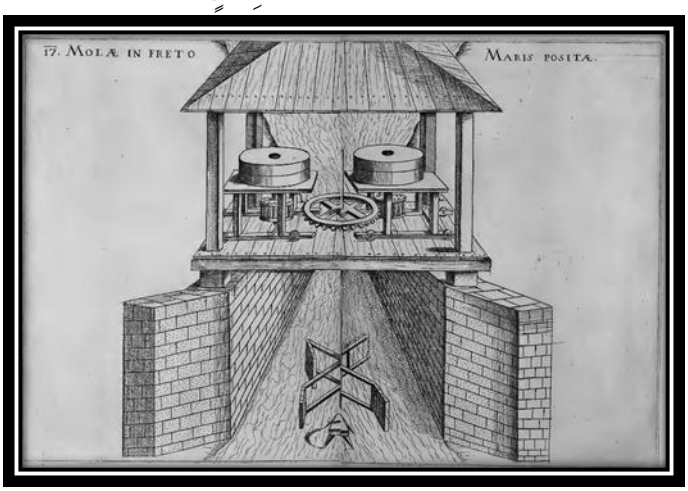

(الشكل-٥) تميز تصميم فاوستو فيرانزيو بقدرته على الاستفادة القصوى من طاقة المد والجزر[٢٩].

نشير هنا إلى أنه في حالتي تصاميم تاكولا وفيرانزيو لا نعرف: هل

(٢٨) Minchinton, W. E., Early Tide Mills: Some Problems, p. 783-784.

(٢٩) مصدر الصورة:

Veranzio, Fausto, Machinae novae Favsti Verantii siceni, Venice, p. 132.

نُفّذت هذه التصاميم أم كانت مجرّد اقتراحات وحبر على ورق، على غرار الكثير من التصاميم التي كان يضعها ليوناردو دافنشي (توفي ١٥١٩م) L. da Vinci ولا سيّما أنه لم يوثق انتشار لمطاحن المد والجزر في إيطاليا لكون حركة المد والجزر ضعيفة فيها؟.

وأخيرًا إنّ السؤال المشروع الذي يحق لنا طرحه الآن - في ضوء ما وصلَنا من وثائق حتى الوقت الحالي-: إذا كانت طواحين المد والجزر في البصرة هي الأولى من نوعها فكيف انتقلت إلى أوربا؟ هل كان ذلك عن طريق السفراء أم الرحالة والتجار أم عن طريق الأندلس، كما هو الحال في طواحين الهواء(٣٠)؟ قد تكون الإجابة صعبة حاليًّا، ولكن ربما كشفت لنا الوثائق مستقبلًا ما نجهله حاليًّا.

المبحث الثالث: سُبُل الوقاية من أثر المد والجزر:

على الجانب الآخر بعض الناس الذين لم يفكروا في الاستفادة من طاقة المد والجزر ركزوا جهودهم على حماية أنفسهم من أضرارها. وقد تباينت هذه الطرائق بين الخرافية وتلك التي تعتمد على وضع الحواجز والموانع.

- **أولًا: الهنود:**

في الواقع لم نعثر على محاولات التحكم بحركة المد والجزر عند الحضارات القديمة إلَّا عند الهنود. فقد ذكر محمد بن مسعود بن عليّ بن أحمد بن المجاور البغدادي (توفي ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) طريقة خرافية كان الهنود يؤمنون بها للتخلّص من المد، حيث قال: «وفي أجّه وجميع أعمال الهند والسند إذا زرع أحد قصب السكر ينذر للصنم نذرًا إذا طلع قصبه جيدًا

(٣٠) انظر بحثنا: «طواحين الهواء العربية»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، العدد ٩٩، عام ٢٠١٧م.

فُدي بإنسان، فإن صحّ قصبه احتال على بعض قصار الأعمار يذبحه ويرش بدمه أصول قصب السكر في يوم عيد لهم يسمى الديواني، وإذا زاد شط السند في الأخذ على المد والحدّ يؤخذ خشف غزال يجلل بثوب أحمر ويعطر ويبخر ويطلق في أغزر موضع وأقوى جريان في السيل وأشد سوار، فحينئذ ينقص الماء بإذن الله تعالى»[٣١]. وهي أسطورة تذكرنا بأسطورة (عروس النيل) التي كان يقذف بها المصريون عند فيضان النيل.

بعيدًا عن الأساطير والخرافات كان أول استعمال موثق للتحكم بظاهرة المد والجزر في الهند يعود إلى عام ٢٤٥٠ قبل الميلاد، وقد أُبلغ عنه في منطقة أحمد آباد الهندية، حيث بنى الهارابانيون Harappans (سكان مدينة هارابان التي تقع في باكستان حاليًا) أحواضَ بناء سفن للمد والجزر، وأحواضًا مدية كبيرة على جانب الجدار مع مدخل ضيق للبحر، بحيث يمكن إغلاقها بواسطة بوابة السد. ومع أنهم كانوا قادرين على بنائها واستعمالها، ومن ثَم فهم مدى انتظام المد والجزر وإمكان التنبؤ به لم يكن ثمة توثيق لمعرفتهم وفهمهم للعلاقة بين المد والجزر والقمر والشمس[٣٢].

- **ثانيًا: العرب والمسلمون:**

أبدى خمسة من الجغرافيين والمؤرخين العرب ملاحظاتهم على وجود مؤشرات ومقاييس كانت تُستعمل في العراق لمراقبة حالة المد والجزر منذ القرن (٤هـ/ ١٠م). وكان بعضهم يتخذ إجراءات وقائية للحيلولة دون وقوع

(٣١) ابن المجاور، محمد بن مسعود، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تاريخ المستبصر)، راجعه: ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٨م، ص١٣٣.

(٣٢) Schrum, Corinna, Tides and tidal flows, https://folk.uib.no/ngfhd/HD2LHS/Tides_and_tidal_flows_A.pdf, 2006, p.2.

ضرر من المد والجزر.

- **أبو إسحاق الإصطخري:**

أشار إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (توفي ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) إلى اعتماد طريقة الخشبات مقياسًا لارتفاع المد في نهر دجلة، وقد عُيِّن لها شخص يراقبها ويشعل النار بالليل ليحذر السفن. قال: «بحر فارس، وهو عريض البطن جدًّا في جنوبه بلدان الزنج، وفي هذا البحر هوارات كثيرة ومعاطف صعبة، ومن أشدها ما بين جَنَّابة والبصرة، فإنه مكان يسمى هور جَنَّابة وهو مكان مَخُوف لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر، وبها مكان يعرف بالخَشَبات من عَبَّادان على نحو من ستة أميال على جري ماء دجلة إلى البحر، ويرق الماء حتى يُخاف على السفن الكبار إن سلكته أن تجلس على الأرض إلا في وقت المد. وبهذا الموضع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل ليُهتدى به ويُعلم به المدخل إلى دجلة، وهو مكان مَخُوف إذا ضلّت السفينة فيه خيف انكسارها لرقة الماء»[٣٣].

- **أبو الحسن المسعودي:**

تحدث أبو الحسن المسعودي (توفي ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) عن موقع اسمه الجرارة (الحدارة[٣٤]) أيضًا كانت تتخذ فيه إجراءات احترازية للوقاية من ضرر المد والجزر مثل وضع ألواح خشبية عند نقطة التقاء النهر بالبحر، حيث قال: «وللبصرة أنهارٌ كبارٌ: مثل نهر شيرين، ونهر الرس، ونهر ابن عمر، وكذلك ببلاد الأهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة، أعرضنا عن ذكر

(٣٣) الإصطخري، أبو إسحاق، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٣٢.

(٣٤) هكذا يسميها المؤلف الشيخ عبد القادر باش أعيان العباسي، في كتابه البصرة في أدوارها التاريخية، ص ٩.

ذلك، إذ كنا قد تقصينا الأخبار عنها وأخبار منتهى بحر فارس إلى بلاد البصرة والأبلة وخبر الموضع المعروف بالجرارة - وهي داخلة من البحر إلى البر تقرب من نحو بلاد الأبلة، ومن أجلها ملح الأكثر من أنهار البصرة - ولهذه الجرارة اتخذت الخشبات في فم البحر مما يلي الأبلة وعبّادان، عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل خوفًا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما أن تقع في تلك الجرارة [وغيرها، فتعطب]، فلا يكون لها خلاص، وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا، وهذه الديار عجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر بها، والله أعلم»[٣٥].

- **ناصر خسرو:**

أشار ناصر خسرو الحكيم المروزي (توفي ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) إلى وجود مقياس على شكل عمود أو جدار طوله قرابة ٥ أمتار ليكون بمثابة مؤشر على حدوث المد أو الجزر بحيث ينبّه المراقبين. قال: «يحدث المدّ ببحر عمان عادة مرتين كل أربع وعشرين ساعة، فيرتفع الماء بمقدار عشر أذرع، وحين يبلغ الارتفاع أقصى مداه يبدأ الجزر بالتدريج، فينخفض الماء عشرًا أو اثنتي عشرة ذراعًا، ويُعرف بلوغ ارتفاع الماء مقدارَ الأذرع العشر بظهوره على عمود أقيم هناك أو على حائط، ولو كانت الأرض مستوية وغير عالية لعظم امتداد البحر إليها، ويسير النهران دجلة والفرات بغاية البطء حتى يتعذر في بعض الجهات معرفة اتجاه التيار فيهما، وحين يبدأ المد يدفع البحر ماءهما مسافة أربعين فرسخًا حتى يُظنَّ أنّهما يرتدان إلى

(٣٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ط١، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٨٣.

منبعيهما. أما في الأماكن الأخرى التي تقع على شاطئ البحر فإن امتداد المد إليها يتوقف على ارتفاعها وانخفاضها، فحيثما استوت الأرض ازداد المد، وحيثما ارتفعت قلّ»[٣٦].

- **ابن المجاور الشيباني:**

ذكر يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي (توفي ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) طريقة خرافية للتخلص من المد الزائد، من الواضح أنه نقلها عن الهنود، حيث قال: «وإذا زاد شط السند في الأخذ على المد والحد يؤخذ خشف غزال يجلَّل بثوبٍ أحمر ويعطر ويبخر ويطلق في أغزر موضع وأقوى جريان في السيل وأشد سوار فحينئذ ينقص الماء بإذن الله تعالى»[٣٧].

- **عبد الغني بن أحمد المصري:**

قدم عبد الغني بن أحمد المصري (توفي ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) مخططًا لمدينة المهدية (وهي مدينة في المغرب أسسها الأمير المهدي) محاطة بسور، وبداخلها ثلاثة قصور، وحولها خندق، وحدّد على المخطط المسافة بين المهدية وغيرها من المدن والجُزُر. وقد روعيَ في تصميم هذا الخندق مدّ وجَزْر البحر بحيث لا يدخله[٣٨].

---

(٣٦) خسرو، ناصر، سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٤٩.

(٣٧) الشيباني، ابن مجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر، تحقيق: أو. لوفغرين، ليدن، ١٩٥١م، ص ١١٥.

(٣٨) المصري، عبد الغني، غرائب الفنون وملح العيون، مخطوطة مكتبة بودليان رقم (MS. Arab. c. 90)، ص ٣٤و.

(الشكل-٦) مخطط مدينة المهدية كما هو مرسوم في المخطوطة، ونلاحظ من الرسم السفلي أن باب المدينة مرتفع لا تصل إليه مياه المدّ، كما هو موضح في يسار الرسم(٣٩).

- **ابن عبد المنعم الحِميري:**

تكلم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري (توفي ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م) على وادٍ يقع بالقرب من مدينة سلا الأندلسية، «هذا الوادي يدخله المد والجزر مرتين في كل يوم، فإذا كان المد دخلت

(٣٩) مصدر الصورة: المصري، عبد الغني، غرائب الفنون وملح العيون، ص ٣٤و.

المراكب به إلى داخل الوادي، وكذلك تخرج في وقت خروجها»[٤٠]. وهذا يعني أن الملاحة في النهر كانت تستفيد من حركة المد والجزر التي كانت تحدث مرتين في اليوم.

- **سِباهي زاده:**

ويحدثنا محمد بن علي البروسوي سِباهي زاده (توفي٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م) عن الإجراءات الاحترازية من المد والجزر التي كانت تتخذ في مدينة عبّادان (أو عبدان التي تقع حاليًّا في محافظة خوزستان جنوبيّ غربيّ إيران) على ضفاف نهر شط العرب، وهي مدينة عرفت في العصر العباسي بأنها ميناء رئيس. قال: «وفي جنوبي عبّادان وشرقيها الخشبات، وهي علامات في البحر للمراكب تنتهي إليها ولا تتجاوزها خوفًا من الجزر؛ لئلا تلحق الأرض»[٤١].

الخاتمة والنتائج:

بعد النظر في ما وصلَنا من وثائق ونصوص تتعلق بأساليب العرب في الاستفادة من طاقة المد والجزر ودراستها وصلنا إلى النتائج الآتية:

- لمدينة البصرة أن تفخر بأن الوثائق التاريخية العربية والعالمية، التي عثرنا عليها حتى الوقت الحاضر، تشير إلى أنها أول مدينة عربية استثمرت طاقة المد والجزر واستفادت منها عمليًّا، وذلك بواسطة الطواحين التي وضعتها في طريق المياه ذهابًا وإيابًا. وبناءً على ذلك إنّ العرب سبقوا الأوربيين في هذا المجال بثلاثة قرون على الأقل.

---

(٤٠) الحِميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣١٩.

(٤١) سباهي زاده، محمد بن علي البروسوي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدي عيد الرواضية، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٤٦٣.

- لم نعثر على أي دليل بشأن انتقال أساليب الاستفادة من طاقة المد والجزر التي ابتكرها أهل البصرة إلى الأوربيين.

- لقد استعمل العرب وسائل للوقاية من خطر وضرر المد والجزر عن طريق الحواجز الصخرية، أو عن طريق بوابات التحكم، أو عن طريق المؤشرات والمقاييس.

* * *

المصادر والمراجع

أولًا: المراجع العربية:

- الإصطخري، أبو إسحاق، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- البطروجي، نور الدين، كتاب في الهيئة، مخطوطة مكتبة الأسكوريال، رقم (٩٦٣).
- تويلييه، بيير، العالم الصغير، ترجمة: لطيفة ديب غرنوق، سلسلة العلوم-١٦، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.
- جبر، يحيى عبد الرؤوف، التكون التاريخي لاصطلاحات البيئة الطبيعية والفلك - مجلة مجمع اللغة العربية في الأردن، العدد ٤٦ - يناير، عمان، ١٩٩٤م.
- الحِميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

- خسرو، ناصر، سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.
- الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة فرين وأغسطس بن يحيى مهرن، كوبنهاغن، ١٨٦٥م.
- رايس، إ. إ، البحر والتاريخ: تحديات الطبيعة واستجابات البشر، ترجمة: عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، العدد-٣١٤، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥م.
- سباهي زاده، محمد بن علي البروسوي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدي عيد الرواضية، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- الشيباني، ابن مجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر، تحقيق: أو. لوفغرين، ليدن، ١٩٥١م.
- بصمه جي، سائر، طواحين الهواء العربية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، العدد ٩٩، عام ٢٠١٧م.
- العباسي، عبد القادر باش أعيان، البصرة في أدوارها التاريخية، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٦١م.
- العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١٦، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- الكندي، يعقوب بن إسحاق، رسالة في العلة الفاعلة للمد والجزر، نسخة موجودة ضمن مجموع أياصوفيا رقم (AYASOFYA4832).

- لانداو، ل. وكيتايجورودسكي، أ، الفيزياء للجميع، ترجم بإشراف: داود المنير، ط٣، دار مير، موسكو، ١٩٧٨م.
- ابن المجاور، محمد بن مسعود، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تاريخ المستبصر)، راجعه: ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٨م.
- مجلة لغة العرب، العدد ٢٦، ج٢، صاحب امتيازها: أَنِسْتاس ماري الأليساوي الكَرْمِلي، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، مديرية الثقافة العامة، مطبعة الآداب، بغداد، ١٩١٣م.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ط١، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ٢٠٠٥م.
- المصري، عبد الغني، غرائب الفنون وملح العيون، مخطوطة مكتبة بودليان رقم (MS. Arab. c. 90).
- أبو معشر البلخي، جعفر، المدخل الكبير في علم أحكام النجوم، مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس، رقم (Arabe 5902).
- المقدسي البَشَّاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩١م.
- ابن ميمي، عبد القادر، يتيمة العصر في المد والجزر، مخطوطة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، رقم (ق ع ١١٠/ ٤٢٣).
- هوث، جون إدوارد، الفن الضائع ثقافات الملاحة ومهارات اهتداء السبيل، ترجمة: سعد الدين خرفان، سلسلة عالم المعرفة، العدد-٤٤١، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٦م.
- ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر، خريدة العجائب

وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- Cartwright, David Edgar, Tides: A Scientific History, Cambridge University Press,Cambridge, 1999.
- L'architecture hydraulique, ou l'art de conduire, d'élever et de ménager les eaux pour les différents besoins de la vie, (1737-1753).
- Minchinton, W. E., Early Tide Mills: Some Problems, Technology and Culture, Vol. 20, No. 4 (Oct., 1979), The Johns Hopkins University Press and the Society for the History of Technology.
- Prager, Frank D; Scaglia, Gustina, Mariano Taccola and his book De ingeneis, Cambridge, Mass., MIT Press, 1972.
- Singer, Charles, et al., A History of Technology, volume 2, Oxford, Oxford University Press, 1957.
- Veranzio, Fausto, Machinae novae Favsti Verantii siceni, Venice.
- Williams, Edgar, Moon, Reaktion Books Ltd, London, 2014.

ثالثًا: مواقع على الشابكة (الإنترنت):

Schrum, Corinna, Tides and tidal flows,

https://folk.uib.no/ngfhd/HD2LHS/Tides_and_tidal_flows_A.pdf, 2006.

❊ ❊ ❊

المقالاتُ والآراء

متى يُجزم جواب الطلب؟

أ. د. مكي الحسني(*)

• من المعلوم أن الفعل المضارع يُجزَم إذا سبقه أحد الحروف الآتية: لم، لمّا، لام الأمر، لا الناهية، وهذه الحروف **تجزم فعلًا واحدًا**.

وهناك أدوات عشْرٌ **تجزم فعلين**: الأول فعل الشرط، والثاني جوابه (جزاؤه)، وهي إنْ - مَنْ - ما - مهما - متى - أيّان - أين - أنىّ - حيثما - أيّ.

• ويُجزَم الفعل المضارع **إذا جاء مُسبَّبًا عن طلب قبلَه**، ويُسمَّى حينئذ جواب الطلب. ومن صيغ الطلب الأمر أو النهي، نحو: اِفعلْ خيرًا تَنَلْ ثوابًا. (الأصل: تَنالُ).

وكقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

فالفعل (تَعَالَوا) فعل أمر(١) (طلب)، والفعل (نَدعُ) مضارع مجزوم جواب الطلب، والفعل (نبتهلْ) مضارع معطوف على (ندع) مجزوم مثله، والفعل (فنجعلْ) مضارع مجزوم معطوف على (نبتهلْ).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) مبني على حذف النون، والواو فاعل.

• فإن لم يكن المضارع مسبَّبًا عن طلب لم يُجزم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، أي: لا تُعْطِ مستكثرًا (طالبًا الكثير عِوضًا عنه). ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وكقول الإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ) في مطلع قصيدته (حُكم القضاء):

دَعِ الأيامَ **تفعلُ** ما تشاءُ وطِبْ نَفْسًا إذا حَكَمَ القضاءُ

ولا تَجْزع لحادثة الليالي فما لِحوادث الدنيا بقاءُ

فالأيام تفعلُ ما تشاء، تركتها أم لم تتركْها...

• قبل الدخول في صلاة الجماعة، غالبًا ما نسمع الإمام يقول:

«اِستَوُوا إلى الصلاة يرحمُني ويرحمُكم الله» برفع الفعلين (يرحمني ويرحمكم)، أدبًا مع الله تعالى، إذ رحمة الله غير معلومة لنا على **جهة القطع**، ويُعَدُّ الفعلان المذكوران صيغة دعاء. كما تقول عند تشميت مَن عطس: يرحمُك الله.

قال سيبويه[٢]: «وتقول ذَرْهُ[٣] يقلْ ذاك، وذَرْهُ يقولُ ذاك، فالرفعُ من وجهين: أحدهما الابتداء [استئناف]، والآخر على قولك: ذرْهُ قائلًا ذاك، فتجعل(يقول) في موضع (قائلًا)».

فمِثل الجزم قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣]، ومثل الرفع قوله تعالى جَدُّهُ: ﴿ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

(٢) الكتاب ٣/ ٩٨- ط٣، ١٩٨٨ بتحقيق عبد السلام هارون.

(٣) هذه صيغة الأمر من الفعل (وَذِرَهُ يَذَرُه: يتركه. ذَرْهُ: أُتْرُكْهُ. وقد أماتت العرب ماضيه ومصدره، فإذا أريد الماضي قيل: تَرَك).

وقال عزَّ وجلّ: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]. فالرفع على وجهين: على الابتداء، وعلى قوله: اضربْهُ غير خائفٍ ولا خاشٍ.

* * *

الكَشْكول اللغوي (٣)

العقاقير والعَقارات والعُقار والعاقر والعَقْر

أ. د. رفعت هزيم(*)

أ- «العقاقير» و«الأدوية» لفظان مترادفان اليوم، وبيّن الثعالبي العلاقة بينهما بقوله: «كلُّ نَبْتٍ يقعُ في الأودية فهو عَقّار والجمع عقاقير،... والعقاقير في ما تُعالجُ به الأدوية كالتوابل في ما تُعالجُ به الأطعمة»(١). وذكر ابن منظور في شرحه لأوّلهما صيغتين لمفرده، قال: «العَقّار والعِقّير- بالتشديد -: ما يُتداوى به من النبات والشّجر،... وقال الجوهريّ: العقاقير أصولُ الأدوية»(٢). ولو نظر المرء في كتب المتقدّمين كالطبري وابن عربي وابن خلدون والنويري - على اختلاف مشاربهم- لوجد أنهم يستعملونهما في تراجم الأطباء متعاطفَينِ دون بيان الفرق الدلالي بينهما، فيقولون: أُعطيَ فلانٌ الحكيم معرفة العقاقير والأدوية(٣)، غير أنّ بعضهم بيّن أنهما ليسا مترادفين، فقد ذكر ابن شاكر في كتابه «فوات الوفيات» أن الخليفة العباسيّ المستنصر بالله أرسل إلى دُور المرضى في مكة والمدينة «ما تحتاج من

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) فقه اللغة ١ و٦.

(٢) اللسان.

(٣) وقد ورد بالدلالة نفسها في الحبشية الجعزية بصيغتي الجمع ʿaqâqîr والمفرد ʿaqâr: Leslau 68، والظاهر أنهما من العربية.

العقاقير والأدوية المركبة»، مما يعني أنّ العقاقير هي الأدوية المفردة. ولذا جعل ابنُ البيطار (ت٦٤٦هـ) عنوان كتابه المعروف الذي تضمّن أسماء الأدوية وأوصافها ومنافعها: «الجامع في الأدوية المفردة»؛ لأنّ الأطباء كانوا يستمدّون المواد من النبات ويحضّرون منها الأدوية. وبذلك يتضح تعريفهم العقاقير بأنها «أصول الأدوية». ولا غرابة في أن يكون لقب ابن البيطار في كتاب «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين الصفدي هو «ابن البيطار العشّاب»، فقد ذكر ابن أبي أُصيبعة أن ملك الأيوبيّين الكامل كان يعتمد على ابن البيطار في الأدوية المفردة والحشائش، وجعله رئيسًا على سائر العشّابين في الدّيار المصريّة. وبيّن لنا ياقوت الحموي في أثناء حديثه عن جزيرة سيلان في كتابه «معجم البلدان» أنّ فيها عقاقير كثيرة ليست في غيرها، ومنها: الدارصيني وزهرة البقم. وهذا يعني أن معظم العقاقير - ومنها المندل - كانت تُباعُ في دكاكين العطارين، ولذا يقول أبو فراس:

هذي عقاقيرُ العطارةِ كلُّها لمْ يحترقْ منهنّ إلا المَندلُ

وقد صنف ثيوفراستوس ٣٧٢-٢٨٧ق.م تاريخ النبات و طبيعة النبات ودرس فيهما نحو ٥٠٠ نبتة. وذكر بلينيوس ٢٣-٧٩م في التاريخ الطبيعي زهاء ألف نبتة. وأصدر ديسكوريدس في القرن الأول كتاب (المواد الطبية) وصف فيه زهاء ٦٠٠ نبتة طبية، وأصبح أهم مرجع في علم الأدوية حتى عصر النهضة.

ب- أمّا «عُقْرُ» الدار فهو «أصلها، وقيل: وسطها، وفي الحديث: ما غُزيَ قومٌ في عُقْر دارهم إلا ذَلّوا...، قال الأصمعي: عُقْرُ الدار: أصلها في لغة الحجاز، وأهل نجد يقولون: عَقْر، ومنه قيل: العَقَار، وهو المنزل والأرض والضياع...، وخصّ بعضهم بالعَقار النّخلَ...، وقيل: عَقارُ البيت: مَتاعهُ ونَضَدُهُ الذي لا يُبتذلُ إلا في الأعياد والحقوق الكبار...، وفي الحديث أن

النبي ﷺ ردَّ على بني العنبر ذراريهم وعَقار بيوتهم؛ أيْ: أمتعة بيوتهم من الثياب والأدوات، وعَقار كل شيء: خياره...»[٤].

ويظهر أن صيغة الجمع من «العَقار» لم تكن مستعملة في صدر الإسلام، ففي كتاب النبي ﷺ إلى ملوك حمير: «... وما كُتبَ على المؤمنين من الصدقة، من العَقار عُشر ما سقت العينُ وسقت السماءُ»[٥]، وظل الأمرُ كذلك حتى أوائل العصر العباسيّ، فقد روى ابنُ الجوزي في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» أنّ حريقًا وقع في الكرخ في عهد الخليفة المعتصم (ت٢٢٧هـ) «فوهب التّجّار وأصحاب العَقار خمسة آلاف درهم»، ولكنه ذكر كذلك صيغة الجمع المستعملة اليوم في خبر عن صاحب الوقف زمن الخليفة المعتضد (ت٢٨٩هـ) الذي أخذ ٤٠٠ دينار عن «العقارات» في أحد المواقع، غير أنّ ابن حجر العسقلاني في كتابه «الدّررُ الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لا يستعملها في روايته عن أحدهم الذي «اقتنى من العَقار بمكة ومن العبيد شيئًا كثيرًا». ثم غلبت صيغة الجمع المستعملة في القرون التالية – كما هي الحال اليوم – وصارت دلالتها أكثر وضوحًا، كقول المحبي في كتابه «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»: إنّ فلانًا «اقتنى دُورًا وأتباعًا وعبيدًا، وتملّك عقارات وبساتين وحوانيت وحمّامات».

أما العربية الجنوبية فقد ورد في السبئية منها لفظان، ويبدو أنّ أحدهما وهو ᶜqr يناظر «عَقار» وانفردت بالآخر، وهو mᶜqr، وكلاهما بمعنى «أرض يسقيها المطر»[٦] وهو خاصٌّ بالسبئيّة وحدها.

(٤) اللسان.

(٥) تهذيب سيرة ابن هشام ٢٧٩.

(٦) المعجم السبئي ١٨.

ج- وعقد الثعالبيّ في كتابه «فقه اللغة» فصلًا لأسماء الخمر وصفاتها، ومنها «العُقار»، فقال: «الخمرُ اسمٌ جامع، وأكثرُ ما سواه صفات، الشَّمول... والخَنْدريس... والرّحيقُ... والرّاح... والعُقارُ: التي عاقرت الدَّنَّ زمانًا؛ أي: لازمتهُ، عن الأصمعيّ»[٧]. ثم ذكر ابن منظور هذا الاشتقاق، وأضاف إليه أوجهًا أخرى، فقال: «سُمّيتْ بذلك لأنها عاقرت العقلَ وعاقرت الدَّنَّ؛ أيْ: لزمتهُ، ومُعاقرةُ الخمر: إدمانُ شربها، وفي الحديث: لا يدخل الجنّةَ مُعاقرُ خمرٍ،... ابن الأنباري: أصلهُ من عُقر الحوض، وهو أصلهُ؛ لأنّ شاربها يلازمها ملازمة الإبل الواردة عُقر الحوض حتى تَروى، وقال أبو سعيد: مُعاقرةُ الشرابِ مُغالبتهُ، يقول: أنا أقوى على شُربه، فيغالبهُ فيغلبهُ»[٨]. وسُمّي «العُقار» كذلك عند الراغب الأصفهاني «لكونه كالعاقر للعقل»[٩].

وإذا كان بعض أسماء الخمر دخيلًا فإنّ أحدًا من المتقدّمين لمْ يشكّ - فيما أعلم - في عربيّة «العُقار»، غير أن بعض المستشرقين ومَن سايرهم من العرب أنكروا أصالته في العربية، فقد أورده فرنكل في فصلٍ من كتابه بعنوان «أسماء الخمر وآنيتها»، وخلاصته أنّ عرب الجاهلية جلبوا الخمر ومعها معظم أسمائها من خارج الحجاز، ولذا جعل «العُقار» من ʿeqârâ في السريانية[١٠].

وقد شاع استعمال هذا اللفظ لدى الشعراء، كقول الأعشى:

وتَحسبُ أنهمُ مَوتى إذا ما تَمَشّتْ فيهمُ الرّوحُ العُقارُ

وذكره ابن المعتزّ مع مرادفين له:

---

(٧) فقه اللغة ٩٠.

(٨) اللسان.

(٩) المفردات، ولعله المراد بما ورد في اللسان «قيل: هي التي تَعقِرُ شاربها».

(١٠) Fraenkel 163 ، وكذلك: نخلة ١٩٦.

اسْقني الرّاحَ في شبابِ النهار وانْفِ هَمّي بالخَندريس العُقارِ

د- وهناك لفظا «العَقْر» و«العُقْر»؛ أيِ: العُقْمُ، وهما صيغتا المَصدر من: عقَرَت المرأةُ والرَّجلُ، وعقُرا كلاهما، فهو وهي عاقر، ورجالٌ ونساءٌ عُقَّرٌ، «وامرأة عاقر: اسمٌ بمعنى النَّسب بمنزلة امرأة حائض وطالق وكذلك الناقة،...»(١١).

وقد ورد «العاقر» في القرآن الكريم على لسان زكريا وصفًا لامرأته: ﴿وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ﴾ [آل عمران: ٤٠]، و: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم: ٥، ٨]. ومن الطريف أن تكون الصيغة واحدة للرجل والمرأة في العبرية أيضًا ʿâqâr(١١) في حين تفرق السُّريانية بينهما، ففيها ʿaqrâ للرجل و ʿqartâ للمرأة.

ونشأ عن هذا المعنى دلالات أخرى نحو: «وعُقْرةُ العِلْم: النسْيان،... وعقُرَ الأمرُ عَقْرًا: لمْ يُنتجْ عاقبةً، قال ذو الرمّة يمدح:

فَشَدَّ إصارَ الدِّينِ أيّامَ أذْرُحٍ وَرَدَّ حُروبًا قد لَقِحنَ إلى عُقْرِ

أيْ: رَجعنَ إلى سكون. والعاقر من الرَّمل: ما لا يُنبت، يُشبّهُ بالمرأة»(١١).

هـ- ومن الثلاثيّ أيضًا، وهو على وزن «فعَلَ»: عقَرَ البعيرَ عَقْرًا: ذبحه، وقد ورد في القرآن الكريم في الحديث عمّا فعلته ثمود بناقة صالح: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعراف: ٧٧] و: ﴿ ﴾ [هود: ٦٥، الشعراء: ١٥٧، الشمس: ١٤] و: ﴿ b c d e ﴾ [القمر: ٢٩] «أيْ: تعاطى الشّقيُّ عَقْرَ الناقة فبلغ ما أراد...، وعقَرَ الفرسَ والبعيرَ بالسّيف: قطع قوائمه...، قال الأزهريّ: العَقْرُ عند العرب كشفُ عُرقوب البعير، ثم جُعلَ النَّحْرُ عَقرًا؛ لأنّ ناحر الإبل يعقِرها ثم يذبحها»(١١).

(١١) اللسان.

وقد ورد الفعل بهذا المعنى بصيغة ᶜâqar في العبرية[١٢] و ᶜqar في السُّريانية[١٣].

فإذا كان على وزن «فعِلَ» – أيْ: عقِرَ – نشأت دلالة قريبة، فالعَقَرُ «أنْ تُسْلِمَ الرّجُلَ قوائمُه إلى الخوف، فلا يقدرُ أن يمشيَ من الفَرَقِ والدَّهَش،... وفي حديث عمر ﷺ أن النبي ﷺ لمّا مات قرأ أبو بكر ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، قال عمر: فعَقِرْتُ وأنا قائم حتى وقعتُ إلى الأرض»[١٤].

فهل ثمة رابط اشتقاقي بين «العقاقير» و«العَقارات» و«العُقار» و«العاقر» و«العَقْر» التي لمْ يشكّ أحدٌ من المتقدّمين في عربيّة أيٍّ منها ؟ يظهر أنهم حاولوا الجمع بين هذه الألفاظ بدلالاتها المختلفة على النحو الذي فعله الراغب الأصفهاني، قال: «عقْر الحوض والدار – بضم العين وفتحها –: أصله، وعَقَرْتُهُ: أصبتُ عُقْرَهُ؛ أيْ: أصْلَهُ، ومنهُ عَقَرتُ النّخلَ: قطعتُهُ من أصلِه، وعَقَرتُ البعيرَ: نحرْتُهُ...، وامرأةٌ عاقر: كأنها تعقِرُ ماءَ الفحل... والعُقْرُ: آخرُ الوَلد، والعُقارُ: الخمْرُ لكونه كالعاقر للعقل...، والعقاقير: أخلاطُ الأدوية»[١٥].

أما اليوم فإنّ بعض المستشرقين ومَن سايرهم من العرب أنكروا أصالة «العُقار» في العربية، فقد أورده فرنكل في فصلٍ من كتابه بعنوان «أسماء الخمر وآنيتها»، وخلاصته أنّ عرب الجاهلية جلبوا الخمر ومعها معظم أسمائها من خارج الحجاز، ولذا جعل «العُقار» من ᶜeqârâ في السُّريانية مع أنه لا يُستعمل فيها للدلالة على الخمر، وادّعى أن العربية صاغت منه

(١٢) KBL 827.

(١٣) Brockelmann 543-544

(١٤) اللسان.

(١٥) المفردات ٣٤١، وانظر اللسان.

«العَقّار» – وهو مفرد «العقاقير» – المرادف عنده لـ «الدِّرياق»، وهو من أسماء الخمر أيضًا؛ لأن العرب يصفون الخمر بأنها دواء، وانتقل إلى «العَقار» – المفرد من «العَقارات» – فقرنه بـ «عقْر الدار: أصلها»، ولكنه فصلهما عن «عَقَرَ البعيرَ والفرسَ»(١٦). أما برصوم فقد أورد «العقاقير» وحده، وادّعى أنه من ʿeqârâ في السُّريانية؛ لأن معناه فيها «أصلُ كلّ شيء، وهو منسوب إلى زهاء ٢٥ نوعًا من النبات كعقّار آدم والعقار الخصب وعاقر قرحا»(١٧).

ولا يصعب على المرء بعد هذا العرض أن يستنتج أن أيًّا من هذه الألفاظ ليس دخيلًا في العربية، وأنها – أو بعضها– من الألفاظ المشتركة في الساميّة الغربيّة.

* * *

المصادر والمراجع

بالعربية:

- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية: مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، دمشق ١٩٥١.
- تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، ط٦ القاهرة ١٩٨٦.
- غرائب اللغة العربية: رفائيل نخلة، بيروت ط٣ ١٩٨٤.

(١٦) Fraenkel 233+163.

(١٧) برصوم ١١٨.

- فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي، بيروت ط١ ١٩٩٧.
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت د.ت.
- محيط المحيط: بطرس البستاني، بيروت ١٨٧٠.
- المعجم السبئي: أ.بيستون، ج. ريكمانز، م. الغول، و. مولر، بيروت ١٩٨٢.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت د.ت.

باللغات الأجنبية:

- Brockelmann,k.: Lexicon Syriacum.1928, Neud.Hildesheim 1966.
- Fraenkel , S.: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden 1886 , Neud. 1982.
- KBL = L. Koehler & W. Baumgartner: Hebräishes und Aramäisches Lexikon zum Alten Testament. 3 Auflage. Leiden 1967- 1995.
- -Leslau , W.: Comparative Dictionary of Ge^{c}ez. Wiesbaden 1987.

* * *

التعريفُ والنقد

«الدلالة العربية المعاصرة:
تطبيقات على المتداول اليومي»

تأليف د. فايز الداية

عرض أ. د. عبد الناصر عسّاف(*)

كان ممّا صدر سنة ٢٠٢١م في سلسلة (قضايا لغوية) التي تصدر عن الهيئة العامّة السورية للكتاب كُتيّبُ (الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات على المتداول اليومي) للأستاذ الدكتور فايز الداية(١)، الذي عُنيَ فيه برصد ما في بعض المتداول اليوميّ في العربيّة المعاصرة من الألفاظ والتراكيب واستعمالاتها من تطوّرٍ دلاليٍّ، وتبيينه وتحليله بإيجاز.

وقد بنى المؤلّف الكتيّب في ثلاثة أقسام مترابطة:

الأوّل: قسمٌ نظريّ عنوانه (إشارات ودلالات على الطريق)، فيه خطوط نظرية مجملة كما قال المؤلّف [ص١٠٤]، تكلّم فيه على الدلالة والدوالّ، والعلاقة بين الدالّ والمدلول، ومعرفة القدماء في العالم القديم: سورية وبلاد الرافدين ومصر والهند واليونان للدلالة، وبروز بدايات علم الدلالة

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات في المتداول اليومي، د. فايز الداية، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق، ٢٠٢١م. وقد رأيت أن أحيل على الكتيّب في المتن تجنّبًا لكثرة الحواشي.

في جهود عدد من اللغويّين الأوربيّين: الفرنسي رويال، والسويسري دو سوسور، وتلميذه شارل بالي، والإنجليزي فيرث، ومولد كتب بعنوان («علم الدلالة» semantics – semantique) في اللغتين الفرنسية والإنجليزية في النصف الثاني من القرن العشرين؛ وعرض لبعض ما للدلالة وعلم الدلالة من مفاهيم ومصطلحات كالسياق والمساحة الدلالية والوحدات الدلالية والحقول الدلالية، وقوانين التطوّر.

وقد عرّف بعد ذلك بالمتداول اللغويّ المعاصر الفصيح واللهجيّ، وبالرصيد اللغويّ (الثروة اللفظية) بأقسامه: الرصيد العامّ الذي لا تتغيّر دلالاته، والرصيد المتطوّر تلبيةً لما يستجدّ، والرصيد الثقافيّ المرتبط بالبيئة الحضارية والمستوى الحضاريّ، والرصيد العمريّ والتعليميّ المرتبط بمراحل عمرية معيّنة للأطفال؛ ونبّه على أنّ المتداول اللغويّ في أيامنا يستمدّ من الرصيدين الأوّلين، ويبذل للاتّساع في تداول غنيٍّ يفي بحاجات الحقبة الزمنية وتفاعلاتها.

والثاني: قسم تطبيقيّ عمليّ، عليه كان التركيز، «وهو يدور في فضاء لغويّ واسع» كما قال [ص١٠٤]، نهض فيه المؤلّف ببيان التطوّر الدلاليّ في جملة صالحة من الألفاظ والتراكيب التي تجري في المتداول اليوميّ من العربيّة المعاصرة. وقد بلغت تلك الألفاظ والتراكيب التي سردها فيه، وبيّنَ ما فيها من تطوّر دلاليّ بشيء من إيجاز، وساقها في عناوين ظاهرة زُهاء (١٣٨). وربّما سرد ألفاظًا أخرى قليلة في أثناء الكلام على بعض تلك الألفاظ المعلنة، على وجه من التقريب والتوضيح، أو التأييد، أو التنظير، أو المقارنة.

وكان من أمر المؤلّف أن صنّف تلك الألفاظ والتراكيب التي عُني ببيان تغيراتها الدلالية في ثلاثة أقسام أو محاور:

١- الألفاظ اليومية الحيوية في البيت والشارع والعمل والعلاقات

الاجتماعية.... وجعل لهذا المحور عنوان (تجوال مع الدلالة اليومية)، وساق فيه (٧٤) كلمة وتركيبًا، منها: تبُّولة، مكدوس، عقارب الساعة، غزْل البنات، الهاتف، قوّس، ذخيرة.

٢- ألفاظ من القطاعين الطبي والرياضيّ، عَنْوَنَ لها بـ(دلالات طبية ورياضية)، وساق فيها (٢١) لفظًا وتركيبًا، منها: ميزان الحرارة، القطرة، زراعة، الممرّض، الملاعب الخضراء، بطاقة حمراء، بيع اللاعب.

٣- ألفاظ من حقول المواصلات والتواصل والفن، صنّفها فيما أسماه (مع المواصلات والاتصالات والفنّ)، وساق فيها (٤٣) لفظًا وتركيبًا، منها: الشاحنة، صاروخ، سفينة الصحراء، الفأرة، الجوّال، شريحة، وجه جديد، لقطة، القناة.

وممّا نصّ عليه المؤلّف في تناول تلك الألفاظ [ص٢٥]: أنّ «خطّتنا قائمة على تتبّع عدد من الدلالات العربية فيما يقارب الحقول الدلالية، وذكر ما فيها من تطوّر، بالإشارة إلى المساحة الدلالية ووحداتها، وقوانين التطوّر الدلاليّ: التوسّع والتخصيص والنقل الدلاليّ، مع ما لها من خطٍّ تطوّريّ مشارك، وهو التطوّر من المحسوس إلى المجرّد.».

والثالث عَنْوَنَ له المؤلّف بـ (نصوص دلاليّة معاصرة)؛ وقد أورد فيه عشرة نصوص معاصرة صاغها المؤلّف كما قال [ص٩١] «متضمّنة الدوالّ في حالات نصيّة متنوّعة...لتكون مناسبة للتحليل بكثافة حضور الدوالّ المتطوّرة، وبتركيز عدد من الحقول الدلاليّة البارزة..، مسوقة في إطار حكائيٍّ مشوّق يقرّبها من حيويّة التداول اللغويّ.».

وقد عُنيَ المؤلّف بالتحليل الدلاليّ المكثّف للنصّ الأوّل، الذي لحظ فيه الرصيدَ اللغويّ العامّ المشترك الذي لا يتغيّر، والتطوّر الدلاليّ الذي كان في الاستعمال قديمًا، ولا يزال مستعملًا، والتطوّرات الجديدة، وراعى

طبيعة السياق وعلاقاته، والدوالّ المتطوّرة حديثًا، وميّز بين مكوّنات النصّ اللغويّة، والحقول الدلاليّة فيه.

وقد قدّم الدكتور الداية لذلك بمقدّمة بيّن فيها [ص٥] أنّ «الدراسة الدلاليّة جديدة في المناهج التعليمية [وهي دون شكٍّ جدّة نسبيّة]، رغم أنّ معطياتها تدخل الحياة اليومية، في مختلف المجالات التواصلية، في البيت والعمل والسوق والمدرسة والجامعة...».

وشدّد فيها على «ضرورة الوعي الدلاليّ في مفاصل حياتنا»، وبثّ [ص٦] أمله في «أن نجعل الدراية الدلاليّة بعضًا من الثقافة الشعبية، وعندها نتفاعل مع عربيتنا على نحو تواصليّ، وكلٌّ يجرّب تطبيقاتٍ فيها، وذلك ممّا تتيحه السليقة الحيويّة للغة».

ونصّ [ص٧] على «أنّ الوعيَ بالدلالة الواقعية المعاصرة التي تدور بيننا هو أساس لمجتمع منتج متماسك، زيادة على مكسب كبير هو إيماننا بفاعلية العربية واتّصالها بالحياة في مواجهة طغيان اللغة الأجنبيّة».

ونبّه المؤلّف [ص٧-٨] القارئَ على أنّ الوقوف على الدلالات التي نستعملها، وقد لا نعرف ماهيتها المتطوّرة والمتجدّدة «يفتح الأعين على كمٍّ كبير ومبرمجٍ للنيل من لغتنا بطمس المعرفة حولها وإغراق الفضاء الاجتماعي والتدريسي والثقافيّ بالرموز الأجنبيّة، وثمّة من يريد تطبيق ما وصفه ابن خلدون من التبعيّة في المجتمعات المتقدّمة القويّة في كلّ شيء، ولكنّنا نقول: وعينا بأنفسنا ولغتنا يحبط رغبات التدمير».

• من أهداف المؤلّف وغاياته:

ترى في مقدمة الكتيّب، أو في بعض كلام المؤلّف هنا وهناك، بعضَ الغايات والأهداف التي أرادها من وراء هذا الكتيّب، أشار إليها أو أعلنها

إعلانًا. ومن ذلك:

١- نشر الوعي الدلاليّ بحيث يصبح جزءًا من ثقافتنا الشعبية، ويجعلنا نتفاعل مع عربيّتنا على نحو تواصليّ.

٢- تعريف القارئ بماهية التطوّر والتجدّد في جملة من الدلالات التي نستعملها، وقد لا نعرف ماهية التطوّر والتجديد فيها؛ والتنبيه على ما في بعض وجوه الاستعمال المألوفة من حيويةٍ وفروقٍ دلاليّة.

٣- تأكيد فاعلية العربية واتّصالها بالحياة في مواجهة طغيان اللغة الأجنبية.

٤- التحذير ممّا يريده بعض الناس ويسعون إليه من طمس للهوية، وتغريبٍ وتبعيّة، والتنبيه على سعيهم المبرمج للنيل من لغتنا بطمس المعرفة بها، وإغراق الفضاء الاجتماعي والتدريسي والثقافي بالرموز الأجنبية رغبة في التدمير.

٥- نصح الباحثين من الأجيال الجديدة بالنأي عن تلك المتاهات التي تُصنّف في كتب، وتُجعَل رموزًا في معاجم، وتربك سيرورة العربية وحيويتها.

وكلّ ذلك دالٌّ على رؤية واضحة، ومنهج مسدّد، وراءهما غيرة صحيحة على العربية، ورغبة صادقة في خدمتها.

• المنهج:

كان المؤلّف يسوق في الدراسة التطبيقية، وهي مركز الكتيِّب، ألفاظ كل قسم أو محور في الدراسة التطبيقيّة غالبًا كيفما اتّفق، دون ترتيب معيّن، وهو ما نصّ عليه قبل الخوض في ذلك إذ قال [ص٢٦]: «ولن نعوّل ضمن كلّ محور على ترتيب أبجديّ أو سواه، فهذا مكانه فهرس في ختام الكتيّب».

كان يُعَنْوِنُ للكلام على كلّ لفظٍ أو تركيب ممّا اختاره من ذلك باللفظ أو التركيب نفسه، ثمّ يبيّن بالوصف والتحليل ما فيه من تغييرات دلاليّة، منبّهًا على العلاقة بين دلالة اللفظ أو التركيب المتداولة في الاستعمال

المعاصر وبين الدلالة العامّة القديمة، أو على ضروب التطوّر الدلالي من اتساع أو تخصيص أو نقل.

وعلى أنّه ربّما أوحى له الكلامُ على هذا اللفظ أو ذاك بلفظ آخر يضاهيه، أو فيه شيء ممّا فيه، فيتكلّم عليه في أثناء الكلام على اللفظ الأوّل كما في الكلام على (حفر الكوسا والباذنجان، والبطاطا والبندورة...) [ص٢٨-٢٩] الذي وقع فيه توسّع دلاليّ؛ لأنّ المعروف في استعمال الفعل «حفر» في العربية أن يكون للبئر والخندق بأدوات حادّة. ذكر المؤلّف ذلك، وذكّره باستعمال أهل حلب للفظ «قعور الكوسا»، فما كان منه إلّا أن بيّن ما فيه فقال: «وقد مرّ بتحوير صرفيّ بقلب مكانيّ لـ(عقر) فيقولون: قعور الكوسا... وقانون التطور هو النقل الدلالي، فالأصل عَقْرُ الإنسان أو الحيوان؛ أي: الإصابة بقطع أو جرح بليغ».

أو يتكلّم عليه بعد الفراغ من الكلام على اللفظ الأوّل كالذي كان مثلًا في كلامه على التطوّر المجازي الاستعاريّ في «مسح فلان الأطباق»: إذا لم يُبقِ فيها شيئًا من الطعام؛ لنهمه وحبّه للأكل؛ وفي «مسح اللصُّ الخزنة». انتهى المؤلّف من بيان ذلك الذي ذكّره بالفعل «نظّف» وما فيه من شبه ومضاهاة، فانتقل للكلام على اللفظ الآخر.

قال [ص٤٠]: «**نظَّفَ**: يتناوب هذا الدالُّ (**نظّف**) مع الدالّ (**مسح**) في الدلالة الأصليّة والدلالة المتطوّرة.».

ولذلك قد يمثّل المؤلّف تقريبًا وتوضيحًا وتأييدًا لما كان في بعض تلك الألفاظ من وجوه التطوّر الدلالي المعاصر بلفظ آخر من الألفاظ المعروفة التي أصابها ما أصاب ذلك اللفظ من تطوّر دلاليّ قديم. وهذا ما نراه في كلامه على كلمة «المِصْعَد» التي أصابها توسع دلاليٌّ؛ لأنّه يستخدم للصعود والنزول.

قال بعد أن انتهى من بيان ذلك [ص٥٢]: «وهذا يذكّرنا بالاستخدام القديم للدال (القافلة)، وتعني العائدة من سفر أو رحلة وما شابه، ولكننا نستخدم الدالّ في الذهاب والإياب، فنقول: سافرت القافلة».

وربّما دفع الكلامُ على هذا اللفظ أو ذاك المؤلّفَ إلى الكلام على بعض متعلّقاته ممّا كان فيه شيء من تلك المتغيّرات الدلاليّة. ومن ذلك أنّ كلام المؤلّف [ص٣٢-٣٣] على «الكُبّة» التي كان فيها تعميم لما فيها من شبه بالخيوط التي تُلفّ معًا =ساقه إلى الكلام على بعض أنواع «الكبّة» التي كان فيها شيء من التطوّر الدلاليّ. ومن ذلك النوع المسمّى بالدراويش.

قال المؤلّف: «الدراويش: وقد تطوّرت دلاليًّا بالاستعارة، وهي أشكال محشوّة ومقليّة مدبّبة الطرفين مخروطيًّا كما هي قلانس بعض الدراويش في أزيائهم...».

ومن جملة الألفاظ ما كان التغيّر الدلاليّ فيه متعدّدًا، وهو ما نبّه عليه المؤلّف إذ قال [ص٢٥]: «وسنجد دوالَّ تطوّرت عدّة مرّات من غير تعارض بينها، فالسياق هو الذي يحكم أبعاد الدلالة في النصّ».

وهذا الضرب من التغيّر كان المؤلّف يلتفت إليه أحيانًا في أثناء الكلام على اللفظ نفسه، أو ينقل الكلام على أوجه التطوّر وجهًا بعد وجه بحسب استعمال اللفظ إلى فقرات مستقلّة يعنون لها باللفظ نفسه.

فمن الأوّل مثلًا ما كان في الكلام على «الهوائيّ» [ص٩٠]، وهو مستقبل الموجات الكهرومغناطيسية للبثّ الإذاعيّ. وهذا فيه - كما قال المؤلّف- تخصيص دلاليّ؛ لأنّ الهوائيّ نسبة إلى كلّ ما يتّصل بالهواء وتصريف الأمور به. ووقع فيه إلى ذلك كما قال المؤلّف: «تطوّر دلاليّ آخر عبر المجاز الاستعاريّ، عندما يقول بعضهم معرّضًا بآخر: إنّه يشغّل

الهوائيَّ، ويقصد أنّ ذاك الرجل يُصيخ سمعًا، بل هو يسترق السمع».

وترى الثانيَ فيما كان في الكلام على كلمة «كشّاف» التي رصد فيها الدلالات المتطورة في أربعة من وجوه استعمالها [ص٥٧-٥٨] في أربع فقرات، جعل لكلٍّ منها العنوان نفسه «كشّاف»؛ «فالأصل -كما قال المؤلّف- أنّه اسم دالٌّ على مبالغة اسم الفاعل، وهو من يرفع ما غُطّيَ أو يُخرج المخبوء»، ثم كان من دلالته في المتداول المعاصر التعبير عن (الكشّافة)، تلك المنظمة التي تضمّ الفتيان والشباب، وتُعنى بجوانب تربوية واجتماعية ورياضية وثقافية، وأفرادها واحدهم «كشّاف»، وفي هذا كما قال المؤلّف تخصيص للدلالة.

ثمّ نبّه المؤلّف في عنوان آخر مستقل على ما في استعمال هذه الكلمة بمعنى مصباح الإضاءة اليدويّ الذي يُشحَن بالكهرباء، ويستخدم في أغراض شتّى لإنارة الطريق والحركة، من تخصيص.

ثمّ عرض في عنوان ثالث لما في استعمال «الكشّاف» بمعنى الجهاز الضخم المعلّق في أعلى المسرح، المستخدم لإنارة جوانب من المسرح ضمن تقنيات العرض التمثيلي، من توسّع دلاليّ.

ثمّ نبّه في فقرة رابعة على الاتساع الدلاليّ في استعمال هذه الكلمة بمعنى الموظّف الذي يسجّل استهلاك الماء والكهرباء من خلال العَدّادات التي في البيوت، مستعينًا في عمله بمصباح كشّاف، وهو استعمال يكثر في البيئة المصريّة.

وقد يدفع الكلام على التغير الدلاليّ في بعض تلك الألفاظ أو التراكيب إلى ربط ذلك بما في بعض اللغات الأجنبية كالفرنسية مثلًا. فمن ذلك ما كان في الكلام على «الفرنيّات»؛ ذكر المؤلّف [ص٤١] أنّ الدلالة

في هذه الكلمة «تطوّرت قبل ما يزيد على ألف سنة في تراثنا اللغويّ والمطبخيّ، فهم أطلقوا الدالَّ: «فرنيّة» مخصّصةً ما يُخبَز من حلوى بأشكال صغيرة ومتنوّعة الطعوم؛ لأنّها تنضج في الفرن، وواضح أنّهم ميّزوا بعضًا ممّا يُحضّر في الفرن». ثمّ ربط ذلك باللغة الفرنسية.

قال: «ونلحظ أنّ اللفظ الأجنبيَّ الفرنسيّ مطابق لهذه التسمية المخصّصة، فهم يقولون: صغيرة الفرن لأنواعٍ من معجنات الحلوى (petit four) . ونجد الأفران وباعة الحلوى وزبائن لهم يستخدمون اللفظ الأجنبيّ!!».

وإلى ذلك كله تجد المؤلّف أحيانًا يحرّك كلامه بنفس طريف، و يبثّ فيه إشاراتٍ تاريخيةً واجتماعية وثقافية متّصلة بالماضي القريب لبعض أنحاء البلاد كالغوطة وحلب والشام.

وما تناوله المؤلّف من الألفاظ والتراكيب التي عُني بتغيراتها الدلالية المعاصرة ممّا هو متداول في بلادنا خاصّةً، بيد أنّ بعض ذلك كما يدلّ كلام المؤلّف ممّا علق بذاكرته، ممّا سمعه بنفسه وكان شاهدًا عليه في بعض البلاد، أو ممّا حُدّث به. فمن الأوّل ما سمعه [ص٧٨] في الكويت في التعبير عن مقود السيّارة بـ«السُّكّان»، وفي التعبير عن سائق السيّارة بـ«راعي السيّارة»، وفي التعبير عن الشّحّاذ أو المتسوّل الذي لا يكفّ عن التجوّل بين الناس والأسواق سائلًا بـ«الطّرّار» [ص٥٩]، أو ما أَلِفه في ثمانينيات القرن العشرين في اليمن، وعاصمتها صنعاء، من التعبير بكلمة «الدّبّاب» [ص٧٥] عن «حافلة أجرة صغيرة تتّسع لستة ركّاب، بمن فيهم السائق».

وترى الثاني فيما رواه المؤلّف [ص٧٩] من أنّ الأستاذ عبد الهادي هاشم (ت١٩٨٨م) – رحمه الله – روى لطلاب السنة الثالثة في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، وكان المؤلّف منهم، أنّه سمع الليبيين أواخر

الخمسينيات يستعملون كلمة «المَرسى» للتعبير عن موقف السيّارات؛ ينقلون بذلك الكلمة نقلًا دلاليًّا من مرسى المراكب في البحر.

وإذا كان الغالب أن يتناول المؤلّف في كلامه التطوّرَ الحديثَ في تلك الدلالات، وما كان من اليوميّ المتداول؛ فإنّ ثمّة تطوّراتٍ وقعت في بعض تلك الألفاظ والتراكيب في الحقب السابقة في تاريخ العربيّة، ممّا يعرفه المختصّ والمطّلع، تجد المؤلّف أحيانًا ينبّه عليها، كما في كلامه [ص٥٤] على كلمة «السوق»: هذا الدال القديم الذي لا يزال متداولًا، وأورده المؤلّف كما قال للإضاءة على حركة الدلالة، وما في مساحته من اتساع بوحدات دلالية كثيرة =؛ وثمّة ما غاب عن مجال التداول اليوميّ، كالغدّارة التي بيّن المؤلّف [ص٦٠] أنّها كانت تُستعمَل بعد ابتكار المسدّسات والأسلحة الناريّة عامّة، حين كان الخصم يطلق النار عن بعد مفاجئًا، أي: أنّ يَغدِر بخصمه ولا يواجهه، للتعبير عن تلك الحالة أو عن السلاح الذي استُعمِل في تلك الحالة؛ وأنّ هذه التسمية غابت عن الاستخدام المعاصر بعد رواجها سنواتٍ في المواجهة الأولى مع تطوّر الأسلحة الفردية.

وقد يقترح المؤلّف في بعض كلامه استعمالَ اللفظ الذي يذكره بديلًا عنِ اللفظ الأجنبيّ الشائع، أو يعدّه ترجمة مقترحة للكلمة الأجنبيّة المنتشرة. ففي كلامه على ما أسماه «هلاليات» [ص٤٢] ذكر أنّ ثمّة نوعًا من المُعجّنات الفرنسية التي أضيفت إلى الأنواع الشرقية، يتخذ شكل نصف دائرة مجدولة، وبداخله ضروب من الحشو: الزعتر والجبنة والشوكولاه والمربّى... ثمّ قال: «وكان اسمها الأجنبيّ جاءنا معها، وهو يمثّل تطوّرًا دلاليًّا بالنقل، (croissant) ؛أي: ما يشبه الهلال. **ويبدو أنّ اقتراحًا بهذا الاستعمال العربي مناسب للترابط بين الدالّ والمدلول**».

وفي كلامه على «صفحات الوجوه» [ص٨٣] قال: «**هذه ترجمة مقترحة لـ (face book) لعلها تقاوم الكسل في المبادرات اللغوية المطلوبة مع المبتكرات الجديدة وبسليقة اللغة التي يملكها الجميع بدرجات،** وواضح في أصل التسمية الأجنبية أن ليس القصد إلى الكتاب، وإنّما هي صفحات، فكلّ يدوّن صفحة أو أكثر يوميًّا، ثم عند الاختصار يطلق الدالّ: وجه (face) ، وهو ضرب من المجاز المرسل المعبّر، جزء عن الكلّ، وهو الإنسان وفكره الذي تصدر عنه الكلمات والجمل».

• ملاحظات:

هذا الكتيّب من جملة الجيّد الذي صدر في سلسلة (قضايا لغوية). وهو يدلّ على حسٍّ عالٍ بالعربيّة والمتداول من وجوه الاستعمال، وقدرة على التقاط التغيرات الدلاليّة، وربطها بالدلالات اللغويّة العامّة، والتعبير عنها بعبارة سهلة واضحة مبينة، ولك إلى ذلك أن تصف اللغة التي عبّر بها المؤلّف عن مراده بما وُصِفت به في العنوان الخارجيّ للكتيّب من أنّها «لغة واثبة رصينة مكثّفة». وكلّ ذلك من المعهود عن أستاذ جامعي له ما له من خبرة طويلة، ومعرفة متميّزة بالعربية، ولا سيّما في الدلالة وعلم الدلالة اللذين كان له فيهما مؤلّفات جيّدة لها ذيوع وانتشار، منها كتاب(علم الدلالة العربي – النظرية والتطبيق) ١٩٨٥م، الذي وصفه المؤلّف في هذا الكُتيِّب [ص١٦] بأنّه أوّل كتاب بالعربيّة يحمل هذا العنوان.

على أنّه بدا لي في مواضع معدودة ما يحتمل القول على القول؛ لأنّ الكلام فيها لم يبلغ في رأيي مبلغ ما ينبغي من الضبط والإحكام والتدقيق. ومن ذلك:

– أنّ المؤلّف نصّ [ص٢٧] على أنّ استعمال الفعل «لبس» مع الثوب

والمئزر والملحفة، وما يكون من مكمّلات داخلية مألوفٌ، وأنّ الدلالة تتسع اتّساعًا قريبًا مع لبس الجورب والعمامة؛ لوجود فعلي «جورب – تجورب» و«تعمّم»، وتتّسع على نحو أبعد مع الحذاء الذي يُستخدَم معه أصلًا «انتعل»، وكذلك مع الخاتم والحليّ.

وفي هذا الكلام ما يقتضي التعقيب من وجهين:

أ- أنّ إطلاق الكلام دون أيّ قيد أو إشارة زمنيّة مقيّدة، في ضوء عنوان الكتاب والغالب على مادّته وموضوعه، يدلّ على أنّ المقصود بذلك هو الاستعمال اللغوي المعاصر، في المتداول اليوميّ. وهذا يوحي بمفهوم الخلاف أنّ استعمال الفعل «لبس» مع هذه الملبوسات أو بعضها لم يُعهَد في كلام القدماء. وهو خلاف الواقع؛ لأنّ هذا الفعل «لبس» استُعمِل مع بعض هذه الأشياء قديمًا، في سياق الاستعمال لا في سياق الشرح والتوضيح. على أنّ استعمال الفعل الدالّ على تلبّس تلك الأشياء نحو: انتعل، واختتم، وائتزر،... أكثر وأظهر.

ب – تدبّر الكلام في سياقه موحٍ بأنّ الأصل في الفعل المستعمل في الدلالة على ارتداء المئزر والملحفة هو الفعل «لبس»، وهذا خلاف الأصل؛ لأنّ الأصل في ذلك استعمال الأفعال: «ائتزر – تأزّر، التحف – تلحّف». وعلى أنّه استُعمِل الفعل «لبس» معهما بلا خلاف.

– قال المؤلّف في كلامه على كلمة «المِخَدّة» [ص٢٨]: «يمثّل هذا الدالّ تطوّرًا دلاليًّا، فالأصل القديم كان الدالّ: الوساد والوسادة، وهو كلّ ما يوضع تحت الرأس عند النوم، ولكن لوحظتْ ملامسة رئيسية لطرف الوجه: (الخدّ)، فقيل تعميمًا: (مخدّة)...».

هذا ما قاله المؤلّف، وفيه في ضوء السياق، موازنة بما قاله من أنّ الدالّ

القديم هو الوساد والوسادة، وفي ضوء الغالب على مادّة الكتيّب وموضوعه = ما يدلّ على أنّ «المِخَدّة» ليست من المستعمَل القديم، بل هو من المتداول اليوميّ المعاصر.

وهذا – إن أراده المؤلّف – ممّا لا يصحّ؛ لأنّ هذه الكلمة من القديم الذي ورد في استعمال القدماء بلا خلاف، وعليه نصّتِ المعاجم القديمة، وفسّرتِ اشتقاقه؛ فقد ورد فيها أنّها اشتُقّت من «الخدّ»؛ لأنّه يوضع عليها، وتوضع تحته.

وممّا وردت فيه كلمة «مخدّة» من كلام القدماء قول أبي تمّام[٢]:

لا شيء أحسنُ منه ليلةَ وصْلِنا وقدِ اتّخذتُ مِخَدّةً من خَدّه

ثمّ إذا كانتِ العرب قد لحظت تلك العلاقة بين «المخدّة» و«الخدّ» منذ أن وضعتْ دالَّ «المِخدّة» فأين التطوّر الدلالي؟ أم هل يُعتبَر ذلك بالنسبة إلى مرادفه ونظيره من غير مادّته؟

– نصّ المؤلّف [ص٧٥] على ما في كلمة «الشموع» الواردة في الاستخدام التقني في محرّكات السيّارات من تطوّر الدلالة بالنقل؛ ثمّ قال: «ونحن نرجّح اللفظ العربيّ المتطوّر، وهو (الشموع أو الشمعات) بدلًا من بقاء اللفظ الأجنبيّ bougies».

ومن المناسب المفيد هنا أن أعرض رأيًا طريفًا رآه عالم اللغات الهندي د. ف. عبد الرحيم في بيان أصل هذه الكلمة؛ فقد نصّ[٣] على أنّ كلمة «البوجي» بمعنى شمعة الاشتعال في السيّارة، من الكلمات الدخيلة في اللغة العربية الحديثة من اللغة الفرنسية، وتُكتَب فيها بهذه الصورة:

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام، ٤/ ١٩٣.

(٣) سحر الألحاظ في شعر الألفاظ، د. ف. عبد الرحيم، ص٣٦.

(bougie). ثمّ قال: «وقد تكون الحقيقة أغرب من الخيال. فاعلم أنّ هذه الكلمة الفرنسية من لغتنا العربية».

ثمّ بيّن أنّها في أصلها اسم المدينة الجزائرية «بِجاية» الذي حُرِّفَ إلى (bougie)، «واكتسبت هذه الكلمة معنى الشمع؛ إذ كانت هذه المدينة - وهي ميناء- تصدّر الشمع إلى أوربا». ثمّ قال: «فهذه بضاعتنا رُدّت إلينا مشوّهة المبنى، ومغيّرة المعنى».

- كان ممّا عُني به المؤلّف [ص٧٥] كلمة «الدبّابة» بمعناها المعاصر المتعارف، وهي كما قال: «آلية مدرعة هجومية مزوّدة بالأسلحة، لكنّها تتحرك بوساطة دوران سلسلة معدنية (الجنزير) تقوم مقام العجلات - الدواليب، وهذا ما يساعدها على عبور التضاريس المختلفة واقتحام مواقع العدوّ».

وقد ذكر المؤلّف ثمّة أنّ في هذا الدالّ نقلًا دلاليًّا من حقل الكائنات الحية التي تمشي مشيًا وئيدًا، في شيء من اختلاس الخطو، أو التسلّل المفاجئ.

وفي هذا نظر؛ لأنّ واضع هذا الدالّ «الدبّابة»- وهو يعقوب صرّوف (ت١٩٢٧م)[٤]- للآلية الحربيّة المدرّعة المعروفة، ربّما كان ينظر إلى تلك «الدّبّابة» القديمة التي عرفها المسلمون قديمًا، وهي كما قال ابن الأثير[٥]:«آلة تُتّخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجالُ ويقرّبونها منَ الحِصن المُحاصَر لينقُبوه، وتَقيهم ما يُرْمَون به من فوقهم».

«ولعلّ أقدم نصّ وردت فيه هو ما كان في حصار الطائف، إذ يقول المؤرّخون وكتّاب السِّيَر: «دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبّابة،

(٤) انظر المعجم العربي في لبنان، د. حكمت كشلي، ص٣٠١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ٢/ ٩٦.

ثمّ زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه»[٦].

فكأنّ في استخدام «الدبّابَة» للآلية الحربية المحدثة انتقالًا من الدالّ القديم الذي وضعه القدماء في التعبير عن تلك الآلة القديمة بجامع المشابهة في وجه أو أكثر.

وقد ربط الأستاذ عبد السلام هارون (ت١٩٨٨م) بين الدالّين القديم والحديث، وأشعر كلامه بوجه من القربى. قال[٧]:«التسمية قديمة جدًّا، والمضمون مختلف»؛ ثمّ ساق ما يدلّ على قدم استخدام «الدبابة» عند المسلمين، وبيّن المراد منها، ثمّ قال: «التسمية الحديثة موفّقة تعبّر عن المعنى المعاصر تعبيرًا دقيقًا. وما أجدرنا أن نتريّث في التعبير عن مستحدثاتنا!؛ فإنّ من المقطوع به أن نوفّق أو نقارب، إذا نقّبنا في قديم تراثنا».

على أنّ ذلك الاسم القديم كان فيه نقل دلاليّ من حقل المشي (الدبّ) كما تدلّ عبارة بعض العلماء في تفسير الدالّ القديم. قال ابن سيده[٨]: «والدّبّابة: التي تُتَّخَذ للحروب، ثُمّ تُدْفَع في أصل حِصن، فينقُبون وهم في جوفها، سُمِّيت بذلك لأنّها تُدفَع فتَدِبُّ».

– اقتراح المؤلّف ترجمة (face book) بـ«صفحات الوجوه» كما مرّ قبل، فضلًا عمّا اقترحه غيرُه من الباحثين والمهتمّين من ترجمة هذه العبارة بـ«كتاب الوجه» أو «الواجوه» = ليس من الواجب المفروض؛ لأنّ هذا الاسم ونحوه بمنزلة اسم العلم، وأسماءُ الأعلام لا تلزم ترجمتها، إلّا إذا أردتَ أن تعرف معانيها.

---

(٦) كناشة النوادر، عبد السلام محمد هارون، ص٦١.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (دبب) ٩/ ٢٨٠.

ومن المفيد هنا التنبيه على ما أفتى به مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية في مكّة، من [٩]: «أنّ كلمة «فيسبوك» بمنزلة اسم علم لموقع التواصل الاجتماعي الشهير «فيسبوك». وكذلك كلمة «تويتر» هي بمنزلة اسم علم لموقع التواصل الاجتماعي المعروف «تويتر». وأسماء الأعلام لا تُترجَم عادةً. وإذا تُرجمت فإنما تُترجم لمعرفة معانيها لا أكثر.

في هذا السياق يمكن اقتراح (الواجُوه) للفيسبوك و(المَغْرَد) لتويتر؛ لشرح معنى الاسمين للقراء العرب، وليس لاستبدالهما بالمصطلحين الأجنبيين؛ لأن الأمر يتعلق باسم علم كما تقدم. و(واجوه) و(غارود) على (فاعول) مقبولان، وقد ذهب بعض المترجمين العرب إلى جواز توظيف وزن (فاعول) في وضع المصطلحات الجديدة المتعلقة بالحاسوب. ومنها: (حاسوب) لجهاز الكومبيوتر، و(باحُوث) لمحرك البحث في الشبكة العنكبية مثل جوجل وغيره؛ و(خادُوم) لـ (server)، (ورابُوط) للبلوتوث (Bluetooth)... إلخ».

ولا ضير في رأيي من استعمال الكلمة معرّبة على هذا الوجه «فُسْبُك»، على وزن «فُعْلُلٍ»، اقتداءً بما رآه مجمع اللغة العربية في القاهرة [١٠].

- من سهو المؤلّف الذي لا يخفى عليه في ترتيب بعض المراجع التي ساقها في فهرس المراجع تقديمُ ما حقُّه التأخير وتأخير ما حقّه التقديم، فكانت (الفرائد الدرية) قبل (الصحاح)، وكان (القاموس المحيط) قبل

(٩) موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية www.m-a-arabia.com الفتوى ذات الرقم ١٦٧٥.

(١٠) انظر: كتاب الألفاظ والأساليب، إعداد لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ٥/ ٢١١-٢١٨. على أنّ لجنة مصطلحات المعلوماتية في مجمع اللغة العربية بدمشق اعتمدت في ذلك لفظ «فيسبوك»، قائمة مصطلحات المعلوماتية، ص١٢٥. وكذلك فعل مجمع اللغة العربية الأردني في قائمة «مصطلحات جديدة».

(كتاب سيبويه).

هذا ما رأيتُ أن أعرض له أو أعرّف به أو أنبّه عليه من كتيّب (الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات في المتداول اليومي)، فلعلّ في ذلك فائدةً. والحمد لله ربّ العالمين أوّلًا وآخرًا.

* * *

المصادر والمراجع

- الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات في المتداول اليومي، د. فايز الداية، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق، ٢٠٢١م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام، ط٣، دار المعارف – القاهرة.
- سحر الألحاظ في شعر الألفاظ، د. ف. عبد الرحيم، دار القلم – دمشق، ط١، ٢٠١٨م.
- قائمة مصطلحات المعلوماتية، إعداد لجنة مصطلحات المعلوماتية، مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٧م.
- كتاب الألفاظ والأساليب، إعداد لجنة الألفاظ والأساليب، الجزء الخامس، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
- كناشة النوادر، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

- مصطلحات جديدة ،موقع مجمع اللغة العربية الأردني.
- المعجم العربي في لبنان، د. حكمت كشلي، دار ابن خلدون - بيروت، ط١، ١٩٨١.
- موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية www.m-a-arabia.com .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

* * *

التَّنْبيه على التَّحْريف في مطبوع (الفصول والغايات)

أ. د. مِيثم محمَّد عليّ(*)

ملخَّص البحث:

أَشار البحث إلى مجموعة من الألفاظ الَّتي أَصابها تحريف في كتاب (الفُصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ) لأَبي العلاء المعريّ، وهي: (المُؤْدِي)، و(الثَّرْمَدِ)، و(حَروزِ)، و(ذِمارٌ)، و(الرَّاسِمُ)، و(مِسْئَب)، و(يَطْرُونِي)، و(لِغَيْرِي)، و(المِقْلاةُ)، و(كُنْتَ)، و(لُبَدٌ)، و(لَحْمُوم)، و(يُنْجِحُ)، و(نَفْس)، و(أَهْجَأُ)، و(الهالِكِين)، و(الهَلُوكُ). ونبَّه البحث على أَوهام أُخرى في الكتاب، وهي وَضْع لفظ مكان لفظ كوضع (الكَباث) مكان الأَراك، و(واسِع) مكان ضَيِّق. ونبَّه أيضًا على سقوط (لا)، و(إِنْ)، وزيادة (هو)، ورَدّ ما لِلصَّدْرِ عَلى العَجُز. وكلّ هذه التَّنبيهات مبنيَّة على الدَّليل الَّذي يؤيِّده السِّياق وغيره، وبهذا يكون البحث إِن شاء الله قد أَزال عن المواضع المذكورة ما شابها من خَلَل أو لَبْس.

مقدّمة:

عُنِي هذا البحث بالتَّنْبيه على الألفاظ التي أصابها تحريف في كتاب (الفُصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ) لأَبي العلاء المعريّ المتوفَّى

(*) كلية التربية بالجامعة المستنصرية – العراق.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٩/ ٦/ ٢٠٢١م.

سنة ٤٤٩ للهجرة، بتحقيق محمود حسن زناتي ومراجعة لجنة إحياء التُّراث العربيّ في دار الآفاق الجديدة ببيروت، والنُّسخة التي بين يديّ هي في الطَّبْع تالية لنسخة مطبعة حجازيّ بالقاهرة- ١٩٣٨ الَّتي ذُيِّلَتْ بأَربع صفحات ضمَّت ألفاظًا وقع فيها غلط طباعيّ، فقد رأيتُها مُصحَّحةً في الطَّبْعة الَّتي قام عليها البحث.

وكان أَبو العلاء قد أَبان الغاية من تأليفه هذا الكتاب، قال: «عَلِمَ رَبُّنا ما عَلِمَ، أَنِّي أَلَّفْتُ الكَلِمَ، آمُلُ رِضاهُ المُسَلِّمَ، وأَتَّقِي سَخَطَهُ المُؤْلِمَ، فَهَبْ لِي ما أَبْلُغُ بِهِ رِضاكَ مِنَ الكَلِمِ والمَعانِي الغِرابِ»[(١)]. والغرض الرَّئيس من هذا المُصَنَّف أظهره عنوانه، فهو موضوع في تمجيد الله تعالى، ووعظ النَّاس، وإسداء النُّصْح لهم، فالتّقديس والعِظة هيكل هذا الكتاب وعمود خيمته، ولأَبي العلاء أَغراض أُخرى رَغِبَ في أَنْ يُوعِبها هذا المُؤَلَّف، فقراءة الكتاب تهدي إلى سعة حفظه لألفاظ العرب، وحفظ ما انزوى منها، فبَثّ الرُّوح فيها، ولعلّه شَعَر أَنَّ كثيرًا من الأَلفاظ ظَلَّ مهجورًا، وصار في حكم المَنْسِيّ، فأَراد نفض الغُبار عنه، والعودة به إلى حَيِّز الاستعمال بأُسلوب نثريّ رفيع، فقدَّم للقارئ أَلفاظًا كثيرة تنتمي إلى المهجور، والغَرِيب، والنَّادر، والشَّارد[(٢)]، وما أَشْبَه ذلك. وثمَّة غاية أُخرى من هذا المُؤلَّف، وهي تعليم مَنْ كان يقرأ هذه الألفاظ ومعانيها وما يتعلّق بها من أخبار وأمثال ونقد وقصص حيوان مرويّة أو متخيّلة، وما أَشْبه ذلك. ويمكن القول: إنَّ عمله يصطفّ في ضمن نفائس التَّصانيف التي حفظت ما لم يستعمله أَبناء زمانه، أَو كان استعمالهم له نَزْرًا. ولعلَّ جزءًا ممَّا ضاع من كلام العرب كان بسبب اطِّراحه وقِلَّة استعماله، فكأَنَّ أَبا العلاء أَراد أَلَّا تضيع من معجم أَلفاظ

(١) الفصول والغايات ٦٢.

(٢) ينظر: الظَّواهر اللّغويَّة والنَّحْويّة في كتب الغريبين ١٧، والشَّارد ناءٍ عن الغريب (النَّتيجة ر).

العرب تلك الكلمات الَّتي طال انزواؤها، وكأَنَّه بهذا الصَّنيع يعالج مشكلة عانى منها موروثهم من الكَلِم، قال أَبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ): «ما انْتَهى إِلَيْكُمْ مِمَّا قالَتِ العَرَبُ إِلَّا أَقَلُّهُ»[٣]، فلا شكَّ في أَنَّ غير الدَّائر على الأَلْسن هو أَكثر عرضة للضَّياع، كالغريب وما أَشْبَهَه من المصطلحات، فانبرى له أَبو العلاء يُدْخِلُه فيما نظمه من قطع نثريَّة مرصَّعة بفنون البلاغة. وقد أبرز الكتاب اقتداره على التَّعامل مع هذه الألفاظ، وسعة حفظه لها، وبراعته في تقديمها للقارئ بأُسلوب أدبيّ متميّز مذيّل بتفسير ذي فوائد جمّة.

ذكر محمود حسن زناتي أَنَّ فضل وجود الفصول والغايات يرجع لـ«مُحِبِّ الدِّينِ الخَطِيبِ الَّذِي عَثَرَ بِهِ في دَشْتٍ اشْتَراهُ مِنْ شَيْخٍ وَرَّاقِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ عامَ ١٣٣٧هـ، واسْتَخْرَجَهُ مِنْهُ ورَتَّبَهُ...وقَدْ نَقَلَ مِنْهُ بَعْضَ فِقَرٍ، ووَصَفَهُ في مجَلَّتِهِ الزَّهراءِ (مُجَلَّد أَوَّل سنة١٣٤٣هـ)، وذَكَرَ أَنَّهُ دَخَلَ الخِزانَةَ التَّيْمُورِيَّةَ في رَمَضانَ مِنَ السَّنَةِ نَفْسِها؛ صِيانَةً وحِفْظًا لَهُ»[٤].

ومن يتصفح كتاب الفصول والغايات يجده مكوَّنًا من قِطَع نثريَّة مُصَدَّرة بكلمة رَجْع، وفي اللَّفظ دلالة على أَنَّ أَبا العلاء عاد إِلى تَأْلِيف الكَلِم. وتجيء في الرَّجْع كلمات غريبة بها حاجة إِلى بيان معناها؛ لذلك ذُيِّلَ بالتَّفسير. ويبدأ الكتاب بفصل غاياته الهمزة، فالباء، فالتَّاء، فالثاء، فالجيم، فالحاء، فالخاء.

ويُلْحَظُ أَنَّ المطبوع من الكِتابِ قام على نُسْخَةٍ مَخْرُومَة الأَوَّل والآخِر، فهُوَ يَبْدَأُ بِكَلِمَةِ (سَبِيلِ)، وما قَبْلَها مَبْتُورٌ[٥]. ويُلحظ أَنَّ الفصول الَّتي غاياتها ثاء وجيم وحاء وخاء مكتملة، وأَنَّ الفصول الَّتي غاياتها الهمزة والباء والتَّاء سقط

(٣) طبقات فحول الشّعراء ٢٥.

(٤) الفصول والغايات و. (مقدِّمة المحقِّق).

(٥) الفصول والغايات ١.

منها شيء[٦]. والمطبوع من الكتاب ينتهي باستيفاء آخِر ما في الخاء. ويبقى السُّؤال: أَين سائر الحروف؟ أَيكون أَبو العلاء قد تَوَقَّف عند هذا الحرف؟

ذكر ياقوت الحمويّ (ت٦٢٦هـ) أَنَّ مؤلَّفاته «عَلى ضُرُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، فمِنْها ما هُوَ في الزُّهْدِ والعِظاتِ وتَمْجِيدِ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى مِنَ المَنْظُومِ والمَنْثُورِ، فمِنْ ذَلِكَ: الكِتابُ المَعْرُوفُ بِالفُصُولِ والغاياتِ...وهُوَ كِتابٌ مَوْضُوعٌ عَلى حُرُوفِ المُعْجَمِ ما خَلا الأَلِفَ...وقِيلَ: إِنَّهُ بَدَأَ بِهَذا الكِتابِ قَبْلَ رِحْلَتِهِ إِلى بَغْدادَ، وأَتَمَّهُ بَعْدَ عَوْدِهِ إِلى مَعَرَّةِ النُّعْمانِ، وهُوَ سَبْعَةُ أَجْزاءٍ، وفي نُسْخَةٍ مِقْدارُهُ: مِئَةُ كُرَّاسَةٍ»[٧]. ويُفهم من قوله: «ما خَلا الأَلِفَ»، و«أَتَمَّهُ بَعْدَ عَوْدِهِ» أَنَّهُ أَكْمَلَ الكِتابَ واسْتوفى فيه جميع الحروف. وممَّا يؤيِّد إِكماله لهذا المُؤَلَّف قول أبي العلاء: «أَنْشَأْتُ كِتابِي المَعْرُوفَ بِكِتابِ الفُصُولِ والغاياتِ...وقَدْ نَجَزَ بِحَمْدِ اللهِ كِتابُ غاياتٍ وفُصولٍ»[٨].

المنهج:

لا شكَّ في أَنَّ هذا الحشد العظيم من الغريب وما أَشْبَهَه هو الَّذي أَلْجَأَهُ إلى تَذْيِيل الرُّجُوع بالتَّفسيرات المُوَضِّحَة. ومن يطالع (الفصول والغايات) يجد أَنَّه سائر على نهج واضح، يَتَلَخَّص بِإِيراد الرُّجُوع الَّتي تحمل العِظَة والنُّصح مشفوعة بتفسيرات للكلمات الغريبة؛ لذلك كان السَّبيل إِلى تبيان الأَلفاظ المحرَّفة في هذا البحث هو عرض السِّياق الذي وردت فيه، وذلك بإيراد الرَّجْع، ثُمَّ تذييله بعرض معاني الأَلفاظ ممَّا فَسَّرَه أَبو العلاء أَو فَسَّرَه غيره من أَصحاب معجمات الأَلفاظ، ثمَّ الانتهاء إِلى ذكر الرَّأْي في اللَّفظ المبحوث فيه.

(٦) الفصول والغايات ١، ٨٦، ١٣٩.

(٧) معجم الأُدباء ١/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٨) أوج التَّحَرِّي عن حيثيّة أَبي العلاء المعريّ ٤٨.

الألفاظ المعيّنة للدِّراسة:

يمكن القطع بأَنَّ كثيرًا من الأَلفاظ الَّتي دُرِست هنا مُحَرَّفَة، وقليل منها خاضع لترجيح ذلك، ولم أَسْتَطِع الوقوف على مخطوطة الكتاب، فهي لا شكَّ كانت سَتُعِين كثيرًا على رَدِّ كلِّ كلمة أَصابها تحريف إِلى أَصلها على جهة القطع أو ما قَرُب منه. والألفاظ الَّتي لَفَتَتِ النَّظَر ودَعَتْ إِلى التَّنبيه هي: (المُؤْدِي)، و(الثَّرْمَدِ)، و(حَروزِ)، و(ذِمارٌ)، و(الرَّاسِمُ)، و(مِسْغَب)، و(يَطْرُونِي)، و(لِغَيْرِي)، و(المِقْلاةُ)، و(كُنْتَ)، و(لُبَدٌ)، و(لَحْمُوم)، و(يُنْجِحُ)، و(نَفْس)، و(أَهْجَأُ)، و(الهالِكِين)، و(الهَلُوكُ). ويُمكن أَنْ يُلْحَق بما نحن فيه وَضْع لفظ مكان لفظ كوضع (الكَباث) مكان الأَراك، و(واسِع) مكان ضَيِّق. ويُمكن أَنْ يُلْحَق بما نحن فيه أَيضًا سقوط (لا)، و(إِنْ)، وزيادة (هو)، ورَدُّ ما لِلصَّدْرِ عَلى العَجُز.

- المُودِي بتخفيف الهمزة لا المُؤْدِي بتحقيقها:

جاءَ في الرَّجْع: «وتَسْبِقُ مَشِيئَتُهُ فَيَلْتَقِي المُتَحارِبانِ وأَحَدُهُما ضَعِيفٌ أَعْزَلُ، والآخَرُ قَوِيٌّ ذُو شِكَّةٍ، فَيُكِبُّ أَضْعَفُهُما عَلى الجَدالَةِ فَيَأْخُذُ حَجَرًا، كأَنَّها فَقْعٌ أَوْ ضَرْعٌ، أَوْ كُلْيَةُ بَعِيرٍ لَمْ يَرْعَ، فَيَظُنُّ أَنَّ المُودِيَ بِحَجَرِهِ مُودٍ، فَيَحِقُّ المالِكُ ظَنَّهُ رائِيًا مُسْتَمِعًا»[٩]. «الشِّكَّةُ: السِّلاحُ كُلُّهُ...»، و«أَكَبَّ عَلى الشَّيْءِ: أَقْبَلَ عَلَيْهِ ولَزِمَهُ»، و«الجَدالَةُ: الأَرْضُ...»، و«الفَقْعُ والفِقْعُ، بِالفَتْحِ والكَسْرِ: الأَبْيَضُ الرَّخْوُ مِنَ الكَمْأَةِ، وهُوَ أَرْدَؤُها»، و«كُلْيَةُ بَعِيرٍ لَمْ يَرْعَ، أَيْ: لَيْسَ عَلَيْها شَحْمٌ»، و«المُودِي [الأَوّل] أَصْلُهُ الهَمْزُ، وهُوَ الكامِلُ السِّلاحِ»، و«المُودِي الثَّانِي: الهالِكُ، غَيْرُ مَهْمُوزٍ في الأَصْلِ...»[١٠]، والمالِكُ في قَوْلِهِ: «يَحِقُّ المالِكُ ظَنَّهُ رائِيًا مُسْتَمِعًا»، هُوَ البارِئُ عَزَّ وجَلَّ؛ قالَ تَعالى:

(٩) الفصول والغايات ٤٦٠.

(١٠) الفصول والغايات ٤٦٥، ولسان العرب ١/ ٦٩٦ (كبب)، و٨/ ٢٥٥ (فقع).

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وَرَدَ لَفْظُ (المُودِي) في الرَّجْعِ مُحَقَّقَ الهَمْزَة، أَيْ: (المُؤْدِي)، لَكِنَّ كَلامَهُ في التَّفْسِيرِ يَهْدِي إِلى أَنَّ مُرادَهُ التَّخْفِيفُ؛ لِذَلِكَ لا بدَّ من إِثبات اللَّفظ مُخَفَّفَ الهَمْزَةِ؛ ليستقيم مع المعنى، وهو أَنَّ الضَّعِيفَ الأَعْزَلَ يَظُنُّ أَنَّ ذا السِّلاحِ هالِكٌ بِرَمْيَةِ حَجَرٍ صَغِيرٍ مِنْهُ، فَصَدَقَ ظَنُّهُ؛ لِأَنَّ مَشِيئَةَ البارِئِ عَزَّ وجَلَّ قَدْ قَضَتْ بِذَلِكَ.

- **ترجيح ما وقع في (الآن):**

جاء في الرَّجْع: «أُصْبِحُ وأَبِيتُ، وأَنا الضَّعِيفُ الهَبِيتُ، ولَوْ شاءَ خالِقِي لَجَعَلَنِي القَوِيَّ المَزِيرَ»(١١). وجاء في التَّفْسِير: «الهَبِيتُ: مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: هَبَتَهُ: إِذا نَقَصَهُ، ومِنْهُ الحَدِيثُ عَنْ عُمَرَ لَمَّا ماتَ عُثْمانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلى فِراشِهِ: (هَبَتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي، **الآنَ** يَكُونُ ماتَ شَهِيدًا، فَلَمَّا ماتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى فِراشِهِ، وأَبُو بَكْرٍ عَلى فِراشِهِ، عَلِمْتُ أَنَّ الأَخْيارَ مَوْتُهُمْ عَلى فُرُشِهِمْ)، ويُقالُ: مَهْبُوتٌ وهَبِيتٌ، مِثْلُ مَقْتُولٍ وقَتِيلٍ، ويُوصَفُ بِهِ الجَبانُ، والعَيِيُّ، والأَبْلَهُ؛ وأُنْشِدَ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ:

أَتَيْتُ أَخِي يَعْلى أُرَجِّي نَوالَهُ ... فَلَمْ أَرَ مِنْ يَعْلى سِواكًا ولا زَنْدًا

فَما عِبْتَ مِنِّي؟ لا هَبِيتًا رَأَيْتَنِي ... هُبِلْتَ ولا كَزَّ اليَدَيْنِ ولا جَعْدًا

والمَزِيرُ: العاقِلُ»(١٢).

نَصُّ الحَدِيثِ في الفائِق: (هَبَتَهُ المَوْتُ عِنْدِي مَنْزِلَةً حِينَ لَمْ يَمُتْ شَهِيدًا)(١٣)، وفي النِّهايَةِ (حَيْثُ) بَدَلًا من (حِينَ)(١٤). والرَّاجِحُ أَنْ يَكُونَ

(١١) الفصول والغايات ١٨٨.

(١٢) الفصول والغايات ١٩١.

(١٣) الفائق في غريب الحديث ٤/ ٨٨ (هبت).

(١٤) النِّهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٢٣٨ (هبت).

الخَلَلُ مُتَّصِلًا بِرَسْمِ (الآن)، فإِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّصُّ: (هَبَتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي، أَلَا يَكُونُ ماتَ شَهِيدًا)، أَو (هَبَتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي، أَلَّا يَكُونَ ماتَ شَهِيدًا)، أَو (هَبَتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي، أَنْ لا يَكُونَ ماتَ شَهِيدًا).

- **الحَرْمَدُ لا الثَّرْمَدُ.**

جاءَ في الرَّجْعِ: «وبِقُدْرَتِهِ أَقْبَلَ المَدُّ، طارِئًا مِنْ بُعْدِ الأَمَدِ، يَحْمِلُ ذَواتِ الرَّبَدِ، بَيْنَ الغُثاءِ والزَّبَدِ، كُلَّ حامِلَةِ سَمٍّ مُؤَبَّدٍ، أَنْحَلَها تَقادُمُ الأَبَدِ، فَهِيَ مِثْلُ المِبْرَدِ، وأَخْشَنُ مَسًّا في اليَدِ، أَصْبَحَتْ بَعْدَ الرَّمْلِ والجَدَدِ، إِمَّا في الماءِ وإِمَّا في الحَرْمَدِ»[١٥]. «المَدُّ: كَثْرَةُ الماءِ أَيَّامَ المُدُودِ، وجَمْعُهُ مُدُودٌ»، و«الرَّبَدُ: مِنْ قَوْلِهِمْ: حَيَّةٌ رَبْداءُ: إِذا كانَتْ إِلى السَّوادِ والغُبْرَةِ»، و«الغُثاءُ، بِالمَدِّ والضَّمِّ، ما يَجِيءُ فَوْقَ السَّيْلِ مِمَّا يَحْمِلُهُ مِنَ الزَّبَدِ والوَسَخِ»، و«زَبَدُ الماءِ، والجِرَّةِ، واللُّعابِ: طُفاوَتُهُ وقَذاهُ، والجَمعُ أَزْبادٌ»، وتاءُ التَّأْنِيثِ في (أَصْبَحَتْ) لِلْحَيَّةِ، و«الجَدَدُ: الأَرْضُ الصُّلْبَةُ المُسْتَوِيَةُ»، و«[الحَرْمَدُ]: الحَمْأَةُ»[١٦].

في المَطْبُوعِ (الثَّرْمَدِ)، والرَّاجِحُ أَنَّ الحاءَ حُرِّفَتْ إِلى ثاءٍ، يَعْضُدُ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ فِيما اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا فَسَّرَ الثَّرْمَدَ بِالحَمْأَةِ، فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ الحَمْضُ، وهُوَ «كُلُّ نَبْتٍ مالِحٍ أَوْ حامِضٍ»، وفَسَّرُوا الحَرْمَدَ بِالحَمْأَةِ[١٧].

- **حَرونٍ لا حَروزٍ.**

جاءَ في الرَّجْعِ: «لا يُنْجِي النَّفْسَ اعْتِصامُها، يُسْلِمُها في الغَدِ عِصامُها...لا سَلِفُها نَفَعَ ولا ظامُها». الضَّمِيرُ في (سَلِفُها)، و(ظامُها) عائِدٌ عَلى النَّفْسِ،

(١٥) الفصول والغايات ٣٦٤.

(١٦) الفصول والغايات ٣٦٥، ولسان العرب ٣/ ٣٩٧ (مدد)، و١٩٣ (زبد)، و١٥/ ١١٦ (غثا).

(١٧) يُنظر: تهذيب اللُّغة ١٥/ ١٦٨ (ثرمد)، ولسان العرب ٣/ ١٠٣ (ثرمد)، و١٤٨ (حرمد)، و٧/ ١٣٨ (حمض)، والقاموس المحيط ١/ ٢٧٨ (ثرمد)، و٢٨٥ (حرمد)، وتاج العروس ٤/ ٣٣٧ (ثرمد)، و٤١٩ (حرمد).

و«الظَّامُ [السَّلِفُ، والسِّلْفُ][١٨]. وهَذا تَجْنِيسٌ مَكْنِيٌّ؛ ومِثْلُهُ قَوْلُ الشَّمَّاخِ:

وما أَرْوى وإِنْ كَرُمَتْ عَلَيْنا بِأَدْنَى مِنْ مُوَقَّفَةٍ [حَرونِ]»[١٩]

في المَطْبُوعِ (حَروزِ)، بِالزَّاي، وهُوَ تَحْرِيفٌ، والبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ نُونِيَّةٍ[٢٠].

- **الرَّواسِمُ لا الرَّاسِمُ:**

جاءَ في الرَّجْعِ: «فَأَصْبَحَتِ [الرَّواسِمُ] عَلى الرَّواسِمِ واقِفَةً والدَّارُ خَلاءٌ»[٢١]. الرَّواسِمُ الأُولى «جَمْعُ راسِمَةٍ، وهِيَ الَّتِي تَسِيرُ الرَّسِيمَ، وهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ، والرَّاسِمُ: الجَمَلُ»، و«الرَّواسِمُ الثَّانِيَةُ: جَمْعُ رَوْسَمٍ، وهُوَ أَثَرُ الدَّارِ؛ يُقالُ: رَوْسَمٌ، ورَواسِيمُ، ورَواسِمُ»[٢٢].

المُثْبَتُ في المطْبُوعِ (الرَّاسِمُ)، وأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ الواوَ سَقَطَتْ مِنْهُ، وما أَثْبَتُّهُ يَتَوافَقُ مَعْ ما جاء مِنْ تَأْنِيثٍ في (أَصْبَحَتِ)، و(واقِفَةً)، وأَمَّا الرَّاسِمُ فَلا يَتَوافَقُ مَعَهُ؛ لِأَنَّ أَبا العَلاءَ كانَ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ الجَمَلُ كَما تَقَدَّمَ.

- **زِمارٌ لا ذِمارٌ:**

جاءَ في الرَّجْعِ: «فَأَعْجِبْ بِظَلِيمٍ في الدَّوِّ... إِذا عارَّ فَكَأَنَّما يَقُولُ: جَلَّ مَنْ لَوْ شاءَ جَعَلَنِي أَقْصَرَ ظِمًّا مِنَ الأَعْفاءِ». «الظَّلِيمُ: الذَّكَرُ مِنَ النَّعامِ»، و«الدَّوُّ: قَفْرٌ في بِلادِ بَنِي سَعْدٍ مِنْ تَمِيمٍ، ويُقالُ أَيْضًا لِكُلِّ قَفْرٍ: دَوٌّ»، و«عارَّ: صاحَ، والمَصْدَرُ العِرارُ، وهُوَ صَوْتُ الذَّكَرِ خاصَّةً، وصَوْتُ الأُنْثى: [زِمارٌ]»[٢٣]، والضَّمِيرُ المُسْتَتِرُ في (عارَّ) عائِدٌ عَلى (ظَلِيمٍ).

---

(١٨) جاءَ هَذان اللَّفْظانِ في التَّفْسِيرِ عَلى هَيْئَةِ لَفْظٍ واحِدٍ رُسِمَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الحَرَكاتِ، فَأَفْرَدْتُ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما عَلى حِدَةٍ؛ زِيادَةً في الوُضُوحِ.

(١٩) الفصول والغايات ٢٧٥.

(٢٠) يُنظر: ديوان الشَّمَّاخِ بْنِ ضِرار الذُّبْيانِيِّ ٣١٩.

(٢١) الفصول والغايات ١٩٩.

(٢٢) الفصول والغايات ٢٠٢.

(٢٣) الفصول والغايات ١٣، ١٤، ولسان العرب ١٢/ ٣٧٩ (ظلم).

في المَطْبُوعِ (ذِمارٌ) بِالذَّال المُعْجَمَةِ، والـرَّاجِحُ أَنَّـهُ تَحْرِيـفٌ، يُؤَيِّـدُهُ أَنَّ اللَّفْظَ بِالزَّايِ في ما وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ مُعْجَماتِ الأَلْفاظِ لِلْمَعْنى المَذْكُورِ(٢٤).

- **مِسْأَبٌ لا مِسْئَبٌ:**

جاءَ في الرَّجْعِ: «قالَ اليَعْسُوبُ لِجَوارِسِهِ وقَدْ وَقَعَ في أَرْضٍ مُرْعِيَـةٍ: إِنَّ الجَنى اليَوْمَ لَغَيْرُ عَذْبٍ فـي فـي فَـأَدْرِكْنَ بُيُـوتَكُنَّ، فَأَحْسِـبُ أَنْ قَـدْ حَـرَبَكُنَّ شُـعْثُ الـرُّؤُوسِ أَخْـلاقُ الأَطْمـارِ مَعَهُـمُ المَحـابِضُ والأَخْـراصُ»(٢٥). «اليَعْسُوبُ: ذَكَرُ النَّحْلِ...»، و«الجَوارِسُ: النَّحْلُ؛ لأَنَّها تَجْرِسُ مِنَ الشَّـجَرِ، أَيْ: تَأْكُلُ»، و«مُرْعِيَةٌ: كَثِيرَةُ الرَّعْيِ»، والضَّمِيرُ في (مَعَهُمْ) عائِدٌ عَلى (شُعْثُ الرُّؤُوسِ)، و«المَحابِضُ: جَمْعُ مِحْبَضَةٍ، وهِيَ خُشَـيْبَةٌ نَحْـوُ المِلْعَقَـةِ، تَكُـونُ مَعَ مُشْتارِ العَسَلِ؛ يَقْتَلِعُ بِها الشُّهْدَ»، و«الأَخْراصُ: جَمْعُ خُرْصٍ، وهُـوَ عُـودٌ طَوِيلٌ، يَكُونُ مَعَ المُشْتارِ؛ قالَ ساعِدَةُ بْنُ جُؤَيَّةَ الهُذَلِيُّ:

أُتِـيحَ لَهـا شَـثْنُ البَنـانِ مُكَـزَّمٌ أَخُـو حُـزَنٍ قَـدْ وَقَّرَتْـهُ كُلُومُهـا
قَلِيـلُ ثَـراءِ المـالِ إِلَّا مَسـائِبًا وأَخْراصَـهُ يَغْـدُو بِهـا ويُقِيمُهـا

المَسائِبُ: جَمْعُ [مِسْأَبٍ]، وهُوَ زِقُّ العَسَلِ»(٢٦).

جاءَ رَسْمُ هَمْزَةِ (مِسْأَب) كَالآتِي: (مِسْئَب)، ولَعَلَّهُ غَلَطٌ في الطِّباعَةِ.

- **الرَّاجح يَطْرُدُنِي لا يَطْرُونِي:**

جاءَ في الرَّجْعِ: «أَرْتَفِعُ والقَدَرُ يَكُبُّنِي، يَأْلِبُنِي دائِمًـا ويَلُبُّنِـي»(٢٧). وجـاءَ

(٢٤) يُنظر: تهذيب اللُّغة ١٣/ ٢٠٨ (زمر)، ومقـاييس اللُّغـة ٣/ ٢٤ (زمـر)، وأَسـاس البلاغـة ٢٧٤، ولسان العرب ٤/ ٣٢٨ (زمر)، وتاج العروس ٦/ ٤٧٠ (زمر).

(٢٥) الفصول والغايات ٤٦١.

(٢٦) الفصول والغايات ٤٦٦، ٤٦٧.

(٢٧) الفصول والغايات ٢١٦.

في التَّفْسِيرِ: «يَأْلِبُنِي: **يَطْرُونِي**»، و«يَلُبُّنِي: يُقابِلُنِي...»[٢٨].

إذا كانَ مَعْنى يَـأْلِبُنِي: يَطْرُونِـي، فَهُـوَ مِـنْ «طَـرا طُـرُوًّا: أَتَـى مِـنْ مَكـانٍ بَعِيدٍ»[٢٩]، والمَعْنى: أَنَّ القَدَرَ لا يَبْعُدُ عَنِّي، فَهُوَ يُلاحِقُنِي حَتَّى يُوافِينِي. وأَمَّـا إذا كانَ يَطْرُونِي قَدْ حَصَلَ فِيهِ تَحْرِيفٌ، والمُرادُ: يَطْرُدُنِي، فَالمَعْنى: أَنَّ القَدَرَ يُلاحِقُنِي، كَما يُلاحِقُ الصَّيَّادُ طَرِيدَتَهُ حَتَّى يَـتَمَكَّنَ مِنْهـا، فَكَأَنَّـهُ مَـأْخُوذٌ مِـنْ «طَرَدْتُ القَوْمَ: إذا أَتَيْتَ عَلَيْهِمْ وجُزْتَهُمْ»[٣٠].

- **بَعِيرِي لا لِغَيْرِي:**

جـاءَ فـي الرَّجْـعِ: «أَقْتَضِـبُ [بَعِيـرِي] وأَرُوضُ»[٣١]: «أَقْتَضِـبُ: مِـنِ اقْتَضَبْتُ البَعِيرَ: إذا رَكِبْتُهُ عَنْ غَيْرِ رِياضَةٍ»[٣٢].

في المَطْبُوعِ (لِغَيْرِي)، والرَّاجِحُ أَنَّهُ تَحرِيفٌ.

- **المِقْلاتُ لا المِقْلاةُ:**

المُثْبَتُ في المَطْبُوعِ (المِقْلاةُ)، وهُوَ غَيْـرُ مُنْسَـجِمٍ مَـعَ التَّفْسِـيرِ، ومـا أَثْبَتُّـهُ مُتَوافِقٌ مَعَ التَّفْسِيرِ، جاءَ في الرَّجْعِ: «لا أَكْرَهُ قَبْرًا بِفَلاةٍ، كَأَنَّ رَكْبَها قُـلاتٌ تَلْعَـبُ بِهِمْ مِقْلاةٌ»[٣٣]. «الفَلاةُ: القَفْرُ مِنَ الأَرْضِ»[٣٤]، و«القُلاتُ: جَمْـعُ قُلَـةٍ...»[٣٥]،

(٢٨) الفصول والغايات ٢١٦.

(٢٩) لسان العرب ١٤/ ٦ (طرا).

(٣٠) لسان العرب ٣/ ٢٦٧ (طرد).

(٣١) الفصول والغايات ٣٧٤.

(٣٢) الفصول والغايات ٣٧٥.

(٣٣) الفصول والغايات ٦٥.

(٣٤) لسان العرب ١٥/ ١٦٤ (فلا)، ويُنظر: المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير للرَّافعيّ ٦٥٩ (فلو).

(٣٥) الفصول والغايات ٦٥.

و«القُلَةُ: القُفْسُ الَّذِي يَلْعَبُ بِهِ الصِّبْيانُ»[٣٦]. ومَعْلُومٌ أَنَّ المِقْلات – بالتَّاء المَبْسُوطَةِ – هي «المَرْأَةُ الَّتِي لا يَعِيشُ لَها وَلَدٌ»[٣٧]، وعَلى هَذا لا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مِقْلاةٌ – بِالتَّاءِ المَرْبُوطَةِ – في قوله: (قُلاتٌ تَلْعَبُ بِهِمْ مِقْلاةٌ) المَرْأَةَ «الَّتِي لا يَعِيشُ لَها وَلَدٌ»؛ لاشْتِقاقِ المِقْلاتِ – بِالتَّاءِ المَبْسُوطَةِ – مِنَ الجَذْرِ (قلت)، فالتَّاءُ أَصْلِيَّةٌ، وهِيَ لامُ الفِعْلِ، وقَدْ ذَكَر أَبُو العَلاءِ في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ مَعانِي ما جاءَ مِنْ هَذِهِ المادَّةِ، فـ«القَلَتُ: الهَلاكُ»، و«المُقْلِتُ: الَّتِي لا يَعِيشُ لَها وَلَدٌ»، و«المِقْلاتُ: الَّتِي لا وَلَدَ لَها...»[٣٨]. واشْتِقاقُ المِقْلاةِ مِنْ (قلا)، و«القُلَةُ، والمِقْلى، والمِقْلاءُ عَلى مِفْعالٍ كُلُّهُ: عُودانِ يَلْعَبُ بِهِما الصِّبْيانُ، فالمِقْلى: العُودُ الكَبِيرُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ، والقُلَةُ: الخَشَبَةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تُنْصَبُ، وهِيَ قَدْرُ ذِراعٍ، قالَ الأَزْهَرِيُّ: والقالِي: الَّذِي يَلْعَبُ فَيَضْرِبُ القُلَةَ بالمِقْلى»[٣٩]. ولَعَلَّ أَبا العَلاءِ سَمِعَ المِقْلاةَ الَّتِي بِالتَّاءِ المَرْبُوطَةِ، فَتَبادَرَ إِلى ذِهْنِهِ الَّتِي بِالتَّاءِ المَبْسُوطَةِ، فَذَكَرَ أَنَّها المَرْأَةُ الَّتِي لا يَعِيشُ لَها وَلَدٌ. وهَذا يُوحِي بِأَنَّ التَّفْسِيرَ مَبْنِيٌّ على أَسْئِلَةٍ يُوَجِّهُها إِلَيْهِ مَنْ يَسْتَوْقِفُهُ شَيْءٌ في الرَّجْعِ.

-كانَ لا كُنْتَ:

جاءَ في الرَّجْع: «فَلْيُزِلِ الهَمَّ، غِنى ابْنِ العَمِّ، وفي غِناهُ العِزَّةُ والجَمالُ؛ واللهُ المُجَمِّلُ المُعِزُّ. إِنْ [كانَ] غَنِيًّا حَمَلَ عَنْكَ إِصْرَهُ، وكَفاكَ أَنْ تَبَرَّهُ؛ وإِنْ كانَ فَقِيرًا فَبَرِرْتَهُ ثَقُلَ عَلَيْكَ، وإِنْ هَجَرْتَهُ حَسَدَكَ بِما في يَدَيْكَ»[٤٠]. وذَكَرَ

(٣٦) الفصول والغايات ٨٢، ٨٣.

(٣٧) الفصول والغايات ٦٥، ٦٦.

(٣٨) الفصول والغايات ٤١٩، ٢٨٥، ٤٩. على ترتيب تتالي النّصوص.

(٣٩) لسان العرب ١٥/ ١٩٩ (قلا).

(٤٠) الفصول والغايات ٣٢١.

أَبو العلاء أَنَّ الإِصْرَ «ها هُنا الثِّقْلُ، وفي غَيْرِهِ العَهْدُ»[٤١].

وقد جاءَ اللَّفْظ المُعَيَّنُ في المَطْبُوعِ (كُنْتَ)، ولا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ المُرادُ، وأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ أَبا العَلاءِ أَرادَ (كانَ)، ولَعَلَّ ما وَقَعَ كانَ سَهْوًا مِنْ ناسِخٍ أَوْ طَبَّاعٍ.

- **لُبَدًا لا لُبَدٌ:**

جاءَ في الرَّجْع: «مَتى عَهْدُ العَوْدِ بِتَوْدِيَةِ الصِّرارِ، لا تُسْأَلُ شارِفٌ عَنِ الخِلالِ، نَسِيَ التَّأْلَبُ أَخْلاقَ الأَعْفاءِ. مَتى غَرَّ [لُبَدًا] أَبُوهُ»[٤٢]. «العَوْدُ: الجَمَلُ المُسِنُّ، وفِيهِ بَقِيَّةٌ»، و«التَّوْدِيَةُ: عُوَيْدٌ يُجْعَلُ عَلى الخِلْفِ...»، و«الشَّارِفُ: النَّاقَةُ الَّتِي قَدْ أَسَنَّتْ»، و«الخِلالُ: عُودٌ يُجْعَلُ في لِسانِ الفَصِيلِ؛ لِئَلَّا يَرْضَعَ...»، و«التَّأْلَبُ: المُسِنُّ مِنْ حَمِيرِ الوَحْشِ...»، و«الأَعْفاءُ: جَمْعُ عَفْوٍ، وهُوَ الجَحْشُ»، و«لُبَدٌ: نَسْرُ لُقْمانَ»، و«غَرَّهُ: زَقَّهُ»، وقَوْلُهُمْ: «(طالَ الأَبَدُ عَلى لُبَدٍ) يَعْنُونَ آخِرَ نُسُورِ لُقْمانَ بْنِ عادٍ...هَلَكَتْ كُلُّها إِلَّا السَّابِعَ أَخَذَهُ فَوَضَعَهُ في ذَلِكَ المَوْضِعِ، وسَمَّاه لُبَدًا، وكانَ أَطْوَلَها عُمْرًا، فَضَرَبَتِ العَرَبُ بِهِ المَثَلَ؛ فَقالُوا: (طالَ الأَبَدُ عَلى لُبَدٍ)»[٤٣].

وكَلامُهُ في الرَّجْعِ عَلى الوُصُولِ إِلى الهَرَمِ وذَهابِ ما كانَ مِنَ الطُّفُولَةِ، فَكَأَنَّ أبا العلاء يُرِيدُ أَنَّ عَهْدَ النَّسْرِ السَّابِعِ بِالزَّقِّ بَعِيدٌ؛ لِأَنَّهُ مِنَ المُعَمَّرِينَ.

في المَطْبُوعِ (لُبَدٌ)، ولا تَسْتَقِيمُ بِهِ الجُمْلَةُ. قال أَحد الأساتذة الفضلاء [من مُحكّمَيْ] مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق: «في مطبوعة الهيئة المصريّة العامَّة للكتاب ص٤٥٤: متى غَرَّ لُبَد أبوه؟ الدَّال عطلٌ مِنَ الضَّبطِ. لا يَبْعُدُ

(٤١) الفصول والغايات ٣٢٢.

(٤٢) الفصول والغايات ٣٨٢.

(٤٣) الفصول والغايات ٣٨٣، ٣٨٤، ومجمع الأَمثال ١/ ٤٢٩، ولسان العرب ٣/ ٣٢١ (عود)، و٩/ ١٧٣ (شرف).

أَنْ يكون (لُبَدَ) في الأصل غير منوَّنٍ، وضَبْطُ الـدَّالِ بتنـوين الضّـمّ مِـنْ خطـأ الطَّابع. وغير بعيدٍ في نفسي أَنْ يكونَ شيخُ المعرَّةِ قد جرى فـي تَـرْكِ تنـوين (لُبَد) على ما جرى عليه لَبِيدٌ في ديوانه ٢٧٤:

لَمَّـا رَأَى لُبَـدُ النُّسُـورَ تَطـايَرَتْ رَفَـعَ القَـوادِمَ كـالفَقِيرِ الأَعْـزَلِ

فقَدَّر أَنَّهُ عَلَمٌ معدولٌ عن (لابِد) مَعَ نَصِّهم على أَنَّهُ مصروف».

وعلى هذا الرَّأي يكون الرَّاجح في الجملة إِمَّا (مَتـى غَـرَّ لُبَـدًا أَبُـوهُ)، أَو (مَتى غَرَّ لُبَدَ أَبُوهُ). ويعضد الأوّل ما تقدّم من تفسير أَبي العـلاء: «لُبَـدٌ: نَسْـرُ لُقْمانَ»، فقد ضُبِطَتِ الدَّال مُنَوَّنَة. ويعضد الآخَر ما جاء في شعر لَبِيد.

- **لُحُوم لا لَحْمُوم:**

كَلامُهُ في الرَّجْعِ عَلى صَـيَّادٍ يَحْمِـلُ سِـهامًا «تَعَـوَّدَ أَنْ يَضَـعَها مِـنَ الـوَحْشِ بِحَيْثُ أَرادَ، أَقْسَمَ فَأَبَرَّ القَسَمَ، لَيُرْوِيَنَّها بَعْدَ الخِضَمِّ، مِنْ دِماءِ الهادِيـاتِ، لَـهُ صِـبْيَةٌ كَالتَّوالِـبِ وسَـلْفَعٌ كَأَنَّهـا السِّـعْلاةُ، يَقُـوتُهُمْ لَحْـمَ القَطـا ولُحُـومَ القَطَـواتِ»[٤٤]. «الخِضَمُّ: المِسَنُّ»، و«المِسَنُّ: الَّذِي يُسَـنُّ عَلَيْـهِ الحَدِيـدُ»، و«الهادِيـاتُ: اللَّـواتِي يَتَقَدَّمْنَ الوَحْشَ»، و«التَّوالِبُ: الجِحاشُ الوَحْشِيَّةُ»، و«سَـلْفَعٌ: جَرِيئَـةٌ»، و«القَطـا: طـائِرٌ مَعْـرُوفٌ، سُـمِّيَ بِـذَلِكَ؛ لِثِقَـلِ مَشْـيِهِ، واحِدَتُـهُ قَطـاةٌ، والجَمْـعُ قَطَـواتٌ وقَطَياتٌ...والقَطاةُ: العَجُزُ، وقِيلَ: هُوَ ما بَيْنَ الوَرِكَيْنِ، وقِيـلَ: هُـوَ مَقْعَـدُ الـرِّدْفِ، أَوْ مَوْضِعُ الرِّدْفِ مِنَ الدَّابَّةِ خَلْفَ الفارِسِ، ويُقالُ: هِيَ لِكُلِّ خَلْـقٍ»، و«القَطَـواتُ: اللَّواتِي في أَعْجازِ البَهائِمِ»[٤٥]. والخُلاصَةُ أَنَّ هَـذا الصَّـيَّادَ يُطْعِـمُ زَوْجَـهُ وأَوْلادَهُ لَحْمَ قَطاةٍ، أَوْ لَحْمَ عَجُزِ دابَّةٍ مِمَّا يَتَمَكَّنُ مِنْ صَيْدِهِ.

في المَطْبُوعِ (لَحْمُوم)، وما أَثْبَتُّهُ هُوَ الأَقْرَبُ.

---

(٤٤) الفصول والغايات ٩.

(٤٥) الفصول والغايات ١٠، ولسان العرب ١٢/ ١٨٣ (خضم)، و١٥/ ١٨٩، ١٩٠ (قطا).

- **يُنْجِعُ لا يُنْجِحُ:**

كَلامُهُ في الرَّجْعِ عَلى الوَحْشِيِّ، وهُوَ حِمارُ وَحْشٍ؛ جاءَ فِيهِ: «يُصْبِحُ الوَحْشِيُّ أَنِقًا، يَرْتادُ مَغْرِبًا ومَشْرِقًا...أَجْمَعَ الوُرُودَ والماءُ مِنْهُ لا أَمَمٌ ولا قَرِيبٌ، وسَبَقَهُ أَشْعَبُ كَأَنَّهُ نَمِرٌ إِلى النَّمِيرِ»(٤٦). «كُلُّ شَيْءٍ لا يَسْتَأْنِسُ بِالنَّاسِ وَحْشِيٌّ»، و«الأَنِقُ: المُعْجَبُ بِالمَرْعى أَوْ غَيْرِهِ»، و«الأَمَمُ: القُرْبُ، يُقالُ: أَخَذْتُ ذَلِكَ مِنْ أَمَمٍ، أَيْ: مِنْ قُرْبٍ، ودارِي أَمَمُ دارِهِ، أَيْ: مُقابِلَتُها»، و«أَشْعَبُ: اسْمُ رَجُلٍ كانَ طَمَّاعًا، وفي المَثَلِ: (أَطْمَعُ مِنْ أَشْعَبَ)»، و«ماءٌ ناجِعٌ ونَجِيعٌ: مَرِيءٌ، وماءٌ نَجِيعٌ كَما يُقالُ: نَمِيرٌ»(٤٧).

ومَدارُ الكَلامِ هُنا عَلى (**يُنْجِحُ**)، فَقَدْ ذَكَرَ في التَّفْسِيرِ أَنَّ النَّمِيرَ «الَّذِي **يُنْجِحُ** في الشَّارِبِ»(٤٨)؛ أَيْ: إِنَّ اللَّفْظَ المُعَيَّن جاءَ في المَطْبُوعِ (يُنْجِحُ) بِالحاءِ، وهُوَ تَحْرِيفٌ لَعَلَّهُ مِنَ الطِّباعَةِ، والصَّوابُ يُنْجِعُ بِالعَيْنِ، وقد نَصَّ أَبُو العلاء عَلى مَعْنى النَّمِيرِ في مَوْضِعَيْنِ آخَرَيْنِ قالَ في المَوْضِعِ الثَّانِي: «النَّمِيرُ: الماءُ النَّاجِعُ»(٤٩)، وفي المَوْضِعِ الثَّالِثِ: «النَّمِيرُ: النَّاجِعُ»(٥٠). ويُلْحَظُ أَنَّ النَّاجِعَ بِالعَيْنِ لا الحاءِ.

- **الرَّاجح نَفْسُهُ لا نَفْس:**

جاءَ في الرَّجْعِ: «رُبَّ نَخِيلٍ، جَعَلْتَها في مِلْكِ بَخِيلٍ... رُبَّ هَجْمَةٍ، وَهَبْتَها

(٤٦) الفصول والغايات ٨، ٩.

(٤٧) الفصول والغايات ١٠، ولسان العرب ٦/ ٣٦٨ (وحش)، و١٢/ ٢٨ (أمم)، و١/ ٥٠٣ (شعب)، و٨/ ٣٤٨ (نجع).

(٤٨) الفصول والغايات ١٠.

(٤٩) الفصول والغايات ٣٤٤.

(٥٠) الفصول والغايات ٤٢٤.

مَنْ [نَفْسُهُ] وَجْمَةٌ»[٥١]. تاءُ الفاعِلِ في (وَهَبْتَها) لِلْبارِئِ عَزَّ وجَلَّ، و«الهَجْمَةُ مِنَ الإبِلِ: مِنَ السِّتِّينَ، وقِيلَ: مِنَ السَّبْعِينَ إِلى المِئَةِ»، و«الوَجْمَةُ: البَخِيلَةُ»[٥٢].

في المَطْبُوعِ : (وَهَبْتَها من نَفْس وجْمَه)، ولا يكادُ يَتَّسِقُ بها الكلام، ويَسْتَقِيمُ المَعْنى بِما رَجَّحْتُهُ، وعلى هذا التَّرجيح تكون نقطتا التَّاء المربوطة قد سقطتا من (وجْمَه).

- **أَهْجَأَهُ لا أَهْجَأَ ُ**:

جاءَ في الرَّجْعِ: «رُبَّ طَعامٍ لا يَهْجَأُ، وعَيْنٍ تَنْجَأُ، وإِلى اللهِ المُلْتَجَأُ، يُمْهِلُ أَمْرُهُ ويَفْجَأُ، وهُوَ عَلى إِنْشائِكَ قَدِيرٌ، وبِجَزاءِ الخَيرِ جَدِيرٌ»[٥٣]. وجاءَ في التَّفْسِيرِ: «يَهْجَأُ: مِنْ قَوْلِهِمْ: هَجَأَهُ الطَّعامُ و[أَهْجَأَهُ]: إِذا قَطَعَ غَرَثَهُ»[٥٤]. «هَجَأَ غَرَثِي يَهْجَأُ هَجًّا: سَكَنَ، وذَهَبَ، وانْقَطَعَ...وأَهْجَأَ الطَّعامُ غَرَثِي: سَكَّنَهُ وقَطَعَهُ إِهْجاءً»، و«الغَرَثُ: الجُوعُ»، و«تَنْجَأُ: مِنْ قَوْلِهِمْ: نَجَأَهُ بِعَيْنِهِ: إِذا أَصابَهُ بِها»[٥٥].

أَثْبَتُّ الهاءَ في أَهْجَأَهُ؛ لِأَنَّ السِّياق يَطْلُبُها، ويُسْتَدَلُّ مِن التَّفْسِيرِ عَلى أَنَّ الهاءَ سَقَطَتْ بِسَبَبِ الطِّباعَةِ، جاءَ فِيهِ: «مِنْ قَوْلِهِمْ: هَجَأَهُ الطَّعامُ وأَهْجَأَ: إِذا قَطَعَ غَرَثَهُ». فَالضَّمَّةُ المَرْسُومَةُ بَعْدَ الهَمْزَةِ لا حَرْفَ تَحْتَها.

- **الهَالِكِيِّ لا الهالِكِين**:

جاءَ في الرَّجْعِ: «زَعَمُوا أَنَّ فِلْذَةً مِنَ الجِنْثِيِّ جُوِّعَتْ لَها رَبْداءُ هَجَنَّعَةٌ تَشْهَدُ بِصانِعِ حَكِيمٍ، فَنُبِذَتْ لَدَيْها والإِرادَةُ أَنْ تَلْتَهِمَها، ولِمَشِيَّةِ اللهِ النَّفاذُ. فَلَمَّا فَعَلَتْ ذَلِكَ أُمْهِلَتْ جُزْءًا مِنَ الزَّمانِ ثُمَّ أُنْحِيَ عَلَيْها بِالمُدْيَةِ - واللهُ عَلى بَعْثِ المَيْتِ

(٥١) الفصول والغايات ٢٠.

(٥٢) الفصول والغايات ٢١.

(٥٣) الفصول والغايات ٣٥٣.

(٥٤) الفصول والغايات ٣٥٤.

(٥٥) لسان العرب١/ ١٨٠ (هجأ)، وراجع مادّتي: (غرث)، و(نجأ).

مُقِيتٌ - فَأُبْرِزَتِ الفِلْذَةُ مِنْ ضَمِيرِها، وبَعْضُها فَقِيدٌ، وأُلْقِيَتْ عَلى [الهَالِكِيِّ]»[٥٦]. «الجِثْيُّ: الحَدِيدُ الفُولاذُ»، و«الفِلْذَةُ: القِطْعَةُ»، و«الرَّبْداءُ: النَّعامَةُ»، و«الهَجَنَّعَةُ: الطَّويلَةُ، ويُقالُ: القَرْعاءُ»، و«تَلْتَهِمُها: تَبْتَلِعُها»، و«أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الحَدِيدَ مِنَ العَرَبِ الهالِكُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وكانَ حَدَّادًا نُسِبَ إِلَيْهِ الحَدَّادُ، فَقِيلَ: الهالِكِيُّ، ولِذَلِكَ قِيلَ لِبَنِي أَسَدٍ: القُيُونُ»، وذَكَرُوا أَنَّ النَّعامَةَ «تَبْتَلِعُ العَظْمَ الصُّلْبَ، والحَجَرَ، والمَدَرَ، والحَدِيدَ، فَتُذِيبُهُ وتَمِيعُهُ كَالماءِ»، وتاءُ التَّأْنِيثِ في (أُلْقِيَتْ) لِقِطْعَةِ الحَدِيدِ، و«الهَالِكِيُّ: الحَدَّادُ»[٥٧].

في المَطْبُوعِ (الهالِكِين)، وهُوَ عَلى ما يَبْدُو خَطَأٌ طِباعِيٌّ، وما أَثْبَتُّهُ مُتَّسِقٌ مَعَ السِّياقِ.

- **الرَّاجح الهَلُولُ لا الهَلُوكُ:**

جاءَ في الرَّجْعِ: «آهِ مِنْ ماءٍ لا يَسُوغُ، ونَفَسٍ لا تَسْمَحُ بِهِ الأُنُوفُ، وأَنا مُلْقًى أَفُوقُ، ذَلِكَ مَسْلَكٌ مَسْلُوكٌ، تَعْبِسُ عِنْدَهُ [الهَلُول]»[٥٨]. «فَاقَ الرَّجُلُ فُواقًا: إِذا شَخَصَتِ الرِّيحُ مِنْ صَدْرِهِ، وفُلانٌ يَفُوقُ بِنَفْسِهِ فُؤُوقًا: إِذا كانَتْ نَفْسُهُ عَلى الخُرُوجِ... والفُواقُ: تَرْدِيدُ الشَّهْقَةِ العالِيَةِ. والفُواقُ: الَّذِي يَأْخُذُ الإِنْسانَ عِنْدَ النَّزْعِ»، و«[الهَلُولُ]: الضَّحَّاكَةُ»[٥٩].

في المَطْبُوعِ (الهَلُوكُ) بِالكافِ، وهُوَ لا يَسْتَقِيمُ مَعَ ما بَنى عَلَيْهِ الرَّجْعَ مِنْ تَوَخِّي تَسَلْسُلِ حُرُوفِ الهِجاءِ في أَواخِرِ الجُمَلِ: (يَبُوءُ، الحُوبُ، حُدُوثٌ، تَعُوجُ، الرُّوحُ، شُرُوخٌ، لِلْهُنُودِ، مَحْنُوذٌ، تَصُورُ، البُرُوزُ، السُّلُوسُ،

---

(٥٦) الفصول والغايات ٣٧٥.

(٥٧) الفصول والغايات ٣٧٦، ولسان العرب ١٠/ ٥٠٧ (هلك)، وحياة الحيوان الكبرى ٢/ ٤٨٦.

(٥٨) الفصول والغايات ٢٠٥.

(٥٩) الفصول والغايات ٢٠٦، ولسان العرب ١٠/ ٣١٦ (فوق).

حُوشٌ، الحُوصَ، مَرْضُوضٌ، السُّمُوطُ، حُظُوظٌ، النُّسُوعُ، يَسُوغُ، الأُنُوفُ، أَفُوقُ، مَسْلُوكٌ،...، الذَّمُومُ، المَنُونُ)[٦٠]. فَالرَّاجِحُ أَنَّهُ أَرادَ الهَلُولَ، فَحُرِّفَتِ اللَّامُ إِلى كافٍ، وهُوَ مِنْ «هَلَّ يَهِلُّ: إِذا فَرِحَ»[٦١]. فَالهَلُولُ بِالمَعْنى المَذْكُورِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَعْمَلًا في كَلامِهِم، أَوْ أَنَّهُ قَاسَهُ عَلى ما جاءَ في كَلامِهِمْ عَلى فَعُولٍ لِلْمُبالَغَةِ كَما في حَنُونٍ، وغَرُورٍ، ومَلُولٍ، ونَدُودٍ، ووَدُودٍ.

ويعضد هذا التَّرجيح أَمر آخَر، وهو أَنَّ أَبا العلاء نفسه ذكر في كتابه الذي بين أَيدينا معنى الهَلُوك في موضعين، ولم يذكر في أَيٍّ منهما معنى الضَّحَّاكَة، قال في الموضع الأَوَّل: «الهَلُوكُ: الفاجِرَةُ»[٦٢]، وفي الآخَر: «الهَلُوكُ: الَّتِي تَتَهالَكُ عَلى الرِّجالِ»[٦٣].

- الأَراكُ لا الكَباثُ:

جاءَ في الرَّجْعِ: «فَطُوبى لِلْمُنْفَرِدِ بِنَعْمانِ السَّحابِ يُرازِمُ بَيْنَ مَرْدٍ وكَباثٍ»[٦٤]. «نَعْمانُ السَّحابِ: هُوَ نَعْمانُ الأَراكِ، يُرادُ بِذَلِكَ أَنَّ الضَّبابَ يَكُونُ في رَأْسِهِ، وبِذَلِكَ تُوصَفُ الجِبالُ؛ قالَ امْرُؤُ القَيْسِ:

نِيافًا تَزِلُّ الطَّيْرُ عَنْ قُذُفاتِهِ يَظَلُّ الضَّبابُ حَوْلَهُ قَدْ تَعَصَّرا

نِيافًا، أَيْ: طَوِيلًا، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَنافَ»، و«يُرازِمُ: إِذا أَكَلَ مِنْ طَعامَيْنِ، مِنْ هَذا مَرَّةً، ومِنْ هَذا مَرَّةً»، و«المَرْدُ والكَباثُ: مِنْ ثَمَرِ [الأَراكِ]»[٦٥]. ويَبْدُو أَنَّ المُنْفَرِدَ بِنَعْمانِ السَّحابِ هُوَ الظَّبْيُ؛ لِقَوْلِهِ: «يُرازِمُ بَيْنَ مَرْدٍ وكَباثٍ»، فَكانَ

(٦٠) يُنظر: الفصول والغايات ٢٠٥.
(٦١) لسان العرب ١١/ ٧٠٢ (هلل).
(٦٢) الفصول والغايات ١٦٤.
(٦٣) الفصول والغايات ٣٥٩.
(٦٤) الفصول والغايات ٣٦٧.
(٦٥) الفصول والغايات ٣٦٨.

قَدْ ذَكَرَ أَنَّ البارِئَ عَزَّ وجَلَّ «أَنْبَتَ بِقُدْرَتِهِ الـذُّبَحَ لِلنَّعـام، وأَوْسَـعَ الظِّبـاءَ مِـنْ مَـرْدٍ وكَبـاثٍ»(٦٦). «الـذُّبَحُ: نَبـاتٌ تَأْكُلُـهُ النَّعـامُ»، و«أَوْسَـعَهُ الشَّـيْءَ: جَعَلَـهُ يَسَعُهُ...وفي الدُّعاءِ: (اللَّهُمَّ أَوْسِعْنا رَحْمَتَكَ، أَيِ: اجْعَلْها تَسَعُنا»(٦٧).

المُثْبَتُ في المَطْبُوع (الكَباث)، وهُوَ غَيْرُ مُتَّسِقٍ مَعَ المَعْنى؛ لِذَلِكَ أَثْبَـتُّ (الأَراك)، ويُقَوِّيه أَنَّهُ قـالَ فـي مَوْضِـعٍ آخَـرَ: «المَـرْدُ والكَبـاثُ جَمِيعًـا: ثَمَـرُ الأَراكِ ما لَمْ يَنْضَجْ، فَإِذا نَضِجَ فَهُوَ البَرِيرُ»(٦٨).

- أَعْلاها ضَيِّقٌ، وأَسْفَلُها واسِعٌ، لا: أَعْلاها واسِعٌ، وأَسْفَلُها ضَيِّقٌ:

جـاءَ فـي الرَّجْـعِ: «مَـنْ قَعَـدَ عَلـى رَحْـلٍ، فَـوْقَ سِـبَحْلٍ، يَخْـبِطُ سَـرابًا كَالضَّحْلِ، كَأَنَّهُ جَدِيدُ السَّحْلِ، ثُمَّ وَلَجَ في دَحْلٍ...»(٦٩). «السِّبَحْلُ: [البَعِيـرُ] الضَّخْمُ الطَّوِيلُ»، و«الضَّحْلُ: المـاءُ القَلِيـلُ»، و«السَّـحْلُ: ثَـوْبٌ أَبْـيَضُ مِـنْ قُطْنٍ»، و«الدَّحْلُ: حُفْرَةٌ أَعْلاها [ضَيِّقٌ]، وأَسْفَلُها [واسِعٌ]»(٧٠).

فـي المَطْبُـوعِ: «حُفْـرَةٌ أَعْلاهـا واسِـعٌ، وأَسْـفَلُها ضَـيِّقٌ»، وهُـوَ وَهْـمٌ، والرَّاجِحُ أَنَّهُ أَرادَ ما أَثْبَتُّـهُ، أَوْ أَرادَ «حُفْـرَةٌ أَسْـفَلُها واسِـعٌ، وأَعْلاهـا ضَـيِّقٌ»، يَعْضُدُ ذَلِـكَ أَنَّـهُ كـانَ قَـدْ نَقَـلَ قَـوْلَهُمْ: «الـدَّحْلُ: حُفْـرَةٌ فـي الأَرْضِ يَضِـيقُ أَعْلاها، ويَتَّسِعُ أَسْفَلُها»(٧١)، ويَعْضُدُهُ أَيْضًا إِجْماعُ اللُّغَوِيِّينَ عَلَيْهِ(٧٢).

---

(٦٦) الفصول والغايات ٢٠٣.

(٦٧) الفصول والغايات ٢٠٣، ولسان العرب ٨/ ٣٩٢ (وسع).

(٦٨) الفصول والغايات ٢٠٣.

(٦٩) الفصول والغايات ٢١٤.

(٧٠) الفصول والغايات ٢١٥.

(٧١) الفصول والغايات ١٤٠.

(٧٢) يُنظر: تهـذيب اللُّغـة ٤/ ٤١٩ (دحـل)، والصِّـحاح ٤/ ١٦٩٥ (دحـل)، والمخصَّـص ٣/ ٦٥، وأَسـاس البلاغـة ١٨١ (دحـل)، ولسـان العـرب ١١/ ٢٣٧ (دحـل)، وتـاج العروس ١٤/ ٢٢٩ (دحل).

- تَرْجِيحُ سُقُوطِ (لا):

جاءَ في الرَّجْع: «ما لَكَ يَدانِ، باجْتِناءِ العَيْدانِ، فَعَلَيْكَ أَيُّها العَتِيْلُ، بالكَتِيلِ، واللهُ يُعِينُكَ عَلى ما تُرِيغُ»(٧٣). «العَيْدانُ: النَّخْلُ الطِّوالُ»، و«العَتِيلُ: مِثْلُ الأَجِيرِ بِلُغَةِ جَدِيْلَةِ طَيِّءٍ»، و«الكَتِيلُ: جَمْعُ كَتِيْلَةٍ، وهِيَ النَّخْلَةُ الَّتِي [لا] تُنالُ باليَدِ»، و«تُرِيغُ: تَطْلُبُ»(٧٤).

زِيادَةُ (لا) مِنِّي، وأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّها ساقِطَةٌ؛ لِأَنَّ الكَتِيلَ فِيما وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ مُعْجَماتِ الأَلْفاظِ النَّخْلَةُ الَّتِي لا تَنالُها اليَدُ، وهُوَ ما يَتَماشى مَعَ سِياقِ ما جاءَ في كَلامِ أَبِي العَلاءِ، وكانَ ابْنُ السِّكِّيتِ قَدْ نَقَلَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبانِيِّ أَنَّ الكَتِيلَةَ بِلُغَةِ طَيِّءٍ: النَّخْلَةُ الَّتِي فاتَتِ اليَدَ، وتُجْمَعُ عَلى كَتائِلَ، وأَنْشَدَ:

قَدْ أَبْصَرَتْ سُعْدى بِها كَتائِلِي
مِثْلَ العَذارى الحُسَّرِ العَطابِلِ
طَوِيلَةَ الأَقْناءِ والعَثاكِلِ

وكانَ ثَعْلَبٌ قَدْ نَقَلَ عَنِ ابْنِ الأَعْرابِيِّ أَنَّ الكَتِيلَةَ: النَّخْلَةُ الطَّوِيلَةُ(٧٥).

- تَرْجِيحُ سُقُوطِ (إِنْ):

جاءَ في الرّجْع: «عَزَّ العالِمُ القَدِيرُ، وكَذَبَ الزَّاعِمُونَ عَنْهُ ما هُوَ بِغَيْرِهِ حَقِيقٌ، كَمْ نَشَأَ بِغَدِيرِ خُمٍّ يَفَنٌ كَبِيرٌ، وإِنْ كانَتْ حَرَّةُ لَيْلى تُسْقِطُ الرِّيشَ، فَيَبْغِي لِبَعِيرِها الدَّبِرِ أَلَّا يَفْرَقَ مِنَ القِذافِ، وعِنْدَ اللهِ أَمْنُ الخائِفِينَ»(٧٦). «يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّهُ مَنْ وُلِدَ بِغَدِيرِ خُمٍّ، وأَقامَ فِيهِ لَمْ يُسافِرْ عَنْهُ، جاءَتْهُ المَنِيَّةُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ

(٧٣) الفصول والغايات ١٦٦.
(٧٤) الفصول والغايات ١٦٧، ولسان العرب ٨/ ٤٣١ (روغ).
(٧٥) يُنظر: تهذيب اللُّغة ١٠/ ١٣٦، ١٣٧ (كتل)، والصِّحاح ٤/ ١٨٠٩ (كتل)، ولسان العرب ١١/ ٥٨٣ (كتل)، وتاج العروس ١٥/ ٦٤٨ (كتل).
(٧٦) الفصول والغايات ٣٥٧.

الحُلُمَ»، و«اليَفَنُ: الشَّيْخُ الفانِي»، و«الحَرَّةُ: أَرْضٌ ذاتُ حِجارَةٍ سُودٍ نَخِرَةٍ، كَأَنَّما أُحْرِقَتْ بِالنَّارِ»، و«يُقالُ: إِنَّ حَرَّةَ لَيْلى رُبَّما مَضى بِها الطَّائِرُ الغَرِيبُ، فَسَقَطَ رِيشُهُ مِنْ سُوءِ هَوائِها، وشِدَّةِ حَرِّها؛ والمَعْنى أَنَّها [إِنْ] كانَتْ كَذَلِكَ، فَيَنْبَغِي لِبَعِيرِها الدَّبِرِ الَّذِي بِهِ الدَّبَرُ أَلَّا يَفْرَقَ مِنَ القِذافِ». و«الدَّبَرَةُ، بِالتَّحْرِيكِ، قَرْحَةُ الدَّابَّةِ والبَعِيرِ...ودَبِرَ البَعِيرُ، بِالكَسْرِ، يَدْبَرُ دَبَرًا، فَهُوَ دَبِرٌ وأَدْبَرُ، والأُنْثى دَبِرَةٌ ودَبْراءُ»، و«فَرِقٌ...: فَزِعٌ، شَدِيدُ الفَرَقِ»، و«القِذَافُ: يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُما أَنْ يَكُونَ الأَرْضَ الَّتِي لا ماءَ فِيها، ويُقالُ: هِيَ البَعِيدَةُ. والآخَرُ أَنْ يَكُونَ القِذافُ مِنْ قَذَفَهُ بِالحَجَرِ: إِذا رَماهُ بِهِ»[٧٧]. ولَمْ يَكُنْ مُرادُهُ التَّعْرِيفَ بِالمَوْضِعَيْنِ، بَلْ أَرادَ تَكْذِيبَ المَزاعِمِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهِما.

ويُلحَظ أَنَّ (إِنْ) غَيرُ مَوْجُودَةٍ في المَطْبُوعِ، ويَسْتَقِيمُ المَعْنى بِإِثْباتِها.

-**زِيادَةُ (هُوَ)**:

جاءَ في الرَّجْع: «سُبْحانَ خالِقِ الزُّنْبُورِ...يَتْرُكُ العِنَبَ حُبَةً، ووَلِيدَ الجَفْنَةِ سُعْقُبَةً»[٧٨]. الضَّمِيرُ المُسْتَتِرُ في (يَتْرُكُ) عائِدٌ عَلى (الزُّنْبُورِ)، و«الحُبَةُ: عَجَمُ العِنَبِ»، و«العَجَمُ، بِالتَّحْرِيكِ: النَّوى»، ولَفْظُ (وَلِيدَ) مَعْطُوفٌ عَلى (العِنَبَ)، و«الجَفْنَةُ: الكَرْمُ»، و«السَّعْقُبَةُ: العُنْقُودُ إِذا أُكِلَ عِنَبُهُ، وقِيلَ: إِنَّهُ **هُوَ** عُنْقُودٌ صَغِيرٌ يَخْرُجُ في أَصْلِ العُنْقُودِ الكَبِيرِ»[٧٩].

وُجُود (هُوَ) بَعْدَ (إِنَّهُ) زِيادَةٌ.

- **الصَّدْرُ (جَةٍ جَنَّبَكَ اللهُ) لا (جَةٍ جَنَّ)**.

جاءَ في الرَّجْعِ: «إِنَّ الوَحِيدَ في العالَمِ لا يَلْحَقُهُ عَيْبٌ مِنْ سِواهُ، كَالبَيْتِ

(٧٧) الفصول والغايات ١١، ٣٥٧، ولسان العرب٤/ ١٨٠ (حرر)، و٣٧٣ (دبر)، و١٠/ ٣٠٤ (فرق).

(٧٨) الفصول والغايات ١٢٥.

(٧٩) الفصول والغايات ١٢٥، ولسان العرب ١٢/ ٣٩١ (عجم)، و١٣/ ٩٠ (جفن).

المُفْرَدِ مِنَ القَرِيضِ عَدِمَ عَجُزُهُ إِغْرامًا»[٨٠]. الضَّمِيرُ في (عَجُزُهُ) عائِدٌ عَلى (البَيْتِ المُفْرَدِ). وجاءَ في التَّفْسِيرِ: «الإِغْرامُ: دُونَ التَّضْمِينِ، كَأَنَّ اقْتِضاءَ التَّضْمِينِ أَشَدُّ مِنْهُ، إِذْ كانَ التَّضْمِينُ مِثْلَ قَوْلِ النَّابِغَةِ:

وَهُمْ أَصْحابُ يَوْمِ عُكاظَ إِنِّي

فَـ(إِنِّي) يَقْتَضِي الخَبَرَ اقْتِضاءً شَدِيدًا؛ وكَذَلِكَ قَوْلُ الآخَرِ:

حَيْدَةُ خالِي ولَقِيطٌ وعَدِي وحاتِمُ الطَّائِيُّ وَهَّابُ المِئِيِّ

ولَمْ يَكُنْ كَخالِكِ العَبْدِ الَّذِي يَأْكُلُ أَعْوامَ الجُدُوبِ والسِّنِيِّ

هَناتِ عَيْرٍ مَيِّتٍ غَيْرِ ذَكِي

فَـ(الَّذِي) يَقْتَضِي تَمامًا. والإِغْرامُ: دُونَ هَذا في الاقْتِضاءِ؛ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

فَلَوْ كانُوا غَداةَ البَيْنِ مَنُّوا وقَدْ رَفَعُوا الخُدُورَ عَلى الخِيامِ

صَفَحْتُ بِنَظْرَةٍ فَرَأَيْتُ مِنْها بِجَنْبِ الخِدْرِ واضِعَةَ القِرامِ

تَرائِبَ يَسْتَضِيءُ الحَلْيُ فِيها كَجَمْرِ النَّارِ بُذِّرَ في الظَّلامِ

فالبَيْتانِ الأَوَّلانِ فِيهِما إِغْرامٌ. وكانَ بَعْضُ المُتَأَخِّرِينَ يَزْعُمُ أَنَّ الإِغْرامَ أَنْ يَتِمَّ وَزْنُ البَيْتِ، ولا تَتِمُّ الكَلِمَةُ، وهَذا لا يُعْرَفُ في شِعْرِ العَرَبِ، وإِنَّما يَتَعَمَّدُهُ المُحْدَثُونَ، كَقَوْلِ القائِلِ:

أَبا بَكْرٍ لَقَدْ جاءَتْـ ـكَ مِنْ يَحْيى بْنِ مَنْصُو

رٍ الكَاسُ فَخُذْها مِنْـ ـهُ صِرْفًا غَيْرَ مَمْزُو

جَةٍ جَنَّبَكَ اللهُ أَبا بَكْرٍ مِنَ السُّو»[٨١]

صَدْرُ هَذا البَيْتِ - الأَخير - في المَطْبُوعِ هُوَ (جَةٍ جَنَّ)، واشْتَمَلَ عجُزُهُ عَلى (بَكَ اللهُ أَبا بَكْرٍ مِنَ السُّو). وما أُثْبِتَ هُنا هُوَ الصَّوابُ.

(٨٠) الفصول والغايات ٤٤٣.

(٨١) الفصول والغايات ٤٤٦، ٤٤٧.

الخاتمة:

خَلُصَ البحث بعد التَّدقيق في الألفاظ التي عُنِي بها إلى القطع بوقوع التَّحريف في: (المُؤْدِي)، و(الثَّرْمَدِ)، و(حَروزِ)، و(ذِمارٌ)، و(مِسْئَب)، و(لِغَيْرِي)، و(المِقْلاةُ)، و(كُنْتَ)، و(لُبَدٌ)، و(لَحْمُوم)، و(يُنْجِحُ)، و(أَهْجَأُ)، و(الهالِكِين)؛ والقطع أَيضًا بالوهم في وضع (الكَباث) مكان الأَراك، و(واسِع) مكان ضَيِّق؛ والقطع أَيضًا بالوهم المتَّصل برَدّ ما لِلصَّدْرِ عَلى العَجُز في البيت المذكور. ويبقى التَّرجيح قويًّا في: (الرَّاسِمُ)، و(يَطْرُونِي)، و(نَفْس)، و(الهَلُوكُ)، وهو قويٌّ أَيضًا في سقوط (لا)، و(إِنْ)، وزيادة (هو).

* * *

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

- أَساس البلاغة: لأَبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ، (ت٥٣٨هـ)، دار الفكر، الطَّبعة الأُولى، ١٤٢٦، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- أَوْج التَّحَرِّي عن حَيْثِيَّة أَبي العلاء المعريّ: ليوسف البديعيّ الدِّمَشْقِيّ، مطبعة التَّرقِّي، دمشق، ١٩٤٤م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: لأَبي فيض محبّ الدِّين محمّد بن مرتضى الحسينيّ الزَّبِيديّ، (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عليّ شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- تهذيب اللُّغة: لأَبي منصور محمّد بن أَحمد الأَزهريّ، (ت٣٧٠هـ)، تحقيق مجموعة من الأَساتذة، القاهرة، ١٩٦٤- ١٩٦٧م.

- حياة الحيوان الكبرى: لكمال الدِّين محمّد بن موسى بن عيسى الدَّميريّ، (ت٨٠٨هـ)، بعناية أَحمد حسن بسج، الطَّبعة الثَّانية، دار الكتب العلميَّة، بيروت ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٢م.
- ديوان الشَّمَّاخِ بْنِ ضِرار الذُّبْيانِيِّ: تحقيق صلاح الدِّين الهادي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- الشَّارد ناءٍ عن الغريب: لِميثم محمّد عليّ، مجلّة مجمع اللُّغة العربيّة الأُردنيّ. (سيُنشر قريبًا إِنْ شاء الله).
- شعر أَبي زُبَيد الطَّائِيّ: جمعه وحقّقه نوري حمّودي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م.
- الصِّحاح: تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة: لإسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، (ت٤٠٠هـ-تقريبًا-)، الطَّبعة الرَّابعة، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- طبقات فحول الشُّعراء: لأَبي عبد الله محمّد بن سلّام الجُمَحيّ، (ت٢٣١هـ)، تحقيق محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة.
- الظَّواهر اللُّغويَّة في كتب الغريبين: لِميثم محمّد عليّ، الطَّبعة الأُولى، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ٢٠١١م.
- الفائق في غريب الحديث: للزَّمخشريّ، تحقيق عليّ محمّد البجاويّ ومحمّد أَبو الفضل إِبراهيم ، الطَّبعة الثَّانية، دار المعرفة، لبنان.
- الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ: لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرِّيّ، (ت٤٤٩هـ)، تحقيق محمود حسن زناتي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ: لأبي العلاء المعرِّيّ، تحقيق محمود حسن زناتي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٧٧م.

- القاموس المحيط: لمجد الدِّين محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، (ت٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التّراث في مؤسَّسة الرِّسالة، الطَّبعة الثَّامنة، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- لسان العرب: لأَبي الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم بن منظور الإِفريقيّ المصريّ، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- مجمع الأَمثال: لأَبي الفضل أَحمد بن محمَّد بن أَحمد الميداني، (ت٥١٨هـ)، تحقيق محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، مطبعة السُّنَّة المحمَّديَّة، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.
- المخصَّص: لأَبي الحسن عليّ بن إِسماعيل بن سِيده الأَندلسيّ، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق خليل إبراهيم جفَّال، الطَّبعة الأُولى، دار إِحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ١٩٩٦م.
- المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير للرَّافعي: لأَحمد بن محمَّد بن عليّ الفيوميّ، (ت٧٧٠هـ)، المؤسَّسة العربيّة الحديثة، القاهرة.
- مقاييس اللُّغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السَّلام محمَّد هارون، طبعة اتِّحاد الكتَّاب العرب - دمشق.
- معجم الأُدباء: إِرشاد الأَريب إِلى معرفة الأَدِيب: لشِهاب الدِّين أَبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَوِيّ، (ت٦٢٦هـ)، تحقيق إِحسان عبَّاس، الطَّبعة الأُولى، دار الغرب الإِسلاميّ، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م.
- النِّهاية في غريب الحديث والأَثر: لأَبي السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد المعروف بمجد الدِّين بن الأَثير، (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر الزَّاوي، ومحمود محمَّد الطَّناحي، المكتبة العلميَّة، بيروت.

* * *

المحاضرات والمدارسات(*)

(*) **المدارسة**: هي المقابل العربي لكلمة (سيمِنار seminar) الأجنبية، وتعني بحثاً يقدمه أحد أعضاء المجمع، فيتباحثون به في مجلس المجمع.

وقفة مع التراث
في المناهج والنتائج

أ. د. مازن المبارك(*)

كثيرًا ما يبحث الكاتب عن كلمة تعبّر عن معنًى يراوده فيعيا، ولا يجد الكلمة التي تطابق ما تنطوي عليه نفسه من الدلالة، فيبحث عن كلمة أخرى قريبة يُلبسها المعنى الذي يريد، أو يترك الجملة التي تحتاج إلى تلك الكلمة، ويستبدل بها جملة أخرى تكون كلماتها أقرب إلى ما يريد. وكلما كانت ثروة الكاتب اللغوية أغنى وأوسع، كان تعبيره أدق وأوضح.

وقد علّمتني ممارسة الكتابة التي عشتها ما يزيد على ستّين سنة، أن الكاتب كالصيّاد، تحوم الكلمات متردِّدة في ذهنه ليختار منها ما يراه مناسبًا للتعبير عن مراده، وأن مهارته تتجلّى في حسن اختياره للكلمات الملائمة للمعاني؛ لأن من حق المعنى أن يكون لباسه اللغوي مطابقًا لقدّه، كالثوب على لابسه لا يزيد ولا ينقص... وقد تكون الكلمات في العُرف العام مترادفة، ولكن الصانع الماهر لا يُغفل الفروق الدلالية الدقيقة بين ما يسمّى بالمترادفات. وهذه الدقّة في الفروق بين معاني المترادفات ليست مما يتطلّبه التعبير العلمي الدقيق في التمييز بين مصطلحاته العلمية فحسب،

(*) ألقى الأستاذ الدكتور مازن المبارك عضو مجمع اللغة العربية بدمشق هذه المحاضرة في قاعة مجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ٢٧ نيسان ٢٠٢٢م.

ولكنه مما يتطلّبه أيضًا التعبير اللغوي، سواء أكان في علم من العلوم أم في فنٍّ من فنون الأدب.

وعلّمتني ممارسة الكتابة أيضًا أن الكلمة المطلوبة أو المختارة قد لا تطرق بابك حين تريدها أو تستدعيها، ولكنها تحوم مع غيرها كأسراب الطيور محلّقة فوق ذهنك، وعليك أن تستعرض السِّرب كلَّه لتصطاد منه ما يلائم ويروق.

ولمّا كانت المعاني خفيّة في النفوس، مستترة في أذهان أصحابها، كان لا بدّ أن تكون الألفاظ دلائل عليها، وهي التي – كما قال الجاحظ – تجعل الخفيّ ظاهرًا، والغائب شاهدًا، والبعيد قريبًا؛ وهي – أي: الألفاظ – التي تفسّر وتبيِّن، وتجعل المعقّد بسيطًا، والمجهول معروفًا، والوحشيّ مألوفًا. قال الجاحظ: «وكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع»[(١)]. وقال: «إن من حقّ المعنى أن يكون الاسم له طِبْقًا، وتلك الحال له وفقًا؛ ويكون الاسم له، لا فاضلًا ولا مفضولًا، ولا مُقصِّرًا ولا مشترَكًا ولا مُضمَّنًا!»[(٢)].

وعلّمتني الكتابة أن ما ذكره الجاحظ من إلباس المعاني ما يناسبها من الألفاظ، لا تكفي فيه الفطرة السليمة، وهي التي تُكتسب أو تُصقَل بمعاشرة أصحاب الفِطَر السليمة، بل لا بدّ مع سلامة الفطرة، والبُعد عن التكلّف، من التزوّد بثروة لغويّة واسعة، لتستطيع الفطرة أن تختار من الألفاظ ما يناسبها من المعاني، فتأتي اللغة فصيحة بليغة حلوة سلسلة معبِّرة عما استتر في النفس وعرض للذهن من المعاني والأفكار بلا تعسّف ولا تكلّف.

(١) البيان والتبيين ١/ ٧٥.

(٢) البيان والتبيين ١/ ٩٣.

وإذا جعلْتَ الألفاظ قناعًا تتقنّع به المعاني فلا تجعله نقابًا غليظًا ساترًا، ولكن اجعله خفيفًا برّاقًا يدعو من يسمعه إلى التلهّف على معرفة ما وراءه والقدرةِ على إدراكه.

وعلَّمتني أساليب القدماء من المؤلِّفين أن أحدهم ربما ترك أو سها عن ذكر أمرٍ في موضعه، ثم تذكّر ذلك فذكره حين تذكّره، فكان موضعه في غير مَظِنَّة وجوده! وربما كان ذكره الثاني أوضح بيانًا، وأكثر تفصيلًا، وكثيرًا ما وقعت على أمثلة لذلك في المعاجم التي تذكر أمثلة ومشتقّات في غير أبوابها، وفي كتب اللغة وكتب الأدب، كبعض ما رأيت عند ابن قتيبة، وفي خصائص ابن جني، وفي كتب الجاحظ وغيرها.

وأكتفي هنا بمثال على ذلك من كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ؛ قال الجاحظ: «سئل العتّابي: ما البلاغة؟ فقال: كلُّ من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ. فقيل: قد عرفنا الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، ياهيَه، واسمع مني، واستمع إليّ، وافهم عنّي، أو لست تفهم؟ أو لست تعقل؟ فهذا كلّه وما أشبهه عِيٌّ وفساد»[٣].

وليت الذين سألوا الجاحظ عن معنى الاستعانة سألوه عن طريقة الإفهام التي لم يفهمها بعض المحدَثين من الكتّاب، وراحوا يخبطون في الوهم ظانّين أن مجرّد إفهام المخاطب إذا حصل كانت وسيلةُ إفهامه بليغةً، وبنَوا على ذلك أحكامًا استخلصوا منها أن اللغة ما دامت أفهمت فهي بليغة مهما تكن وسيلتها، وأيًّا كان قالبها؟!!

ولكن الله سلّم، لأن الجاحظ عاد بعد خمسين صفحة من قوله عن

(٣) البيان والتبيين ١/ ١١٣.

العتّابي عاد ليقول: «والعتّابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، لم يعنِ أن كلّ من أفهمنا من معاشر المولّدين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف عن حقّه أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان...»(٤).

ولقد وقفت على كثير من مثل ذلك في كتب لابن خالويه ولغيره، ممن ينقل عن الجاحظ واهمًا أو مقصِّرًا، وممّن ينقل عن ابن جني، وممن يطلقون الأحكام الخاطئة، أو غيرَ الدقيقة، أو المخالفةَ للحقيقة، لأنهم لم يستوفوا الاطّلاع على الموضوع الذي تحدّثوا فيه، فنقلوا منه شيئًا وغابت عنهم أشياء!!

ولست أعني أن ما نقلوه كان خطأ، ولكن أعني أَنهم نقلوا من موضعٍ في الكتاب، وتركوا ما جاء في الكتاب نفسه عن الموضوع نفسه في غير مكانه أو غير بابه، وذلك في تراثنا القديم كثير!

وقد وقفت على أمثلة مما نقله علماءُ عن أمثالهم، فكان نقلهم ناقصًا، لأنهم لم يستقصُوا مؤلَّفات مَن نقلوا عنهم! ورأيت مثل ذلك كثيرًا عند المحدَثين الذين نسبوا إلى الجاحظ وغيره ما لم يقصد إليه ولا أراده، ونَفَوا عن ابن جنّي آراءً لم يعثروا عليها فيما اطّلعوا عليه في مظانِّها، وكان رحمه الله قد عبَّر عنها عَرَضًا في مواضع أخرى من كتبه، مع أنه من أكثر المؤلفين جَوْدةً في التصنيف والتزامًا بالعنوان الذي يكتب في موضوعه.

ورأيت اختصارًا للوقت أن أجمع ذلك في رسالة صغيرة آمل أن يتّسع لها العمر فأنشرها.

من ذلك تفسير الجاحظ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] بدمشق وفلسطين الذي نقله عنه ابن خالويه! والذي عاد الجاحظ ليردّ على من قال به بعد

(٤) البيان والتبيين ١/ ١٦١.

ثلاثين ورقة[٥]. ومنه نفي آراءٍ قالها ابن جنّي، وهي واردة عنده في غير الباب الذي بحثوا عنها فيه. ومن ذلك نفي أحاديثَ نبويّة على أنها لم تذكر في صحيح البخاري؛ لأنه رواها في غير الباب الذي كان مظنّتها، ووجدها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في باب آخر من أبواب صحيح البخاري[٦].

وأما في المعاجم فقد رأيت بعض من كتب في اللغة ينفي ذكر بعض المشتقّات أو بعض الكلمات في المعجم؛ لأنه اكتفى بالبحث عنها في مظنَّتها، وما نقله لا ينطبق إلّا على الباب الذي نظر فيه، على حين أن صاحب المعجم ذكر ذلك الذي توهَّمه الباحث مفقودًا = في موضع آخر غيرِ الموضع الذي هو حقّه، ومثال ذلك:

أنك لا تجد (أغرض) في اللسان في (غرض) ولكنك تجدها في (هدف)، وأغرض الشيءُ: صار غرضًا له؛ أي: هدفًا. ولا تجد (المُخْبِل)، وهو من لا يولد له، في التاج في (خبل) ولكنك تجدها في (لقح). ولا تجد (فشّ) في اللسان ببعض معانيها إلّا في (نخج).

ولا تجد (القلّاع) في أساس البلاغة في (قلع)، ولكنك تجدها في (ملخ) و(نتخ). وهكذا كثير، وهذا يجعل من مسؤولية الذين يحققون طبعاتٍ جديدةً للمعاجم أن يشيروا إلى هذا، وأن يعيدوا الكلمات الشاردة إلى مواضعها بحسب الترتيب المعجمي.

ولطالما أفدت من مكتبة أبي حين كنت أجد على هوامش كتبه إحالات تُلحق الخبر بتمامه، أو تشرحه، أو تلحقه بما يتصل به في الكتاب نفسه أو في غيره من الكتب، مع التنبيه على ذلك لتتبّعه في المواضع التي تُحدّد

(٥) كتاب «إعراب ثلاثين سورة...» لابن خالويه، وكتاب الحيوان للجاحظ ١/ ٢٠٨ ط هارون.

(٦) مجلة الأزهر: المجلد ٢٨ الجزء ٥ سنة ١٩٥٦م.

أرقام صفحاتها. وهذا الذي نشّأني على أن أقرأ كثيرًا من الكتب قراءة تستوعب الكتاب، بعد أن كنت أصطفي من الكتاب ما يعنيني منه، فإذا وصلت إلى غرضي تركت ما عداه.

لقد قرأت عشرات من الكتب التراثية في اللغة والتراجم والأدب، كلسان العرب بجميع أجزائه، وإنباه الرواة، وبغية الوعاة، والبيان والتبيين، وغيرها، قراءة استيعاب، لا أترك منها خبرًا أو صفحة إلا أتيت على قراءته...

وأنا اليوم أذكر ذلك لأنه هو الذي جعل جَعبتي حاوية ما لم أكن في حاجة إليه حين حويته!!، وألقى في شبكتي الكثير مما علق بها مما لو بحثت عنه لما وجدته!!.

ومن هذه الجَعبة أو الشبكة التقطت اليوم هذه الكلمات وعشرات من أمثالها. أقدّم أنموذجًا منها، تاركًا الاختيار منها لمن شاء من السامعين والكتّاب... وهي كلها - فيما أرى - خفيفة في النطق، لطيفة على السمع، معبّرة عن معنًى يبحث عن لفظ يعبّر عنه.

ثم إن هذه الكلمات عربيّة فصيحة لم أنتشلها من بحر العاميّة، والفصيحُ عند العلماء هو الذي أفصح عن المعنى أولًا، وجاء على القياس ثانيًا، لا ما كثر استعماله! الفصيح عندهم ما خلا من اللَّحن ومن الشذوذ، لذلك قالوا عن اللَّبن: إنه فصيح، حين يكون خاليًا من الرَّغْوة، وإذا وصفوا كلمة بكثرة الاستعمال، فالمراد عندهم كثرة استعمال العرب الموثوق بعربيّتهم لا كلّ المتكلّمين كما يفهم بعض الناس اليوم، فيجمع مما يكثر على أقلام غير الموثوق بلغتهم من مؤلفين ومؤرخين وفقهاءَ!

فحقائق العلم واللغة ليست كديمقراطية الانتخابات تتساوى فيها أصوات العلماء وأصوات العامّة!! إن رأي خبير واحدٍ في الدنانير والليرات

الذهبية يعدل، بل يفوق رأي المئات من جماهير الناس غير الخبراء، وما قصّة خلَف الأحمر عن أذهاننا ببعيدة.

وكذلك نجد من الكلمات ما كانت العرب تستعمله قديمًا، ثم استعملته العامّة كثيرًا حتى زهد فيه المثقّفون وتركوه، فقلّ استعماله حتى توهّم بعضهم أنه عامّي، فهذا وأمثاله مما يجب إحياؤه، وبيان أنه عربيّ صحيح فصيح. وأمّا ما استعملته العامّة بفروق يسيرة، أو تحريفٍ في اللفظ فإنه يُعاد إلى أصله ونُطقه الصحيح.

وآخر ما أشير إليه – قبل الانتقال إلى المفردات التي أعرضها اليوم للتداول – هو أن المعجم وحده لا يكفي لشرح ما نريد شرحه من نصوص التراث، فإن المعجم العربي لم يحوِ لغة العرب كلَّها أولًا، وإن للعرب أساليبَ في التعبير تجاوزت حدود المعاني الضيّقة للمفردات، مما جعل شرّاح الشعر ومحقّقي الدواوين يختلفون في شروحهم أو يَضلّون في بعض ما يذهبون إليه.

ولست أنسى معلِّمًا شرح لطلّابه بيتًا لكثيِّر عَزّة يقول فيه:

أحبّ من النّسوان كلَّ قصيرةٍ لها نسبٌ في الصالحين قصيرُ

بقوله: «إن الحبّ أعمى، وإن الشاعر كان يحب امرأة قصيرة، واشتُهرت بقِصَرها حتى نُسبت إلى القِصار». وساق الله طالبًا استشهد على اختلاف أذواق المحبِّين بهذا البيت، فضحكت، وقلت له: إن عجز البيت يشرح صدرَه، فقوله (لها نسبٌ قصير) يعني أنها منسوبة إلى أقرب الناس إليها نسبًا، وهو الأب، لشُهرته، ولو كانت منسوبة إلى جدٍّ بعيد لكان نسبُها طويلًا، فالقِصَر والطّول هنا للنسب وليس للجسم! فكلّما كان المشهور الذي يُنسب المرء إليه أقرب كان نسبه أقصر، وكلما كان المشهور أبعد كالجدّ أو جدّ

الجدّ كان النسب أطول. وهكذا كانت للعرب في لغتهم أوضاع وأساليب لا تحصرها المعاجم ولا يفهمها إلا من عايش لغتهم وعرف أساليبهم.

ومما يتصل بهذا ما استدلّت به إحدى الكاتبات من أن الإسلام يحضّ الرجل على ضرب أهله، وهو القول المأثور والوارد في كتب الحديث «لا ترفع عصاك عن أهلك»! إنها لم تعرف من العصا إلّا ظاهرها الذي يعرفه عامّة الناس، ولو عادت إلى كتب اللغة لوجدت للعصا عددًا من المعاني التي عبّر عنها العرب بالعصا، فلقد قالوا:

- شق فلان العصا؛ أي: خرج عن الجماعة وفرّق ائتلافهم.
- وألقى الرجل عصاه؛ أي: ترك الترحال واستقرّ به المقام.
- وطال ظلُّ عصاه؛ أي: كثر زجره وتأنيبُه.
- ويوصف الراعي بأنه شديد العصا، أو ليّن العصا في تربيته وسوقه لقطيعه، كناية عن قسوته ورأفته.
- وهم عبيد العصا؛ أي: لا يهابون إلا من يقسو عليهم.
- وقشرتُ له العصا؛ أي: أظهرته على ما أكننت من أسراري.
- وقولهم: «لا ترفع عصاك عن أهلك» معناه لا تترك تأديبهم، وفي (مختار الصحاح) أنه قول يراد به الأدب. وعن ابن قتيبة قال: معنى حديث النبي ﷺ «لا ترفع عصاك عن أهلك»، قال: أراد النبيّ اجمع أهلك ولا تفرّقهم، والعصا في هذا الحديث الجمع، ومنه قول الناس في الخوارج إذا خرجوا: شقّوا عصا المسلمين: فرّقوا جمعهم(٧).

وهكذا ذُكِرَتِ العصا في عشرات الأقوال ولم يُرد بها معناها الحقيقي مرّة واحدة!!

(٧) الأدب المفرد: ١٥٥٢.

وأين اليوم من يقول أو يكتب فلا يزيد مقدارُ لسانه على مقدار علمه؟ وأين منّا من لا يزيد مقدارُ علمه على مقدار عقله؟ وأين في الشارحين والمفسّرين من تتجاوز معرفته ظاهر الألفاظ؟!

وأين اللغويّون الذين ينبغي لهم أن يسابقوا الزمن، ويسارعوا إلى إيجاد الكلمات المعبِّرة التي يحتاج إليها الكتّاب والمتحدِّثون قبل أن تسبقهم العاميات والدّخيلات إلى الألسن والأقلام؟ فإن هذه إذا سبقت استحكمتْ وتمكّنت وصعب علينا وعلى اللغويين وعلى الناس أن يستبدلوا بها الجديد. ورحم الله الجاحظ فقد كان يقول: «اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدَّنيَّ الساقط يُعشّش في القلب ثم يَبيض ثم يُفرِّخ، فإذا ضرب بجرانه (أي: استقرَّ)[٨]، ومكّن لعروقه، استفحل الفساد وبزل (بلغ قوّته)[٩]، وتمكّن الجهل وقرح[١٠] (قوي وتمكّن) فعند ذلك يقوى داؤه ويمتنع دواؤه؛ لأن اللفظ الهجين الرديّ والمُستكرَه الغبيّ، أعلقُ باللسان وآلفُ للسَّمْع، وأشدُّ التحامًا بالقلب من اللفظ النبيه الشريف، والمعنى الرفيع الكريم»[١١].

ومما يجب أن نتجنّبه، وهو كثير في كتبنا الحديثة الجامعيّة وغيرها أن ننقل عن محدَث ما نقله هو عن كتاب قديم، ثم أن نحيلَ على الكتاب القديم مباشرة ونحن لم نره ولم نعد إليه! فلكم قرأت لمن نقل عن «ضحى الإسلام» لأحمد أمين نصًّا من الطبري، وعزا إلى الموضع الذي عزا إليه أحمد أمين مباشرة، وكثيرًا ما يقع في خطأ أو نقص في النقل... بل خطأ في رقم الصفحات التي

(٨) جران البعير: مقدَّم عنقه إلى منخره. والجمع جُرُن مثل كتاب وكتب. ويقال: ألقى البعير جرانه: إذا أراد المكث والراحة ووضع عنقه على الأرض.

(٩) البازل: البعير إذا بلغ التاسعة من عمره، أي: استكمل قوّته.

(١٠) القارح من ذي الحافر كالبازل من الإبل.

(١١) البيان والتبيين ١/ ٨٦.

يدّعي الكاتب أنه نقل عنها فوقع في الخطأ الذي وقع فيه المنقول عنه!! ولم يكن أحدهما على صواب. فلا تنقل عن ناقل، وإذا نقلت فاذكر مَن نقلتَ عنه مباشرة كأن تقول: قال الطبري - نقلًا عن ضحى الإسلام -:...

وبعد، فهذه أمثلة من مفردات كثيرة كنت استخرجتها من عشرات الكتب ومن المعاجم، بعضها مما لم تذكره المعاجم، وبعضها مما ذكرتْه في غير حاقّ موضعه بحسب ترتيبها المعجمي، وهي كثيرة، وجلّها مهمل أو منسيّ...

وكل ذلك ينادي أن عيون القرّاء بل أنظار العلماء لم تقع عليه، لأن معظمهم لا يقرأ من الكتاب إلا الموضع الذي يعنيه، وكتب القدماء من المؤلفين والعلماء في تراثنا لا تُقرأ على هذا النحو المُبتَسَر، ولا يكفيه البحث والنظر المختصَر، فإذا لم تُستوفَ قراءته وتُستوعَبْ صفحاته، ضاعت ثروة كبيرة نحن اليوم في حاجة إليها. وزاد الأمر صعوبة وبُعدًا اكتفاءُ أكثر الناس اليوم وفي ذلك الباحثون والعلماء بالنظر في المكانز والحواسيب والشابكات، وإني لأحسب أن معظم ذلك مُلَحْوَج لا يفي بالغرض ولا يوثق بإتقانه وضبطه!..

وملخَّص القول أن معرفتنا بأساليب القدماء في مؤلَّفاتهم يفيدنا:

١) بتصحيح كثير مما نُقل عنهم خطًا؛ لتوزّع الموضوع الواحد على أبواب مختلفة وأماكن متباعدة! ولإيرادهم الأخبار والمفردات اللغوية في غير مواضعها ومظانّها.

٢) يزوّدنا بمفردات وألفاظ وردت في غير أبوابها المعجميّة، وبمفرداتٍ لم ترد في المعاجم!

وأعرض هنا غيضًا من فيض مما وقفت عليه من تلك المفردات التي وردت في كتب التراث وأهملتها المعاجم، أو وردت في المعاجم إمّا في غير مظانّها، أو مما أهملناه ولم نستعمله.

١- الأفندي

الفِنْد: الجبل العظيم، وقيل: الرأس العظيم منه. وقيل: هو المنفرد من الجبال. قال عليّ كرّم الله وجهه عن الأشتر: «لو كان جبلًا لكان فندًا لا يرتقيه الحافر، ولا يوفي عليه الطائر».

والفِند: الغصن من الشجر.

وزاد في تاج العروس قوله: «ومما يُستدرك عليه الفِنْدَةُ، بالكسر: العود التامّ، تُصنع منه القوس. وجاؤوا من كل فِنْد، بالكسر، أي: من كل فنّ. قلت - والقول لصاحب التاج -: ومنه اشتقاق لفظ (الأفندي) لصاحب الفنون، زادوا ألفًا عند كثرة الاستعمال (أي: وضعوا الألف في أفندي) إن كانت عربيّة. وقيل: روميّة: معناها السيّد الكبير».

وعلى هذا فالأفندي إما كلمة عربيّة الأصل من الفِند، وإمّا مُعرَّبة، وهي على الوجهين تدلّ بمعنًى من معانيها على السيّد الكبير، وهو المعنى الذي شاع وانتشر، وكثر استعماله أيّام العثمانيّين.

٢- أوادم

الأديم: يُطلَق على وجه الأرض. والجِلْد له وجهان؛ ما ظهر منه هو البَشَرَة، وباطنه الذي يلي اللحم هو الأَدَمَة.

والأُدْمة: السُّمرة. والآدم من الناس: الأسمر، والجمع أُدْمان.

والإدام: ما يُؤتَدَم به، ويقال: أَدَمَ الخبزَ باللّحم.

والأَدْم: الأُلفة، وأَدَم الله بينهما: أصلح وألَّف، وكذلك: آدَمَ الله بينهما.

وفي الحديث: «لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يُؤدَم بينكما»؛ أي: أن تكون بينكما المحبة والاتفاق.

ونقول في لغتنا الدارجة: فلان آدميّ. نعني أنه حسن الأخلاق. وهي

نسبة إلى آدم. ونجمع آدميّ على أوادم.

وفي لسان العرب: «قال الجوهري: آدم أصله بهمزتين، لأنه أفعل، إلّا أنهم ليَّنوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واوًا وقلت (أوادم) في الجمع؛ لأنه ليس لها أصل في الياء معروف، فجُعل الغالب على الواو».

وقال ابن جني: «ألا تراهم حين كسَّروا [أي: جمعوا جمع تكسير] قالوا: آدم وأوادم كسالم وسوالم؟».

٣- بَحْ

في المحيط: «بَحْباحِ، مبنيّة على الكسر: كلمة تُنبئُ عن نَفاد الشيء وفَنائه».

تقول العرب إذا لم يبق شيء: «بَحْباحِ».

وقد اختصرتها العامّة عندنا، فقالت للطفل إذا لم يبق شيء: «بَحْ»، وواضح أنّها المقطع الأول من (بَحْباح).

٤- البِرادة

في المحيط: «بَرَدَه وأَبْرَده: أرسله بريدًا».

ولم أجد (البرادة) وهي الإرسال بالبريد في المعجم. ولكن قال الفرزدق:

كتبتُ وعجّلت البِرادة إنني إذا حاجةٌ عوّلتُ عجّت ركابُها

والرواية في الديوان: إذا حاجةٌ طالبتُ[١٢].

فالبِرادة: الإرسال بالبريد، وعجّت: اشتدَّتْ فأثارتِ الغبار.

٥- الحاكية

في المعجم: حكيت عن فلان؛ أي: نقلت.

وحكيته وحاكيته: فعلت فعلَه، أو قلت مثل قوله، لم أجاوزه. وفي

(١٢) [ديوان الفرزدق. شرح علي فاعور. دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧-١٩٨٧م].

الحديث النبوي: «وما سرّني أنّي حكيت فلانًا، وأنّ لي كذا وكذا»؛ أي: فعلتُ مثلَ فعله.

وحاكيت فلانًا محاكاة: شابهته.

وتقول: فلان يحكي الشمس حسنًا، ويحاكيها بمعنًى.

فالحاكية هو الذي يحكي؛ أي: يقلِّد الناس في أصواتهم ولهجاتهم.

وقد استعمل الجاحظ هذه الكلمة في «البيان والتبيين»[١٣] فقال: «إنَّا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكّان اليمن مع مخارج كلامهم، لا يغادر من ذلك شيئًا، وكذلك تكون حكايته (أي: تقليده) للخراسانيّ والأهوازيّ والزّنجيّ والسِّندي والأجناس وغير ذلك» اهـ.

والحاكية: اسم فاعل دخلت عليه التاء للمبالغة كما في النابغة والراوية. ولعلّهم لم يطلقوا هذا الوصف إلّا على من أتقن التقليد؛ لأنهم أطلقوا عليه أيضًا بصيغة المبالغة وصفًا آخر فقالوا: الحَكَّاء؛ كما في (أساس البلاغة) «حاكاه يحاكيه، وهو حَكَّاء».

فالحاكية هو الذي يقلّد الناس بأصواتهم ولهجاتهم وحركاتهم.

٦- حرَّش

جاء في كتاب النوادر لأبي مسحل الأعرابي:

«ويقال: أرَّجت بين القوم، وحَرَّشْت، وأرَّشت، بمعنى أفسدت»[١٤].

وفي التاج (حرش): «التحريش: الإغراء بين القوم أو الكلاب. وحرّش بينهم: أفسد؛ وأغرى بعضهم ببعض. وفي الحديث: أنه نهى عن التحريش بين البهائم وتهييج بعضها على بعض، كما يُفعل بين الكباش والديوك وغيرها».

---

(١٣) ١/ ٦٩.

(١٤) النوادر ٢/ ٤٨٤.

٧- الدّارك

الدارك: هو حجر يوضع تحت المُخْل ليساعده على الرفع.

المُخْل أو العَتَلَة[١٥]: هو عمود من حديد، له رأس عريض تُرفَع به الأثقال، وتُقلَع به الصخور.

٨- الرعّاد

من المجاز: ترعَّدت الألية: ترجرجت. وفي بعض الأمهات: ترعددت، وهو الصواب. والرعّاد: كل شيء يترجرج.

وامرأة رعديدة: يترجرج لحمها من نَعمتها، وكذلك امرأة رعديد: رَخْصة. قيل لأعرابيّ: هل تعرف الفالوذ؟ قال: نعم، أصفر رعديد.

وفي مفتاح العلوم: البيض الرعّاد: نصف المسلوق [وهو ما يُطلَق عليه اليوم (البرشت!)].

٩- الرِّيافة

الرِّيف: أرض فيها زرع وخِصْب، والسَّعة في المأكل والمشرب؛ وما قارب الماءَ من الأرض.

وراف البدويّ - يَرِيف: أتى الرِّيف، كأَرْيَفَ وتريَّف. راف الرجل: يعني أنه ذهب إلى الرّيف.

والرِّيافة: عِلمُ استنباطِ الماء من الأرض.

جاء في كشف الظنون: «علم الرّيافة، وهو استنباط الماء من الأرض بوساطة بعض الأمارات الدالة على وجوده فيُعرف بُعده وقربه بشمّ التراب أو بالنباتات فيه أو بحركة حيوان وجد فيه، فلابدّ لصاحبه [أي: الرَّيّاف] من

---

(١٥) عَتَل الشيءَ: جرّه بعنف وحمله. وفي القرآن: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧]. ومنه العَتّال: مَن مهنته العِتالة، وهو الحَمّال الذي يحمل للناس أثقالهم بالأُجرة.

حسٍّ كاملٍ وتخيّل شامل. وهو من فروع الفراسة من جهة معرفة وجود الماء، والهندسةِ من جهة الحفر وإخراجه»[١٦].

١٠- الزّاجل صفة للرجل لا للحَمام

زَجَلَ الحمامَ: أرسلها إلى بعيد، فهي حَمام الزَّاجل والزجّال.

ويمكن تخصيص (الزاجل) بمُرسِل الحمام؛ و(الزَّجَّال) بقائل الزَّجَل.

١١- التزمين

التزمين من الزمن. قال عمر بن الخطّاب: «زَمِّنوه، فإنه لا يدري متى ميلادُه»[١٧].

أي: أن (التزمين) تحديدُ الزمن، أو تحديد السّن، وهو عندنا اليوم (التسنين).

١٢- السّجاعة

السّجع: الكلام المُقفَّى.

والسّاجع والسّجّاع: الناطق بكلام له فواصل.

والسِّجاعة: التزام السجع[١٨].

١٣- السَّعوط

السَّعوط: بالفتح: اسم الدواء يُصبّ في الأنف.

استعطَ الرجلُ، وأسعَطه الدواءَ: كلاهما: أدخله في أنفه.

وأسعطتُ الرجلَ، واستعط هو بنفسه.

السَّعوط: النشوق. والمِسْعَط: الإناء يجعل فيه السَّعوط.

---

(١٦) كشف الظنون ١/ ٩٣٤.

(١٧) تهذيب الألفاظ الإسلامية ٢/ ٤٢.

(١٨) كما جاء في كتاب الكامل للمبرد ٢/ ١٦٧.

والسُّعاط: شدّة الريح ومبالغتها في الأنف (وهو على وزن فُعال الذي تكثر فيه الأدواء كالصُّداع والزّكام والزّحار...).

١٤- سَمَد

السُّمود: اللَّهو. سَمَد سمودًا: لَها. وسمَّده: أَلهاه.

والسُّمود في الناس: الغفلة والسَّهو عن الشيء.

وسمَد أيضًا (بالتخفيف): رفع رأسه تكبّرًا وعلوًّا.

والسّامد: اللَّاهي.

وفي القرآن: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١]. أي: لاهون غافلون.

١٥- شَروى

في المعجم: شَرْوى الشيءِ: مثلُه، واوه مبدَلة من الياء؛ لأن الشيء إنما يُشرَى بمثله. ويقال: هذا شَرواه وشَريُّه، أي: مثله، وأنشد شاهدًا على ذلك قول الشاعر:

وترى مالكًا يقول: ألا تُبـ ـصر في مالكٍ لهذا شَريّا؟

وكان شُريح القاضي (٧٦هـ) يُضمِّن القصَّار (منظف الثياب ومُبيِّضها)[١٩] شَرواه، أي: مثل الثوب الذي أخذه وأهلكه.

ومنه حديث علي كرّم الله وجهه: ادفعوا شَرواها من الغنم، أي: مثلها. وفي حديث عمر رضي الله عنه في الصدقة: فلا يأخذ إلّا تلك السنّ من شَروى إبله أو قيمةَ عدلٍ، أي: من مثل إبله[٢٠].

---

(١٩) القصَّار: محوِّر الثياب. واحْوَرَّ: ابْيَضَّ. وحَوَّرتُه: غسلته وبيَّضته.

(٢٠) اللسان ١٤/ ٤٢٨.

ويقال: هو شَرْواك، وهي شَرْواك.

فالشَّروى: المِثْل.

قالت الخنساء:

أخـوانِ كالصَّـقْرين لـم يـرَ نـاظرٌ شَـرْواهما

١٦- الشّفّ

انظر: النهنه.

١٧- الطُّرَّاحة

في التاج (طرح): الطَّرْحة: الطيلسان. يقال: رأيت عليه طَرْحة مليحة. وطرح عليه المسألة: أَلقاها، ومنه مجازًا: مطارحة الكلام.

والأطروحة: المسألة تطرحها.

وطرح له الوسادة: أَلقاها. وطرحوا لهم المَطَارِحَ: المفارش، والواحد مِطْرَحٌ كمِفْرَشٍ.

وقد جاء في ترجمة إسماعيل بن الحسين المروزي، في (معجم الأدباء) قوله: «ونزل عن طرّاحته وجلس على الحصير» وكذلك هو في (صبح الأعشى)[٢١]. وفيه: قال الرازي [ت٦٠٦هـ]: «اجلس على هذه الطرّاحة». والرازي هو محمد بن عمر واحد أهل زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وصاحب تفسير «مفاتيح الغيب» و«شرح سقط الزند» للمعري، و«نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» وكتب أخرى كثيرة.

١٨- الطُّلْميَّة

الطُّلْمَة: الخبزة. وطَلَم الخبزةَ: سوّاها وعدلها.

---

(٢١) ٣/٤١٩.

والتطليم: ضربك الخبزة ببَسط الكفّ.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ مرّ برجلٍ يعالج طُلمة لأصحابه في سفر، وقد عرق من حرّ النار فتأذّى، فقال ﷺ: لا تمسّه النار أبدًا، وفي رواية: لا تَطعمه.

وقيل: الطلمة هي الخبزة التي تُجعل في المَلَّة، ويقال لها: خبز المَلّة.

قال الحطيئة: وهو صاحب القصّة الشعرية (وطاوي ثلاثٍ...):

وأفرد في شِعْبٍ عجوزًا إزاءها ثلاثة أطفال تخالُهم بهما

حفاة عراة ما اغتذَوا خبزَ مَلَّةٍ ولا عرفوا للبُرِّ مذ خُلقوا طعما

١٩- العائر

في المحيط: العائر من السِّهام: ما لا يُدرى راميه.

وفي التاج: ثمرة عائرة: ساقطة لا يُعرف لها مالك. وفي الحديث: كان يمرّ بالثمرة العائرة، فما يمنعه من أخذها إلّا مخافةُ أن تكون من الصدقة. وفي الحديث: «ومثل المنافق مثل الشاة العائرة بين غنمين». قال صاحب تاج العروس: شاة عائرة: متردّدة بين قطيعين، لا تدري أيّهما تتبع. وفي الحديث: أن رجلًا أصابه سهم عائر فقتله. والجمع عوائر.

قال مالك الباهلي:

إذا انتسؤوا[٢٢] فَوْت الرماح أَتَتْهمُ عوائرُ نَبلٍ كالجراد نُطيرها

قال ابن برّي: عوائر نبل؛ أي: جماعة سهام متفرّقة لا يُدرى من أين أتت. ونحن اليوم نقول: أصابته رصاصة طائشة!

٢٠- المِطْمَلَة

(أي: الشوبك)

ومن تقاليب (طلم): طمل.

(٢٢) في التاج: انتسأ: تأخّر. قال عمر: إذا رميتم فانتسئوا عن البيوت.

وفي (المحيط): «طَمَل الخبزَ: وسّعه بالمِطْمَلَة للشّوبق (أي: وهي الكلمة المستعملة للشَّوْبَق). والشوبق: خشبة الخباز (معرّب)».

وهي عندنا اليوم الشوبك، وهي إسطوانة من الخشب يُمَدُّ بها العجين.

وهي (المحوَر) كما نقل تاج العروس عن التهذيب[٢٣].

٢١- تفرَّج

الفُرجة في اللغة: الخَلاص من الهمّ، والثغرة في الحائط أو الباب ونحوه.

جاء في الأغاني: نزل إسحاق الموصلي في دار أجرة، وخاف أن يطلب صاحب الدار الأجرة، وليس معه شيء منها، فقال في خبر طويل رواه صاحب الأغاني: فضاق بذلك صدري ضيقًا شديدًا حتى جاوز الحدّ، فأمرت غلامي أن يسرج لي حمارًا لأمضي إلى الصحراء أتفرَّج فيها مما دخل على قلبي.

قال أستاذنا شفيق جبري: فأصل التفرّج التخلّص من الهمّ، ومن ذلك الفُرجة، وهي التفصّي من الهمّ، أي: التملّص. فالمتقدّمون كانوا يستعملون هذه المادة في الحال التي يغلب عليهم فيها همّ فيحاولون كشفه. أما اليوم فقد انتقل معنى هذه المادة من حال إلى حال، فإذا قالت العامة: ذهبنا نتفرّج، فهي لا تريد بذلك مجرّد كشف الغم، وإنما تريد رؤية مشهد عجيب أو طريف. والفرجة لا تريد بها العامة التخلص من الهمّ، إنما تريد بها مشهدًا رائعًا من مشاهد الاستقبال أو الاحتفال أو اللعب أو غير ذلك. وقد عدّت العامة هذه المادة بـ(على) فقالت: تفرّجنا على كذا، وعدّاها المتقدمون بـ(من): أتفرّج مما دخل على قلبي.

فالمواد تتحول على لسان العامة من وجه إلى وجه.

وأضيف إلى كلام أستاذي شفيق جبري أن أسامة بن منقذ أورد في

(٢٣) التاج: (حور).

كتابه (الاعتبار) قوله: «فكنت أركب يوم خروجهم إلى الصيد لأتفرَّج بنظر صيدهم»[٢٤] وأعني أن الفرجة كانت للخلاص من الهمّ، وهي اليوم فرجة أتفرّج بها على ما يسرّ.

٢٢- الفرّوج

وأضيف فائدة تتصل بالجذر (فرج) مستخلصة من كلام الجاحظ: وهي الفَرّوج هو الذي يخرج من بيض الدجاج.

قال الجاحظ: «كلُّ بيضة في الأرض فإن اسم الذي فيها، والذي يخرج منها فَرْخٌ إلّا بيضَ الدجاج فإنّه يُسمَّى فرّوجًا، ولا يُسمَّى فرخًا، إلّا أن الشعراء يجعلون الفَرّوج فرخًا على التوسّع في الكلام، ويُجوّزون في الشعر أشياء لا يُجوِّزونها في غير الشعر»[٢٥].

٢٣- التَّفْسِرة

الفَسْر لغةً: الإبانة والتفسير، وكشف المُغَطَّى.

التَّفْسِرة: هي البَول الذي يَستدلّ به الطبيب على حال المريض وعلّته.

والفَسْر: هو نظر الطبيب في الماء أو البول.

قال ابن منظور: التفسرة هي البول الذي ينظر فيه الأطبّاء يستدلّون به على علّة المريض. وهو الذي نقول له اليوم (العيِّنة). والتسمية القديمة أصحّ وأدقّ وأوضح.

وقد جاء في كتاب «تاريخ حكماء الإسلام»[٢٦]: «قال أبو الحسن بن هارون الحرّاني: الطبيب العالم [هو] الذي إذا رأى ظاهرَ حال المريض

(٢٤) الاعتبار ص١٩٤، تح فيليب حتي، ط برنستون - الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠م.

(٢٥) كتاب الحيوان: ١/ ١٩٩ [ط١ تح هارون مكتبة البابي الحلبي].

(٢٦) تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي. تح: محمد كرد علي. ص٧٤ و٨٥.

وتفسِرتَه ولونَه، اطَّلع من باطن أمره على ما لا يطّلع عليه المريض من نفسه، ثم عالجه على حسب ذلك».

٢٤- فَشّ والفشفاش

فَشَّ الوَطْبَ: أخرج زُبْده.

وفي حديث عمر: «فغضب حتى ذكرتُ الزِّقَّ وانتفاخَه، قال: مَن؟ قلت: ابن أمِّ عبد، فذكر الزقَّ وانفشاشه، يريد أنه غضب حتى انتفخ غيظًا، ثم لمّا زال غضبه انفشّ انتفاخه.

والانفشاش: انفعال من الفَشّ.

فقولنا: فشّ فلان صدرَه أو غِلَّه، صحيح بمعنى أخرجه. ويقول الناس اليوم: فشّ خُلقه؛ أي: أخرج غضبه.

وجاء في اللسان: (في مادة: نخج): «فتخرج الزبدة فشفاشةً ليس لها صلابة».

٢٥- القُلْعَة والقَلاع

القَلّاع: الذي يقلع الأضراس. في (أساس البلاغة / ملخ): وامتلخ القلَّاع ضرسه.

وفي ديوان الصبابة:

قد ذقت منه ما ليس يقلعه أبو حسين القلّاع من ضرسي

في المحيط: «منزلنا منزل قُلْعة وقُلُعة وقُلَعَة كهُمَزَة؛ أي: ليس بمستوطَن، أو لا نملكه، أو لا ندري متى نتحوَّل عنه.

ومجلس قُلْعة يحتاج صاحبه إلى أن يقوم عنه مرّة بعد مرّة».

القُلْعَة: جاء في (أساس البلاغة): وشرُّ المجالس مجلسُ قُلْعة، وهو الذي يُقلَع عنه الجالس إذا جاء مَن هو أعزّ منه.

وهي تفيد المعنيّين بـ(البرتوكول) بالترتيبات الرسمية والاجتماعية؛ إذ يخصِّصون عددًا من الكراسي المتقدمة تسمَّى كراسي أو مجالس قُلْعة.

٢٦- اقتمَّ

القُمامَةُ بالضم: الكُناسة. واقتمَّ: افتعل من القُمامة. جاء في (البيان والتبيين)[٢٧]: «وقال أبو الأسود الدؤلي، وكان من المُقدَّمين في العلم، واسم أبي الأسود ظالم بن عمرو:

وشاعرِ سَوْءٍ يَهضِبُ القول ظالمًا كما اقتَمَّ أعشى مُظلمُ الليلِ حاطِبُ

يَهضِب: يُكثر. والأهاضيب: المطر الكثير. اقتمَّ: افتعل من القُمامة». فاقتمّ: جمع القُمامة.

٢٧- الكابسة

في المحيط: الأرنبة الكابسة - يعني: أرنبة الأنف - هي المقبلة على الشّفة العليا.

٢٨- الكَبْسة

الكَبْسة: تفتيش البيوت. وهي التي يطلقون عليها اليوم اسم «المداهمة»، ولعل هذه من دَهمه الأمر: إذا غشِيَه.

وفي اللسان (كبس): «والتكبيس والتكبُّس: الاقتحام على الشيء.

يقال: تكبَّسوا عليه، وكبَسوا عليهم: اقتحموا...

والاقتحام: الدخول في الشيء، أو الهجوم عليه بغتةً وبلا إذن ولا رويّة.

وقد استعملت (الكبسة) بمعناها المعاصر قديمًا؛ جاء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ) في أخبار إبراهيم الموصلي

(٢٧) ١/ ١١٠، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٥ سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

حديث لحمّاد بن إسحاق يقول فيه:

ما قولكم يا سادتي في أهل بيتٍ كُبِسوا؟

وجاء فيه قوله: وكانت بيوتنا تُكْبَسُ كلَّ وقت.

وكانت كلمة (الكبسة) بمعنى الهجوم الأمنيّ المفاجئ مستعملة في الشام ومصر بكثرة. (كبسة لرجال التحرّي، وللمكتب الثاني، والضابطة الجمركية ونحوها).

٢٩- اللِّبانة

اشتقّ العرب من (اللّبن) كثيرًا من المشتقَّات، فقالوا: اللَّبون لمحبِّ اللَّبَن، واللَّبِن لشاربِهِ.

والمُلْبنة للناقة ذات اللبن: إذا لَبِنَتْ أَو أَلْبَنَتْ.

ولَبَنَه يلبِنُه (من باب ضرب ونصر): سقاه اللَّبن.

والمَلْبون: مَن به كالسُّكر من شرب اللبن (قال: يصيبهم من ألبان الإبل ما يصيب أصحابَ النبيذ. واستلبن: طلب اللبن)[٢٨].

والمِلْبَن: مِصفاة اللبن. والمِحْلَب: وعاؤه. والتلبينة: أكلة من نخالة وعسل. وابن اللّبون: ولد الناقة.

واللَّوابن: الضروع.

واللِّبان: الرّضاع.

وقالوا: اللِّبان للمرأة، واللَّبن للبهائم. لذلك يقولون: هو أخوه بلِبان أمه. ومنه قول أبي الأسود: أخوه غذته أمّه بلِبانها.

واللَّبان: الصدر، وما بين الثديين.

---

(٢٨) وفي التاج عن الفراء: أن اللبن هو وجع العنق من وسادة وغيرها حتى لا يقدر أن يلتفت، وقد لبِن فهو لَبِنٌ.

واللِّبانة: دُرَّاعة تلبسها الجارية (المرأة) تغطّي بها صدرها وثدييها؛ كما في (نوادر الأعرابي)[٢٩]. والأعرابي عبد الوهاب بن حريش من أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للهجرة.

ولعلّهم أرادوا بها منع اللبن عن الرضيع؛ فسمَّوها بذلك كما سمَّوا الخشبة التي تُشدّ على ضرع الناقة لئلا يرضع منها (التودية)، مع أنها وضعت لتمنع تودية اللبن إلى الرضيع! أي: إلى الفصيل الذي هو ابن الناقة، والتودية هي السيلان، من (ودى)؛ أي: سال. وهي تسمية على السلب كالمفازة للصحراء المهلكة.

٣٠- لَحْوَج

(وفي عاميِّتنا: لَهْوج، وهو مُلَهْوَج)

جاء في كتاب (النوادر) لأبي مِسْحل الأعرابي: «يقال: هذا أمرٌ مُلَحْوَج. وقد لَحْوَج فلانٌ أمرَه، وهو المُعوَجّ من الأمر. وهذه خُطَّة مُلَحْوَجة: إذا كانت عوجاء»[٣٠].

٣١- المَجْلَة والنَّفْطَة

في المعجم: مجِلت يده تمجَل وتمجِل مَجَلًا ومَجْلا ومُجولًا، لغتان؛ أي: نَفِطت من العمل فصلبت وثخُن جلدها، وتَعَجَّر[٣١] وظهر فيها ما يشبه البثَر من العمل بالأشياء الصُّلبة الخشنة.

وفي حديث فاطمة: أنها شكت إلى عليٍّ عليه السلام مَجْل يديها من

(٢٩) النوادر لأبي مسحل الأعرابي. تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

(٣٠) النوادر ٢/ ٤٥٤ تح عزة حسن ط المجمع ١٩٦١م.

(٣١) عَجِر يَعْجَر: غَلظ وسمِن وتضخَّم بطنُه، فهو أعجر.

الطَّحن. وفي حديث حذيفة: فيظلّ أثرها مثل أثر المَجْل.

ويقال: أمجلَها العمل. والمَجْل: أثر العمل في الكفِّ.

والمَجْلَة: قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من أثر العمل (كالعِنَبَة في اليد).

ومَجَلَتْ يدُه: صار فيها مَجْلَة. (اللسان، والوسيط، وصفوة الصفوة).

- والنَّفَط بالتحريك: المَجْل.

وقد نَفِطت يدُه، بالكسر، نَفْطًا ونَفَطًا، وتنفَّطَتْ: قَرِحت من العمل. ويدٌ نافطة ونفِيطة ومنفوطة: أنفطها العمل.

والنفَط: ما يصيبها من ذلك.

وعن الليث: النَّفطَة: بَثْرة تخرج في اليد من العمل ملأى ماءً.

وعن أبي زيد: إذا كان بين الجلد واللحم ماء قيل: نَفِطَت تَنفَط نَفَطًا ونفيطًا.

٣٢- المَعْمَعيّ

في المعجم: المَعْمَعيُّ: الرجل الذي يكون مع مَن غلب!

ويقال: مَعْمع الرجلُ: إذا لم يحصل على مذهب، كأنه يقول لكلٍّ: أنا معك. ومنه قيل: إِمَّع وإِمَّعة.

والإِمَّعة: من لا رأي له، بل يتابع كل أحد على رأيه. والجمع إِمَّعون، كما في التاج، والفعل منه: تأمَّع.

ومن الجدير بالذكر أن (المعمعيّ) لم تستعمل بمعنى الإِمَّعة إلا منسوبة وأما إذا تجرّدت من ياء النسبة وقيل: (معمع) فتصبح صفة للرجل الذكي المتوقّد، وكذلك يقال للمرأة الذكيّة: (معمع) (كما في اللسان).

٣٣- نتف ونتش والنُّتْفة

النُّتْفَة: القليل من الشيء.

نتَف الشَّعر ينتِفه. وما نُتف هو «النُّتافة» كالثُمالة والحُشاشة (أي: بقيّة الشيء).

في الصحاح: النُّتفة: ما تنتفه بأصابعك من النَّبت أو غيره. والجمع: نُتَف. ومثلها في الوزن نُطْفة ونُطَف.

ورجلٌ نُتَفَةٌ: ينتِف من العلم شيئًا ولا يستقصيه.

والمِنتاف: ما يُنتَف به، كالمِنتاش، من النَّتْش، وهو استخراج الشوكة ونحوها.

ونَتَش الشيء: استخرجه.

تقول: ما نتشت من فلان شيئًا! أي: لم أستطع أن آخذ منه شيئًا.

٣٤- النَّهْنَه والشَّفُّ

النَّهنه: الثوب الرقيق النسيج. وأما (الشَّفُّ) فهو الثوب الذي يحكي ما تحته.

* * *

العَرَبُ والبَيانُ:
تأمّلاتٌ في الطّبيعةِ البَيانيّة لِلشّخصيّة العربيّة

أ. د. عيسى العاكوب(*)

قِصّةُ البحث:

شاءَ الخالِقُ العظيمُ سُبْحانَه أن يُجلِّيَ عظَمتَه في أنواعِ مخلوقاتـه، فكـان كُلٌّ مِنها آيةً مِن آياتِ جَمالِه وجَلالِه وكَمالِه، دالّةً عليها، شاهِدةً عَلَى رُبوبيّتِـه فيها، مُظهِرةً عِناياتِه بها، العنايـاتِ التـي تبهَـرُ العقـولَ، وتـذهَبُ بِـالنُّهَى كُـلَّ مذْهَب. وجاءَ خَلْقُ اللهِ سُـبْحانَه الإنسـانَ آيـةَ الآيـاتِ، بِمـا حَبـاهُ مِـن عَظـيمِ القُدُرات، وشَريفِ الكِفايات، وجليـلِ الغايـات. وتقـولُ الآثـارُ المُقـدَّرةُ: إنّ الخَالِقَ إنّما خَلَقَ الخَلْـقَ لكـي يُعْـرَف. ويقـولُ الـذِّكْرُ الحكـيمُ إنّ نَوْعًـا مِـن الخَلْقِ خاصًّا هو المَنوطةُ به معرفةُ الله؛ وهو الإنسُ والجِنُّ اللّذانِ خُلِقـا مِـن أَجْلِ هذه المعرفة. ومِن عَظيمِ مظاهِرِ قَصْـدِ الخـالِقِ إلـى أن يُعْـرَفَ، تمكـينُ الإنسانِ مِن البيان. ولَعلَّه لِهذا القَصْدِ قـالَ مُنـزِلُ الكتـابِ العزيـز: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ ۝٣عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

ويَعِنّ لِلخاطِرِ هنا أنّ فَيْضَ الرّحمةِ الإلهيّةِ مُنداحٌ بِقُوّةٍ في تعليمِ القـرآن، وخَلْقِ الإنسانِ، وتعليمـه البيـانَ. فـإذا شـئتَ حَـدَّ الإنسـانِ بِأنّـه «المخلـوقُ

(*) ألقى الأستاذ الدكتور عيسى العاكوب عضو مجمع اللغة العربية بدمشق هذه المحاضـرة في قاعة مجمع اللغة العربية بدمشق، بتاريخ ٢٧ تشرين الأول ٢٠٢١م.

المُعلَّمُ البيان»، كما يقولُ العلّامةُ الهنديُّ عبدُالحميد الفراهيّ، لا تكونُ جانَبْتَ الصّواب. وقد يُختلَفُ في أشياءَ كثيرةٍ، لكنّنا لا نَخالُ أنّه يُختلَفُ في شأنِ تمكينِ الخالِقِ العربَ مِن البَيان. وقد أبدَتِ الشّخصيّةُ العربيّةُ في سُلوكِها الذي انتهَى إلينا، وعَلِمْنا مَجالِيَه، احتفاءً منقطِعَ القَرينِ بالكِفايةِ البَيانيّة، وعِنايةً قليلةَ النّظيرِ بإنشائها وتَرْبيتِها وصَقْلِها وإيصالِها إلى الغاية. ويتناولُ البَحْثُ الذي بينَ أيدينا مُناقشةَ تجلِّي المَلَكةِ البَيانيّةِ في جِنْسِ العرب، ومجالي الطّبيعة البيانيّةِ لِلشّخصيّةِ العربيّة. ويقفُ مِن أَجْلِ ذلك عندَ النِّقاطِ الآتية:

١- الدِّلالةُ البيانيّةُ في تَسْميةِ العرَبِ بهذا الاسْمِ «عَرَب».

٢- انتباهُ العرَبِ المُفْرِطُ إلى جَمالِ الأداءِ اللّغويّ خاصّةً، بينَ جُمْلةِ مَظاهِرِ الجَمالِ الباديةِ في الوجود.

٣- تطلُّبُ العرَبِ صِفاتِ جَمالِ الخِلَقِ البشَريّة صِفاتِ جَمالٍ لِلْبَيانِ العربيّ.

٤- اجتهادُ العَرَبِ إلى الغايةِ في تحسينِ مادّةِ البيانِ في اللّغة العربيّة.

٥- إظهارُ اللّغةِ العربيّةِ العربَ مُنقادينَ لِلْفِطْرةِ والطّبع.

٦- القرآنُ الكريمُ يعزِّزُ الطّبيعةَ البيانيّةَ لِلشّخصيّةِ العربيّةِ واللّغة العربيّة.

٧- المحصولُ النّهائيّ.

وستكونُ لنا وِقْفةٌ عندَ كُلٍّ مِن هذه النِّقاطِ عَلَى الوِلاء:

أوّلًا- الدِّلالةُ البيانيّةُ في تَسْميةِ العرَبِ بِهذا الاسْمِ «عَرَب»:

يَلفِتُ الانتباهَ في الوَضْعِ اللّغويِّ العربيّ أنّ الواضِعَ الذي وَضَعَ اسْمَ «العَرَب» عَلَمًا عَلَى هذا الجِنسِ مِن البَشَر كأنّه أرادَ بذلك ظهورَ الإبانةِ والإعرابِ والإفصاحِ فيهم عَلَى أَشُدِّها. يقولُ أحمدُ بنُ فارس (تـ ٣٩٥هـ): «العَيْنُ والرّاءُ والباءُ أُصولٌ ثلاثةٌ: أحَدُها الإبانةُ والإفصاحُ، والآخَرُ النّشاطُ

وطِيبُ النَّفْس، والثّالِثُ فَسادٌ في جِسْمٍ أو عُضْوٍ»[١]. ويُفهَمُ مِن بعضِ الآثارِ أنّ العربَ إنّما سُمُّوا بذلك لِصِفةٍ بارزةٍ جدًّا في لِسانهم، وهي الإعرابُ والبيانُ. يقولُ ابنُ فارس أيضًا: «فأمّا الأُمّةُ التي تُسمَّى «العَرَبَ»، فليسَ بِبَعيدٍ أن يكونَ سُمِّيَتْ «عَرَبًا» مِن هذا القياس؛ لِأنّ لِسانَها أعرَبُ الألسنةِ، وبَيانَها أجودُ البَيانِ. ومِمّا يُوضِّح هذا الحديثُ الذي جاء: «إنّ العربيّةَ ليسَتْ بابًا واحِدًا، لكنّها لِسانٌ ناطِقٌ». ومِمّا يَدلُّ عَلَى هذا أيضًا قولُ العَرَبِ: ما بِها عَرِيبٌ، أي: ما بِها أحَدٌ، كأنّهم يُريدونَ: ما بها أنيسٌ يُعْرِبُ عن نفسِه»[٢].

ويُفهَمُ مِن هذا أنّ «العرَبَ» استحقّوا هذا الوَصْفَ الذي صار اسْمًا لهم مِن إعرابِ لِسانِهم وجَودةِ بَيانهم، وأنّه كُلّما كانَتِ الجماعةُ مِن العَرَبِ أفصَحَ وأبينَ في لِسانِها كانَتْ أدْخَلَ في العربيّة. ولَعلّه مِن هنا يجيءُ قولُ الخليلِ بنِ أحمد: «العَرَبُ العارِبةُ هم الصّريحُ. والأعاريبُ: جَماعةُ الأعراب. ورَجُلٌ عربيٌّ. قال: وأعربَ الرَّجُلُ: إذا أفصَحَ، وهو عَرَبانيُّ اللِّسانِ: فَصيحٌ... والعَرَبُ المُستَعْرِبةُ هم الذين دخلوا بعدُ، فاستعرَبُوا وتعرّبوا»[٣].

ويتراءى هذا الذي قُلْناهُ انطباعًا مستقِرًّا عندَ ذَوي التّحقيقِ في عَصْرِ تدوينِ العِلْمِ العربيّ. فإلى نحوٍ مِن هذا ذَهَبَ ابنُ جِنّيّ (تـ ٣٩٢هـ) المُعاصِرُ لِابنِ فارس، حَيثُ يقولُ في شأنِ القولِ عَلَى «الإعرابِ»: «هو الإبانةُ عن المعاني بالألفاظِ؛ ألا ترى أنّكَ إذا سَمِعْتَ: أَكْرمَ سَعيدٌ أباهُ، وشَكَرَ سَعيدًا أبوه، عَلِمْتَ بِرَفْعِ أَحَدِهما ونَصْبِ الآخَرِ الفاعِلَ مِن المفعول. ولو كان الكلامُ شَرْجًا[*] واحِدًا لَاستبهَمَ أحَدُهما مِن صاحِبِه... وأمّا لَفْظُه فإنّه

(١) معجم مقاييس اللّغة ٤/ ٢٩٩.

(٢) السّابق، ٤/ ٣٠٠.

(٣) نفسه، ٤/ ٣٠٠.

(*) ضَرْبًا واحِدًا.

مصدرُ «أعرَبْتُ عن الشّيء»: إذا أوضحْتَ عنه. وفُلانٌ مُعْرِبٌ عَمّا في نفسِه، أي: مُبينٌ له، ومُوضِحٌ عنه... وأصْلُ هذا كلِّه قولُهم: «العَرَب»؛ وذلك لِما يُعزَى إليها مِن الفصاحةِ والإعرابِ والبيان. ومِنه قولُه في الحديث: «الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عن نفسها»(٤).

ويُفضي التّأمّلُ لِاستعمالاتِ أصْلِ العَيْنِ والرّاءِ والباءِ إلى القول: إنّ «العَرَبَ» في أَصْلِ المعنى صِفةٌ بَيانيّةٌ لِسانيّةٌ عُرِفَ بها هذا الجِنْسُ، فأُطْلِقَتْ عليه اسْمًا. فالعَرَبُ هم القومُ المُعْرِبونَ بِألسنتهم عن مُراداتهم، المُفصِحونَ ببيانهم عن مُستكِنّاتِ صُدورِهم. ولَعلّه يُنبِّهُ عَلَى هذا أيضًا قولُ صُحار بنِ عَيّاشٍ العَبْديّ حِينَ سُئِلَ عن ماهِيّةِ البلاغةِ التي استحكمَتْ في قَوْمِه عبدِ القَيْسِ: «شَيءٌ تَجِيشُ به صُدورُنا، فتقذفُه عَلَى ألسنتنا».

ويُبيِّنُ الرّاغِبُ الأصفهانيُّ الكيفيّةَ الكامِلةَ لِما قَدَّمْناهُ مِن بَيانِ لِسانِ العربِ، الذي نشأ عنه وَصْفُهم بِـ «العَرَب»، ووَصْفُهم ووَصْفُ كلامِهم بِـ «العربيّ»، إذ يقولُ: «العَرَبُ: وَلَدُ إسماعيلَ، والأَعْرابُ جَمْعُه في الأَصْلِ، وصار ذلك اسْمًا لِسُكّانِ البادية... والعَرَبيُّ: المُفْصِحُ، والإعرابُ: البَيانُ... والعَرَبيُّ: الفصيحُ البيِّنُ مِن الكلام قال تعالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢](٥).

ثانيًا - انتباهُ العَرَبِ المُفْرطُ إلى جَمالِ الأداءِ اللّغويّ خاصّةً، بينَ جُمْلةِ مظاهِرِ الجَمالِ البادِيةِ في الوجود:

يَلفِتُ الانتباهَ كثيرًا إيلاءُ العَرَبِ انتباهًا خاصًّا لِجَمالِ ما تُقدّمُه المَلَكةُ البيانيّةُ اللِّسانيّةُ. فمعَ أنّ صِفاتِ الجمالِ المادّيِّ والمعنويِّ تُحيط بهم مِن كُلِّ ناحيةٍ، فتُبصِرُها أعينُهم، وتَسْمعُها آذانُهم، وتتنسَّمُ عبيرَها مَشامُّهم، وتدركُ

(٤) الخصائص، ١/ ٣٥-٣٦.

(٥) مفرداتُ ألفاظِ القرآن، ص٥٥٦-٥٥٧.

انسجامَها وتناغُمَها وتآلُفَ أجزائها مَداركُهم وأفهامُهم، أقولُ: معَ ذلك كُلِّه خَلَبَ ألبابَهم جَمالُ بَناتِ الأَلْسُن، وسِحْرُ لَآلِئ المنطِق. فحتّى المرأةُ التي هي مَحَلٌّ لِمَظاهِرَ كثيرةٍ مِن المحاسِن، ومَرْتَعٌ لِلْعَيْنِ المتشوِّفةِ إلى كُلِّ ما يروقُها ويُبهجُها، ومَوْضِعٌ لِلْحُسْنِ الذي يُعجِبُ حتّى الأنبياءَ كما يقولُ الخِطابُ الإلهيُّ للنّبيّ محمّدٍ عليه الصّلاةُ والسّلام: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، أقولُ: حتّى المرأةُ هذه يُفْرِطُ الشّاعِرُ في الانتباهِ إلى سِحْرِ بَيانِها وخِلابةِ حديثِها دونَ غيرِه مِن صفاتِ جَمالها، فيقولُ الرّاعي النُّمَيريُّ مَثَلًا:

وحَديثُها كالغَيْثِ يسمَعُه ... راعي سِنينَ تتايعَتْ جَدْبًا
فأصاخَ يرجو أن يكونَ حَيًا ... ويقولُ مِن فَرَحٍ: هَيا رَبّا[٦]

ولعلّ أبياتَ ابنِ الرّوميِّ أكثَرُ دِلالةً في هذا الشّأن، حينَ يقولُ:

وحَديثُها السِّحْرُ الحَلالُ لَوَ انّهُ ... لم يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المتحرِّزِ
إن طالَ لم يُمْلَلْ، وإن هيَ أوجزَتْ ... وَدَّ المحدَّثُ أنّها لم تُوجِزِ
شَرَكُ القُلوبِ، وفِتْنةٌ ما مِثْلُها ... لِلْمُطْمئنِّ، وعُقْلةُ المستوفِزِ[٧]

وليس ثَمّةَ في الظّاهِرِ ما يحولُ بينَ المَرْءِ وبينَ أن يقولَ: إنّ تأخُّذَ قلوبِ العَرَبِ بأمثِلةِ البيان دَفَعَهم إلى أن يَخُصّوه بالثّناءِ حتّى حِينَ يكونُ مُحاطًا بِمَظاهِرَ أُخَرَ لِلْحُسْنِ والجَمَال، حتّى إنّ المَرْءَ يَخالُ أنّ القومَ جُبِلوا عَلَى الافتتانِ بهذه الخَلّة الكريمة. فالجاحظُ، مَثَلًا، يحدّثُنا عن عُمَرَ بنِ عبدالعزيز رضي اللهُ عنه الذي كان مأخوذًا ببيانِ بَني أسَد، ويروي لنا قولَهُ: «ما كلّمَني رَجُلٌ مِن بَني أَسَدٍ إلّا تمنَّيْتُ أن يُمَدَّ له في حُجّتِه، حتّى يكثُرَ كلامُه فأسمَعَه»[٨].

(٦) يُنظَرُ في هذا: الخصائص لابن جِنّي ١/ ٢٩. والتّتايُعُ: التّتابُعُ في الشّرّ. والحَيا: المطَر.
(٧) السّابق، ١/ ٣٠. وعُقْلةُ المستوفِز: المانعةُ المتهيِّئ لِلانصرافِ مِن الانصراف.
(٨) البيان والتّبيين، ١/ ١٣١.

ثالثًا - تطلُّبُ العربِ صِفاتِ جَمالِ الخِلَقِ البشَريّة صِفاتِ جَمالٍ لِلْبيانِ العربيّ:

يرى المتأمِّلُ في تاريخِ التّجربةِ الجماليّةِ عندَ العرب، أنّهم آثَروا في الخِلَقِ البشَريّةِ صِفاتٍ خاصّةً تَغنَّوا بها، وأعْلَوا مِن شأنها، وذَمّوا أضدادَها، وعابوا مَن بَدَتْ عليه. يقولُ ابنُ جِنّي: «ومِمّا يَدُلّكَ عَلَى لُطْفِ القومِ ورِقّتِهم، معَ تبذُّلهم وبَذاذةِ ظواهِرِهم، مَدْحُهم بِالسَّباطةِ والرَّشاقةِ، وذَمُّهم بِضِدِّها مِن الغِلْظةِ والغَباوة»[٩]. وقد مَثّلَ لِذلك بعَدَدٍ مِن الشّواهِد، نكتفي مِنها بِاثنَيْنِ:

- تقولُ زينَبُ، أُختُ يزيدَ بنِ الطَّثْرِيةِ، مِن كلمةٍ ترثيهِ بها:

فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتآزِفٌ ولا رَهِلٌ لَبّاتُهُ وبَآدِلُهْ

تُشيرُ في هذا إلى قَدِّ أَخيها الرَّشيقِ الذي قُطِعَ قَطْعَ السَّيفِ عَلَى غِرارٍ واحِدٍ، فلا هو بِقَصيرٍ مُتدانٍ، ولا مُسترخي لَحْمِ المَنْحَرِ والصَّدْر.

- ويقولُ جميلُ بُثَينةَ في رَجُلٍ أضافَه وقدّمَ له طَعامًا شَهيًّا، فأخذَ يُحدِّثُ جَميلًا عن بِنْتِ عَمٍّ له تَعلّقَها قَلْبُه، ويأكُلُ حتّى أتَى عَلَى الطّعامِ المقدَّمِ كلّه:

وقد رابَني مِن جَعْفَرٍ أنّ جَعْفرًا يَبُثُّ هَوَى لَيْلَى، ويشكو هَوَى جُمْلِ

فلَوْ كُنتَ عُذْريَّ الصَّبابةِ لم تكُنْ بَطينًا، وأَنساكَ الهَوَى كَثْرةَ الأكْلِ[١٠]

وأمثالُ هذا كثيرةٌ في كلامِ العرب. والمتأمِّلُ في كلامِهم يهتدي إلى أنّهم آثَروا صفاتِ السَّباطةِ والرَّشاقةِ، وهي هنا حُسْنُ القَدِّ واستِواؤه ولُطْفُه، صِفاتٍ لِكلامِهم وبَيانِهم، الذي اختاروا فيه مِثْلَ ما اختاروا لِأبدانهم، القليلَ الدّالَّ عَلَى الكثير، والخفيفَ عَلَى اللِّسانِ المنزلِقَ عليه كما ينزلِقُ الدُّهنُ.

(٩) الخصائص، ١/ ٧٩.

(١٠) السّابق، نفسه. ورابني: رأيتُ مِنه ما يَريبُني وأكرَهُه. والبطينُ: الكبيرُ البَطْنِ ذو البَدانة.

يقولُ الجاحظُ: «وأَجْودُ الشِّعْرِ ما رأيتَه مُتلاحِمَ الأجزاءِ، سَهْلَ المخارج، فتعلَمُ بذلك أنّه قد أُفرِغَ إفراغًا واحِدًا، وسُبِكَ سَبْكًا واحِدًا، فهو يجري عَلَى اللِّسانِ كما يجري الدّهان»(١١).

ومِن هنا، يُستطاعُ القولُ: إنّ صِفاتِ الجمالِ في بَيانِهم هي عَيْنُ الصّفاتِ التي آثَرُوها لِلْخِلَقِ، وهَزّتْهم، وحَرّكَتْ طِباعَهم.

رابعًا – اجتهادُ العَرَبِ إلى الغاية في تحسينِ مادّةِ البيانِ في اللّغة العربيّة:

ليس مِن شأنِنا القَطْعُ في أَصْلِ نَشْأةِ اللّغة، أهي إلهامٌ أم اصطلاحٌ؛ لِأنّنا لا نملِكُ عَيْنَ اليقينِ في ذلك. ولَيتَنا كُنّا نعلَمُ، إذَنْ لَأَنِسْنا، والعَرَبُ تقولُ: مَن عَرَفَ أنِسَ، ومَن جَهِلَ استوحشَ. ومعَ أنّنا نعدَمُ خَبَرَ البَدْءِ والنَّشْأة، نمتلكُ بعضَ الأخبار في شأنِ اجتهادِ العَربِ إلى الغايةِ في الحِفاظِ عَلَى مستوًى لُغَويٍّ يضمَنُ لِلْعربيّةِ وبَيانِها مادّةً لُغويّةً أقدرَ ما تكونُ إبانةً وإفصاحًا وإظهارًا لِلمقاصد. ويُفهَمُ مِمّا وَصَلَ إلينا مِن أخبارٍ في هذا الشّأنِ أنّ الشّخصيّةَ العربيّةَ في غايةِ الحَساسيَةِ لِمَظاهِرِ الجمالِ البادِيةِ في الأنفُسِ والآفاق. ونحتاجُ في المقامِ الذي نحنُ فيه إلى تقديمٍ في شأن هذه الحساسيَةِ الكاشِفةِ عندَ العرب في غيرِ اللّغة؛ لِيكونَ ذلك أساسًا للبناءِ عليه في شأنِ العِنايةِ العربيّةِ بِالبيانِ العربيّ، الذي استدَّ ساعِدُه كثيرًا قَبْلَ نزولِ القرآنِ، فكان مؤهَّلًا تمامًا لِلابتهاجِ بالمثَلِ الأعلى اللّغويّ في القرآن الكريم.

نعم، يبدو أنّه توفَّرَ لِأَهْلِ هذه اللّغة قَدْرٌ ظاهِرٌ جِدًّا مِن الحَساسيَةِ الإدراكيّةِ إزاءَ أشياءِ الوجود. ومِن ذلكَ مَثَلًا ما يذكرُ ابنُ جِنّي مِن قوله: «وحدّثَني أبو

(١١) البيان والتّبيين، ١/ ٦٥.

الحَسَن عَليُّ بنُ عَمْرٍو عَقيبَ مُنصَرَفِه مِن مِصْرَ هاربًا مُتعسِّفًا، قال: أَذَمَّ(*) لنا غُلامٌ - أحسَبُه قال: مِن طَيِّئ - مِن باديةِ الشّأم، وكان نَجيبًا متيقِّظًا، يُكْنَى أبا الحُسَين ويُخاطَبُ بالأمير، فبَعُدْنا عن الماءِ في بعض الوقت، فأضرَّ ذلك بنا، قال: فقالَ لَنا ذلك الغُلامُ: عَلَى رِسْلِكُم، فإنّي أَشَمُّ رائحةَ الماء. فأوقفَنا بحَيْثُ كُنّا، وأجْرَى فرسَهُ، فتشرّفَ ههنا مستشِفًّا(*)، ثمّ عدَلَ عن ذلك الموضِعِ إلى آخَرَ مُسْتَرْوِحًا لِلْماءِ، ففَعَلَ ذلك دَفَعاتٍ. ثمّ غابَ عَنّا شيئًا، وعادَ إلينا، فقالَ: النّجاةَ والغَنيمةَ، سِيروا عَلَى اسْمِ الله تعالى. فسِرْنا مَعَه قَدْرًا مِن الأرْضِ صالِحًا، فأشْرَفَ بِنا عَلَى بئرٍ، فاستقَيْنا وأَرْوينا»(١٢).

ويستنبطُ الإدراكُ العامُّ لِلرّوايةِ التي بينَ أيدينا، أنّ تقديرًا كبيرًا لِهذا النّمطِ مِن الحساسيَةِ المعرفيّةِ الكَشْفيّة، بَقِيَتْ مِنه بقيّةٌ حتّى القرنِ الرّابعِ الهجريّ الذي عاشَ فيه ابنُ جنّي وأشباهُه مِن أفذاذ العُلَماء. ونَسَبَ الرّاوي هذا الفَتَى الأَلْمعيَّ المتوقِّدَ الذّكاء إلى باديةِ الشّام. وقد ميّزَ المفكِّرونَ العربُ القُدَماءُ بينَ بيئَتَيْنِ للعربيّة: إحداهما تَرْعَى اللّغةَ إلى الغاية، وثانيتُهما تُفسِدُ اللّغة. وإلى هذا يَقْصِدُ الجاحظُ حينَ يقولُ: «ومتَى وَجَدَ النّحْويّونَ أَعْرابيًّا يفهَمُ هذا وأشباهَه [مِمّا خالَفَ مجاريَ كلامِ العَرَبِ الفُصَحاء] بَهْرَجوه ولم يسمعوا مِنه؛ لِأنّ ذلك يَدُلُّ عَلَى طُولِ إقامتِه في الدّارِ التي تُفسِدُ اللّغةَ وتَنقُصُ البيانَ؛ لِأنّ تلكَ اللّغةَ إنّما انقادَتْ واستوَتْ، واطّرَدَتْ وتكامَلَتْ، بِالخِصالِ التي اجتمعَتْ لها في تلك الجزيرةِ، وفي تلك الجِيرة»(١٣).

(*) أخذَ لَنا الذِّمّةَ والأمانَ.

(*) مُتطلِّعًا متأمِّلًا.

(١٢) الخصائص، ١/ ٨٠.

(١٣) البيان والتّبيين، ١/ ١٢٤.

والجاحظُ هنا يشيرُ، عَلَى طريقة المعتزلة، إلى اصطلاحيّة اللّغةِ، وإلى زَمانٍ مَديدٍ ينبغي أن يكونَ قد مضَى قبْلَ أن تكونَ العربيّةُ قد انقادَتْ واستوَتْ واطّردَتْ وتكامَلَتْ، بالخِصال التي اجتمعَتْ لَها في جَزيرةِ العرب. ويعني هذا «عِنايةً مُشدَّدةً» - باصطلاحِ أطبّاءِ زمانِنا - بِالبيانِ العربيّ حركاتٍ ومُفرداتٍ وتراكيبَ وأساليبَ. وقد حاجَّ العلّامةُ ابنُ جِنّي في هذا طويلًا، وأكّدَ أنّ بِنْيةَ الكلامِ العربيّ نفسَها تَشْهَدُ أنّ شُغْلًا كثيرًا انصَرَفَ إلى البيانِ العربيّ لكي يَصِلَ إلى ما وَصَلَ إليه مِن إتقانٍ وانسجامٍ وإحكامٍ قَبْلَ فَجْرِ الإسلامِ بكثير. وأرجَعَ صاحِبُ الخصائصِ ذلك إلى طبيعةٍ في الشّخصيّةِ العربيّة، التي أظْهَرَها صائغةً لِلُغةٍ لَعلّها أَجْمَلُ اللّغاتِ وأبينُها وأفصَحُها وأقدَرُها عَلَى التّعبيرِ عن المقاصِدِ التي تَجِدُّ معَ تقدُّمِ العُصور. وابتغاءَ الإيضاح، آذَنُ لنفسي باقتباسِ قَدْرٍ طويلٍ نسبيًّا مِمّا قالَهُ هذا العالِمُ في تأكيدِ إيمانِه بأنّ جُهْدًا عظيمًا أَوْلاهُ عَرَبٌ دمثُونَ رقيقونَ حَسّاسُونَ عالِمونَ لِبيانِ لُغتِهم وفصاحتِها وبلاغتها:

«فإنْ قُلْتَ: ومِن أين يُعْلَمُ أنّ العربَ قد راعَتْ هذا الأَمْرَ [صَقْلَ الكلامِ العربيّ، وإحكامَ صَنْعتِه] واسْتَشفَّتْه، وعُنيَتْ بِأحوالِهِ، حتّى تحامَتْ هذه المواضِعَ التّحاميَ الذي نَسَبْتَه إليها، وزَعَمْتَه مُرادًا لَها؟- وما أنكَرْتَ أن يكونَ القومُ [العَرَبُ] أجْفَى طِباعًا، وأيبَسَ طِينًا، مِن أن يَصِلُوا مِن النّظَرِ إلى هذا القَدْرِ اللّطيفِ الدّقيقِ، الذي لا يَصِحُّ لِذِي الرِّقّةِ والدِّقّةِ مِنّا أن يتصوّرَه إلّا بَعْدَ أن تُوضَحَ له أنحاؤه، بل أن تُشرَّحَ له أعضاؤهُ؟ قِيلَ لَكَ: هَيْهاتَ!- ما أبعدَكَ عن تصوُّرِ أحوالِهم، وبُعْدِ أغراضِهِم، ولُطْفِ أسرارِهم!، حتّى كأنّكَ لم تَرَهُمْ وقد ضايقُوا أنفُسَهم، وخَفّفوا عن أَلْسِنتهم، بِأَنِ اختلَسُوا الحركاتِ اختلاسًا، وأخفَوْها فلم يُمكِّنوها في أماكنَ كثيرةٍ ولم يُشبِعُوها. ألا ترى إلى

قِـراءةِ أبـي عَمْـرو: ﴿مَالَكَ لَاتَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١]، **مُخْتلِسًـا، لا مُحقِّقًا. وكذلك قولُه عَـزَّ وجَـلّ: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾** [البقرة: ٥٤]، **مُختلِسًـا غيرَ ممكِّنٍ كَسْرَ الهمزة، حتّى دَعا ذلك مَن لَطُفَ عليه تحصيلُ اللّفظِ، إلى أنِ ادّعَى أنّ أبا عَمْرٍو كان يُسَكِّنُ الهمزة...»**(١٤).

ومَرْجِعُ استيقانِنا أهليّةَ ابنِ جِنّي لِأن تُسْمَعَ شهادتُه في أمْرِ عنايةِ العَـرَبِ ببيانهم إلى حَدِّ الهَوَس أمْران:

– أوّلُهما أنّه انشغَلَ هو نفسُه بِسِحْرِ البيانِ العربيّ وخِلابتـه وَقْتًـا طـويلًا حتّى وَصَلَ في بعضِ الوقتِ إلى اعتدادِ العربيّة إلهامًا مِن الحَقِّ تعـالى، وفـي وقتٍ آخَرَ إلى حُسْبانِها اصطلاحًا وتواضُعًا. وهو في هذا المعنى يقولُ:

«واعْلَمْ فيما بَعْدُ، أنّني عَلَى تَقادُمِ الوقتِ، دائمُ التّنقيرِ والبحث عـن هـذا الموضِعِ، فأجِدُ الدَّواعيَ والخَـوالِجَ(*) قويّـةَ التّجـاذُبِ لـي، مختلِفـةَ جهـاتِ التّغَوُّلِ عَلَى فِكْري. وذلكَ أنّني إذا تأمَّلْتُ حالَ هذه اللّغـةِ الشّـريفةِ، الكريمـةِ اللّطيفة، وجدتُ فيها مِن الحِكْمةِ والدّقّةِ، والإرهافِ والرِّقّة، مـا يَملِـكُ عَلَـيَّ جانِبَ الفِكْر، حتّى يكاد يطمَحُ به أمامَ غَلْوَةِ السِّحْر. فمِنْ ذلـك مـا نبّـهَ عليـه أصحابُنا رَحِمَهمُ اللهُ، ومِنه ما حَذَوتُه عَلَى أمثلتِهم، فعَرَفْتُ بِتتابُعِـهِ وانقيـادِه، وبُعْدِ مَراميهِ وآمادِه، صِحّةَ ما وُفِّقُوا لِتقديمِه مِنه، ولُطْفَ ما أُسْعِدوا به، وفُـرِقَ لهم عنه. وانضافَ إلى ذلك وارِدُ الأخبارِ المأثورة بِأنّها مِن عِنْدِ اللهِ جَلَّ وعَزّ؛ فقَوِيَ في نفسي اعتقادُ كونِها تَوقيفًا(*) مِن الله سُبْحانَه، وأنّها وَحْيٌ.

ثمّ أقولُ في ضِدِّ هذا: كما وَقَعَ لِأصحابِنا ولَنا، وتنبَّهُوا وتنبَّهْنا عَلَى تأمُّلِ

---

(١٤) الخصائص، ١/ ٧٢.

(*) الأمور التي تدفعُه عن قبولِ الأمر، وهي ضِدُّ الدّواعي.

(*) «توفيقًا» في الأصل.

هذه الحِكْمةِ الرّائعةِ الباهرة، كذلك لا نُنكِرُ أن يكونَ اللهُ تعالى قد خَلَقَ مِن قَبْلِنا – وإن بَعُدَ مَداهُ عنّا – مَن كان ألطفَ مِنّا أذهانًا، وأسْرَعَ خواطِرَ وأَجْرَأَ جَنانًا. فأقفُ بينَ هاتَيْنِ الخَلّتَيْنِ حَسِيرًا، وأُكاثِرُهما فأنكفئُ مَكْثورًا. وإن خَطَرَ خاطِرٌ فيما بَعْدُ، يُعلِّقُ الكَفَّ بإحْدَى الجهتَيْنِ، ويكفُّها عن صاحبتها، قُلْنا به، وباللهِ التّوفيق»(١٥).

– الثّاني أنّه قدّمَ أدلّةً كثيرةً عَلَى أنّ الجِبلّةَ العربيّةَ كأنّها خُلِقَتْ هكذا مُنتِجةً لُغةً، كُلُّ مُكَوِّنٍ مِن مُكوِّناتِها مُعبِّرٌ عن انتظامٍ في بِناءٍ مُتناغِمٍ مُتآزِرٍ رامٍ بِكُلّيّته إلى قَصْدِ الإبانةِ بِحُسْنٍ.

وإن صَحَّ أنّ الحِسَّ الطّبيعيَّ عندَ العَرَبِ هو المنشئُ لِلْبيانِ العربيّ، دَلَّ كمالُ هذا البيانِ وجَمالُ هذا الأداءِ في لُغةِ العرب عَلَى حِسٍّ طَبيعيّ خاصٍّ لهؤلاءِ القوم؛ حِسٍّ مُبْدِعٍ في غايةِ اللُّطْفِ والخُبْرِ والتّمييزِ، كان مِن عَمَله، لو صَحّ ذلك، لُغةٌ مُبينةٌ نَفَتْ عنها كُلَّ ما يثقُلُ عَلَى اللِّسان، ويَعوقُ البَيان. يقولُ ابن جِنّي:

«قال أبو إسحاقَ [الزّجّاجُ] في رَفْعِ الفاعِلِ ونَصْبِ المفعول: إنّما فُعِلَ ذلك لِلْفَرْقِ بينَهما. ثمّ سألَ نفسَه فقال: فإن قِيلَ: فهَلّا عُكِسَتِ الحالُ فكانَتْ فَرْقًا أيضًا؟ – قِيلَ: الذي فَعلُوه أحْزَمُ؛ وذلك أنّ الفعلَ لا يكونُ له أكثَرُ مِن فاعِلٍ واحِدٍ، وقد يكون له مفعولاتٌ كثيرةٌ، فَرُفِعَ الفاعِلُ لِقِلّتِه، ونُصِبَ المفعولُ لِكثرتِه؛ وذلك لِيَقِلَّ في كلامِهم ما يستثقِلونَ، ويكثُرَ في كلامِهم ما يستخِفّونَ. فَجرَى ذلك في وُجوبِه، ووضوحِ أمْرِه، مَجْرَى شُكْرِ المُنعِم، وذَمِّ المُسيء في انطواءِ الأنفُسِ عليه، وزَوالِ اختلافِها فيه، ومَجْرَى وجوبِ طاعةِ القديمِ سُبْحانَه، لِما يُعقِبُهُ مِن إنعامِهِ وغُفْرانه»(١٦).

(١٥) السّابق، ١/ ٤٧.

(١٦) الخصائص، ١/ ٤٩.

ويقدِّمُ لنا ابنُ جِنِّي تصويرًا أخّاذًا متخيَّلًا لِجُهْدِ العربيِّ في صَوْغِ مَنْحوتةِ البيانِ العربيّ، تصويرًا يقولُ لنا إنّ طاقةً فِكْريّةً مُذْهِلةً قد أُعْمِلَتْ في تشكيلِ بِنْيةِ العربيّةِ عَلَى نحوٍ مِن التّهذيبِ والتّصفيةِ والصَّقْلِ لا يُبقي إلّا جَوْهَرَ الجوهرِ ورُوحَ الرّوحِ وصَفاءَ الصّفاء. يقولُ صاحِبُ الخصائص:

«اعْلَمْ أنّ واضِعَ اللّغةِ لَمّا أرادَ صَوْغَها، وترتيبَ أحوالِها، هَجَمَ بِفِكْره عَلَى جميعها، ورأى بِعَيْنِ تصوّرِه وُجوهَ جَمْلِها وتفاصيلِها، وعَلِمَ أنّه لا بُدَّ مِن رَفْضِ ما شَنُعَ تأَلُّفُه مِنها، نحو: هع، وقَح، وكق، فنَفاهُ عن نفسِه، ولم يُمْرِرْه بِشَيءٍ مِن لَفْظِه؛ وعَلِمَ أيضًا أنّ ما طالَ وأَمَلَّ بِكَثْرةِ حُروفِه لا يُمكنُ فيه مِن التّصرُّفِ ما أمكنَ في أعْدَلِ الأصولِ وأخفِّها، وهو الثّلاثيّ. وذلك أنّ التّصرُّفَ في الأَصْلِ، وإن دَعا إليه قِياسٌ – وهو الاتّساعُ به في الأسماءِ والأفعالِ والحروف – فإنّ هناكَ مِن وَجْهٍ آخَرَ ناهيًا عنه، ومُوحِشًا مِنه؛ وهو أنّ في نَقْلِ الأَصْلِ إلى أَصْلٍ آخَرَ نحوِ: صَبَرَ، وبَصَرَ، وصَرَبَ، ورَبَصَ، صُورةَ الإعلالِ، نحو قولهم: «ما أَطْيَبَهُ، وأَيْطَبَهُ!»، و«اضمحَلَّ وامضَحَلَّ»... فلمّا كان انتقالُهم مِن أَصْلٍ إلى أَصْلٍ، نحو: صَبَرَ وبَصَرَ، مُشابِهًا لِلْإعلالِ مِن حَيْثُ ذَكَرْنا، كان مِن هذا الوَجْهِ كالعاذِرِ لهم في الامتناعِ مِن استيفاءِ جميعِ ما تحتمِلُه قِسْمةُ التّركيب في الأصول. فلَمّا كان الأمْرُ كذلك، واقتضَتِ الصُّورةُ رَفْضَ البعضِ واستعمالَ البعض، وكانتِ الأصولُ ومَوادُّ الكَلِمِ مُعْرِضةً لهم وعارضةً أنفُسَها عَلَى تخيُّرِهم، جَرَتْ لِذلك عندَهم مَجْرَى مالٍ مُلْقًى بينَ يَدَيْ صاحبِه، وقد أجمعَ إنفاقَ بعضِه دُونَ بعضِه، فمَيَّزَ رَديئَه وزائفَه، فنَفاهُ البتّةَ، كما نفَوا عنهم تركيبَ ما قَبُحَ تأليفُه، ثمّ ضَرَبَ بِيَدِه إلى ما أطفَّ(*) له مِن عُرْضِ جيِّدِه، فتَناولَه لِلْحاجة إليه»(١٧).

(*) قَرُبَ مِنه ودَنا.

(١٧) الخصائص، ١/ ٦٤-٦٥.

وظاهِرٌ أنّ العقلَ النّظَريَّ المتأمِّلَ، عندَ ابنِ جِنِّي هنا، هو الذي يَنشَطُ في تقديمِ تصوُّرٍ ذِهْنيٍّ لِإنتاجِ الكلامِ العربيِّ وتَخْليقِه. وفي هذا يقينًا تجريدٌ واضِحٌ يختَصِرُ عَمَلَ جَماعاتٍ مِن البَشَرِ في أعصارٍ مُتطاولةٍ.

خامسًا – إظهارُ اللّغةِ العربيّةِ العَرَبَ منقادينَ لِلْفِطْرةِ والطّبعِ:

تخضَعُ ألفاظُ اللّغاتِ جميعًا لِضَرورتَيْنِ مُتباينتَيْنِ في طبيعتَيْهما هما: ضَرورةُ الإبانةِ عن المُسمَّى وتَعْيينِه، واقتصادُ الجُهْدِ المَبذولِ في النّطْق. وقدّمَ الشّيخُ ابنُ جِنِّي شاهدَيْنِ مُوضِحَيْنِ تمامًا لِما نحن إزاءَهُ، وعَلّقَ عَلَى كُلٍّ مِنهما تعليقًا في غايةِ الإصابة والاستنباط. وننقُلُ هنا الشّاهِدَيْنِ والتّعليقَيْن:

– الأوّلُ أنّه رُوِيَ عن أبي حاتمٍ، سَهْلِ بنِ محمَّدٍ السِّجِسْتانيّ، في كتابِه الكبير في القِراءاتِ قولُه:

«قرأَ عَلَيَّ أعرابيٌّ بالحَرَم: «طِيبَى لَهُمْ وحُسْنُ مآبٍ»، فقُلْتُ: «طُوبَى»، فقالَ: «طِيبَى»، فأعَدْتُ فقُلْتُ: «طُوبَى»، فقال: «طِيبَى». فلَمّا طالَ عَلَيَّ قُلْتُ: «طُو» «طُو». قالَ: «طِي» «طِي». أفلا ترى إلى هذا الأعرابيِّ، وأنتَ تعتقِدُه حافِيًا كَزًّا، لا دَمِثًا ولا طَيِّعًا، كيفَ نَبا به طَبْعُه عن ثِقَلِ الواو إلى الياءِ، فلم يُؤثِّرْ فيه التّلقينُ، ولا ثَنَى طَبْعَه عن التماسِ الخِفّةِ هَزٌّ ولا تَمْرين، وما ظَنُّكَ به إذا خُلِّيَ مَعَ سَوْمِه(*)، وتَسانَدَ إلى سَليقيّتِه ونَجْرِه؟»(١٨).

– الثّاني قولُ ابنِ جِنِّي:

«سأَلْتُ يومًا أبا عبدِاللهِ مُحمَّدَ بنَ العَسّافِ العُقَيْليّ الجُوثيّ، التّميميّ – تميم جُوثة – فقُلْتُ له: كيفَ تقولُ: ضَرَبْتُ أخوكَ؟ – فقال أقولُ: ضرَبْتُ أخاكَ. فأدَرْتُه عَلَى الرَّفْعِ فأبَى، وقال: لا أقولُ: أخوكَ أبدًا. قُلْتُ: فكيفَ

(*) يقالُ: خُلِّيَ معَ سَوْمِه: إذا تُرِكَ يفعَلُ ما يختارُ.

(١٨) الخصائص، ١/ ٧٦.

تقولُ: ضربَني أخوك؟- فرَفَعَ. فقُلْتُ: ألَسْتَ زَعَمْتَ أنّكَ لا تقولُ: «أخوكَ» أبدًا؟- فقال: أيْشٍ هذا! اختلفَتْ جِهتا الكلام. فهل هذا إلّا أدَلُّ شيءٍ عَلَى تأمُّلِهم مَواقِعَ الكلامِ، وإعطائهم إيّاهُ في كُلِّ موضِعٍ حَقَّه، وحِصّتَه مِن الإعراب، عن مِيزةٍ، وعلى بصيرةٍ، وأنّه ليس استرسالًا ولا ترجيمًا؟»(١٩).

وهذانِ اثنانِ فقط مِمّا لا يُحصَى عَدًّا مِن صُوَرِ الانقيادِ لِلْجِبلّة في إخراجِ الكلامِ العربيّ. ولَعلَّني أُصِيبُ حِينَ أعيدُ إلى الأذهانِ قولَ المولَى سُبْحانَه في الذِّكْرِ الحكيمِ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨]؛ ابتغاءَ أن أقولَ: إنّ هذه العربيّةَ الجميلةَ دَليلٌ عَلَى قابليّةٍ جيِّدةٍ عندَ هؤلاء الذين جَرَتْ عَلَى عَذَباتِ ألسنتهم زَمَنًا طويلًا، وحافظوا عَلَى صُورتِها، وذَبُّوا عنها كُلَّ ما يَشينُها. وإنّه لِأمْرٍ ما تهيَّأَ لهذه اللّغةِ مَعْقِلٌ حَصينٌ داخِلَ جَزيرةِ العرب وما داناها، أسْهَمَ مَع عوامِلَ أُخَرَ في إنمائها وتهذيبِها وتَجْويدِها؛ فجاءَتْ أبنيتُها الصّوتيّةُ والصَّرْفيّةُ والدِّلاليّةُ وِفاقًا لِحِسِّهم الطّبيعيّ المُتساوِقِ مع بيئتِهم وتكوينهم وقابليّاتهم.

سادسًا- القرآنُ الكريم يُعزِّزُ الطّبيعةَ البيانيّةَ لِلشّخصيّة العربيّة:

يلفِتُ انتباهَ المتأمِّلِ أنّ قُرَيشًا جمَعَتْ بينَ الزّعامةِ الدّينيّةِ والزّعامةِ اللّغويّة في المرحلةِ التي سَبَقَت بزوغَ فَجْرِ الإسلام. وقد جَعَلَ القرآنُ الكريمُ أَحْسَنَ القولِ قولَ مَن دَعَا إلى الله، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ويُفهَمُ مِن كلامٍ لِلْجاحظِ أنّ الله سُبْحانَه يُجمِّلُ كلامَ مَن يدعو إلى الله بإخلاصٍ وصِدْق. ومَثّلَ الجاحِظُ لِذلك بِحالِ قُسِّ بنِ ساعدةَ الإياديّ الذي بَلَغَ الذِّرْوةَ في الفصاحةِ والبلاغة. يقولُ الجاحظُ: «ولِإيادٍ وتَميمٍ في

(١٩) السّابق.

الخُطَبِ خَصْلةٌ ليسَتْ لِأحَدٍ مِن العرب؛ لِأنّ رسولَ اللهِ ﷺ هو الذي رَوى كلامَ قُسِّ بنِ ساعِدةَ وموقفَه عَلَى جَمَلِهِ بِعُكاظَ وموعظتَه، وهو الذي رَوّاهُ لِقُريشٍ والعرَب، وهو الذي عَجّبَ مِن حُسْنِه وأظهرَ مِن تصويبه. وهذا إسنادٌ تَعجزُ عنه الأمانيُّ، وتنقطِعُ دُونَه الآمالُ. وإنّما وفّقَ اللهُ ذلك الكلامَ لِقُسٍّ بنِ ساعِدةَ لِاحتجاجِه لِلتّوحيد، ولِإظهارِهِ معنَى الإخلاص، وإيمانِهِ بالبَعْث. ولذلك كان خطيبَ العربِ قاطبةً»[٢٠].

وقد تحدّثَ القرآنُ الكريمُ عن جُمهورٍ ذي صِنْفَيْنِ لِلْبَيانِ الإلهيِّ في هذا الكتاب الإلهيّ فقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وفي المستطاعِ فَهْمُ هذا عَلَى أكثرَ مِن وَجْه، أظهَرُها أنّ القرآنَ عندَ عامّةِ النّاسِ بَيانٌ لِحقائقِ الأمورِ التي يَعْلَمُها العَليمُ وَحْدَه، وأنّه عندَ المتّقينَ خاصّةً هادٍ وواعِظٌ، بل هو عَيْنُ الهُدَى والموعظة.

وقد وَضَعَ القرآنُ بين أيدي العرب نَموذجًا عاليًا جدًّا لِلْبيانِ ظَلُّوا يقيسونَ كلامَهم عَلَى فَصاحتِه وبلاغتِه، ويقتبسونَ مِن مفرداتِه وأساليبِه واستعمالاتِه ما يَخالونَ أنّه الجواهِرُ التي تَزينُ تيجانَ كلامهم. وبَثَّ بيانُ الذِّكْرِ الحكيمِ في العَرَبِ محبّةً لِلَّسَنِ والفَصاحة، واستعدادًا لِإصلاحِ مَنطِقِهم، وحِرْصًا عَلَى عَرْضِ كلامِهم في مَعارضَ تُحرِّكَ النّفوسَ وتَهُزُّ الطِّباعَ. وضَمِنَ البيانُ القرآنيُّ لِلعربيّةِ البقاءَ والخلودَ، وهَيّأ الأجيالَ في الأعصُرِ المتعاقبةِ لِلاحتفاءِ بالعربيّةِ تعلُّمًا وتعليمًا وتأليفًا. وإذا كان الجاحِظُ قد تحدّثَ عن المضمونِ الذي يُجمِّلُ الشّكْلَ في خَطابةِ قُسِّ بنِ ساعِدةَ، فستظلُّ المعاني الإلهيّةُ في القرآنِ الكريم آلةً لِلْإجادةِ والإتقانِ في العربيّة التي يتحدّثُ بها النّاسُ، وسيَظلُّ بَيانُ

(٢٠) البيان والتّبيين، ج١/ ٥٥.

القرآنِ نُورًا عَلَى نُورِ الطّبيعةِ البيانيّة لِلشّخصيّة العربيّة. وقد يَضعُفُ يَقينُ الخَلْقِ بِهذا الذي نقولُه، وهذا شأنُهم الذي لا نُحاجُّ فيه، أمّا «الفَعّالُ لِما يُريدُ» فيفعَلُ ما يشاءُ، ويجعَلُ فِيما لا غَناءَ فيه كُلَّ الغَناء، وسَيظلُّ البيانُ الإلهيُّ في القرآنِ نصيرَ العربيّةِ الآتيَ مِن السَّماء.

المحصولُ النّهائيُّ:

أظهرَتِ المناقشةُ في نِقاطِ البَحْثِ أنّ لفظَ «العرَب» كان في الأَصْلِ وَصْفًا بِالإبانةِ والإفصاح لِهذا الجِنْسِ مِن البَشَر، الذين سَكَنُوا هذه الجزيرةَ المنسوبةَ إليهم، ثمّ صار اسْمًا غَلَبَ عليهم، وأنّ هؤلاءِ القومَ انجذبوا إلى الصِّفةِ البيانيّة وآثَرُوها باهتمامٍ خاصّ لم يكُنْ منهم إزاءَ الصّفاتِ الجماليّة الأُخَرِ، وأنّهم تطلّبوا صِفاتِ جَمالِ الخِلَقِ البشريّةِ لِتكونَ صِفاتٍ مؤثّرةً في بيانِ لُغتهم، وأنّهم اجتهدوا كثيرًا في تحسينِ بيانهم وتهذيبِه وصَقْلِه، فكان لهم ما أرادوا، وأنّ اللّغةَ العربيّةَ أبرزتِ العرَبَ مُنقادينَ في إعدادِ لُغتِهم لِفِطَرِهم وطِباعِهم، وأنّ بَيانَ القرآنِ الكريم عَزّزَ الخاصّيّاتِ البَيانيّةَ لِلشّخصيّةِ العربيّة، وضَمِنَ لِلْعربيّةِ البقاءَ والخُلود، وعنصرًا دافعًا إلى التّجويد المستمرّ الذي لا يقفُ عندَ حدود.

* * *

المصادر والمراجع

القرآنُ الكريم.

- أحمد بن فارس: معجَمُ مقاييس اللّغة، بِتحقيق عبد السّلام هارون، نَشْرة اتّحاد الكتّاب العرب في دمشق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- الجاحظ: البيانُ والتّبيين، بِتحقيق هارون، ابن سِينا للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م.
- ابن جِنّي، أبو الفتح عثمان: الخصائص، الجزء الأوّل، بِتحقيق محمّد علي النّجّار، مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصريّة، الهيئة العامّة لِقُصور الثّقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الرّاغِبُ الأصفهاني: مفرداتُ ألفاظِ القرآن، بِتحقيق صفوان داوودي، دار القلم في دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

* * *

العلاقة بين اللغة العربية ولغات المشرق العربي القديم (اللغات السامية)

أ. د. عيد مرعي(*)

تُقسم لغات المشرق العربي القديم (اللغات السامية)، بحسب موقع انتشارها الجغرافي في الجزيرة العربية، إلى ثلاث مجموعات هي:

١- **المجموعة الشمالية الشرقية**: وهي التي انتشرت خاصَّةً في بلاد الرافدين (العراق القديم) وشمال شرقي سورية، وتشمل اللغة الأكادية بلهجاتها المتعددة: الأكادية القديمة، والبابلية القديمة، والبابلية الوسطى، والبابلية الحديثة، والبابلية المتأخرة، والآشورية القديمة، والآشورية الوسطى، والآشورية الحديثة.

٢- **المجموعة الشمالية الغربية**: وهي التي انتشرت في بلاد الشام وبلاد الرافدين والمناطق التي وصلها الفينيقيون في حوض البحر المتوسط وشمالي أفريقيا، وتشمل اللغات الأمورية والكنعانية بلهجاتها المتعددة: الأوجاريتية، والفينيقية والپونية، وكنعانية العهد القديم والمؤابية والعمونية والأدومية، وتضم اللغة الآرامية بلهجاتها الكثيرة الشرقية، والغربية.

(*) ألقى الأستاذ الدكتور عيد مرعي هذه المحاضرة في قاعة المحاضرات في مجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٢١م.

٣- **المجموعة الجنوبية الغربية**: وهي التي انتشرت في شمالي شبه الجزيرة العربية وجنوبها الغربي والحبشة وشرقي أفريقيا، وتضم لغات العرب الشمالية والجنوبية ولغات الحبشة.

وكان تشابه اللغات العربية والعبرية والآرامية والحبشية القديمة (الجعزية) قد لفت انتباه بعض المهتمين بها في أوروبا منذ القرن السابع عشر الميلادي فسموها «اللغات الشرقية». وفي عام ١٧٨١ سماها المؤرخ الألماني أوغست لودڤيغ شلوتسر (١٧٣٥-١٨٠٩) «اللغات السامية». واعتمد في ذلك على الإصحاح العاشر من سِفر التكوين في العهد القديم الذي يقسِّم شعوب الأرض إلى ثلاث مجموعات نسبة إلى أولاد نوح: سام وحام ويافث.

وكان اللغوي العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى عام ١٧٥هـ/ ٧٨٦م قد أشار إلى التشابه بين اللغتين الكنعانية والعربية في معجمه المعروف بـ «العين» بقوله: «وكنعان بن سام بن نوح يُنسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغةٍ تقارب العربية». (باب العين والكاف والنون) وأشار المفكر العربي الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٩٩٤-١٠٦٤م) إلى القرابة اللغوية بين اللغات العربية والعبرية والسُّريانية (وهي التي كانت معروفة في زمنه)، وشبَّه تلك القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة[(١)].

شاعت تسمية «اللغات السامية» بعد شلوتسر ولاقت قبولًا وانتشارًا بين المختصين في تاريخ الشرق القديم ولغاته، ولا سيما بعد اكتشاف لغات ولهجات أخرى لم تكن معروفة سابقًا بين المختصين في تاريخ المشرق العربي القديم كالأكادية والأوجاريتية، والفينيقية، والإبلوية، والأمورية، وبعض لغات العرب الشمالية والجنوبية والحبشية. وهي بحسب رأي الأب الفرنسي

(١) ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، طبعة القاهرة، مراجعة أحمد شاكر، ١/ ٣٠.

هنري فليش H. Fleisch ليست أكثر من اصطلاح الهدف منه تسهيل البحث العلمي على المختصين باللغات، دون أن تكون لها أية صفة عنصرية[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك مجموعة من الصفات تتميز بها هذه اللغات نذكرها باختصار:

أ- معظم الكلمات فيها مشتقة من جذر ثلاثي مؤلف من ثلاثة حروف ساكنة أو أصوات، لذلك سُميت ثلاثية الجذر triconsonantal root. وثمة كلمات ثنائية أو رباعية الجذر، إلا أنها قليلة بالمقارنة بالكلمات ثلاثية الجذر.

ب- الفعل يأتي غالبًا في بداية الجملة باستثناء اللغة الأكادية التي يأتي الفعل فيها في نهاية الجملة، وذلك بتأثير من اللغة السومرية.

ج- الصفة تتبع الموصوف في جميع حالات الإعراب.

د- تعتمد الكلمات فيها على الحروف الساكنة consonants (باستثناء الأكادية) في كتابتها، وتمثل الحروف الصوتية أو اللينة vowels الألف والواو والياء.

هـ- لا تعرف هذه اللغات إلا المذكر والمؤنث، ولا وجود فيها للمحايد كما هو الحال في اللغات الهندو أوروبية (بالإنكليزية it، وبالألمانية es).

و- العدد من ثلاثة إلى عشرة بعكس المعدود، فعندما يكون المعدود مذكرًا يأتي العدد مؤنثًا، والعكس صحيح (ثلاثة رجال وثلاث نساء).

ز- فيها حروف حلقية، أي: تلك الأصوات التي تخرج من الحلق (الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء) وحروف إطباق (القاف والصاد والضاد والطاء والظاء) يصعب لفظها على غير أهل هذه اللغات.

ح- تتشابه فيما بينها في تكوين الاسم من حيث جنسه (مذكر ومؤنث)،

(٢) Fleisch, H., Introduction a L,Etude des lengues semitiques, Paris 1947, P. 18.

وعدده (مفرد ومثنى وجمع).

ط- تتشابه المفردات الدالة على أعضاء الجسم (لسان، يد، رأس، عين... إلخ)، وعلى صلة القرابة (أب، أم، ابن، أخ، أخت... إلخ)، وعلى أسماء الحيوانات والنباتات (جمل، دب، كلب، حمار، عنب، قمح، تين)، وعلى أسماء العدد (واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة.... إلخ)، وهو ما يدل على الأصل المشترك لهذه اللغات.

ي- تغير نطق بعض الحروف المتقاربة لفظًا، كالشين التي تصبح سينًا وبالعكس، ونطق التاء طاءً، والحاء خاءً، والصاد ضادًا، والذال دالًا.

ك- تتشابه هذه اللغات في الضمائر المنفصلة والمتصلة والملكية وفي طريقة اتصالها بالأسماء والأفعال والحروف، كما تتشابه في أسماء الإشارة وأدوات الاستفهام، وفي المشتقات (المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول... إلخ).

ل- يُكوَّن المؤنث فيها بإضافة تاء التأنيث إلى نهاية الاسم المذكر.

لغات المجموعة الشمالية الشرقية:

تشمل اللغة الأكادية «ليشانوم أكَّاديتوم» lišanum Akkaditum التي تُعَدُّ أقدم لغة من لغات المشرق العربي القديم وأغناها بالمفردات، ولهجاتها[٣]. وأقدم الأدلة على وجودها أسماء الكثير من ملوك وحكام المدن السومرية في عصر السلالات السومرية الباكر (نحو ٣٠٠٠-٢٣٥٠ ق.م). فملوك مدينة إريدو Eridu (موقعها الحالي معروف باسم أبو شهرين في جنوبي العراق)، وهم أول ملوك حكموا قبل «الطوفان» (فيضان مدمر لنهري دجلة والفرات)، بحسب قائمة الملوك السومرية، كانوا يحملون أسماءً أكادية

(٣) Von Soden, Grundriss der Akkadischen Grammatik, Rom 1952.
سليمان، عامر، اللغة الأكدية (البابلية - الآشورية)، طبعة منقحة ومزيدة، الموصل ٢٠٠٥.

(ألـوليم، ألالجـار). وكـذلك معظـم ملـوك مدينـة كـيش (بـابوم، كـاليبوم، قالوموم، زوقاقيب)، وغيرها من المدن السومرية الأخرى. وهـذا يـدل علـى قِدم وجود الأكاديين في بلاد الرافدين، واختلاطهم بالسومريين وغيرهم مـن الجماعات البشرية التي كانت هناك منذ أقدم العصور.

يبدأ ظهور نصوص أكادية كاملة من نحو ٢٥٠٠ ق. م مكتوبـة بهـذه اللغـة أو اللسان الذي سمي بهذا الاسـم نسـبة إلـى مدينـة أكَّـاد Akkad (موقعهـا غيـر معروف حتى الآن) التي اتخذها شاروكين الأكادي Sharrukin عاصمة لمملكتـه التي أسسها نحو ٢٣٥٠ ق. م والتي سميت نسبة إلى هذه المدينة أيضًا.

دخلت اللغة الأكاديـة مرحلـة جديـدة مـن التطـور والانتشـار مـع قيـام الإمبراطورية الأكادية التي ضمت بلاد الرافدين وشمالي سورية وبلاد عيلام وأجزاءً واسعة من هضبة الأناضول خلال الزمن الممتد من نحو ٢٣٥٠ إلـى نحو ٢١٥٩ ق. م. وبالتأكيد كانت اللغة الأكادية اللغة الرسمية فيها، وكُتبـت بها آلاف النصوص الرسمية وغير الرسمية التـي عُثـر علـى أعـداد منهـا فـي المدن والمناطق التي خضعت للدولة الأكادية.

وبخـلاف المـألوف والمفتـرض لـم يتوقـف اسـتخدام اللغـة الأكاديـة وانتشارها في مناطق الشرق القديم المختلفة مع سقوط أكاد في عـام ٢١٥٩ ق. م على أيدي الغوتيين، وقيام دول وممالك جديدة، ومع دخول جماعات بشرية جديدة إلى بلاد الرافدين. فالغوتيون، وهم جماعـات بشـرية متوحشـة جاءت من المناطق الجبلية (جبال زاغروس) الواقعـة شـرق بـلاد الرافـدين، وأسقطت الدولة الأكادية واحتلت العاصمة أكـاد = اسـتخدم ملوكهـا اللغـة الأكادية في تدوين كتاباتهم، وأطلقوا على أنفسهم الألقاب الملكيـة الأكاديـة. والسبب في ذلـك هـو أن هـذه الجماعـات كانـت بدائيـة لا تعـرف الكتابـة،

ولغتها غير مدونة. واحتلت اللغة الأكادية مكانة معتبرة في عصر مملكة أور الثالثة السومري (٢١١١-٢٠٠٤ ق.م) الذي سادت فيه اللغة السومرية لغةً للحكم والإدارة والأدب، وحمل ثلاثة من ملوك هذه المملكة أسماءً أكادية (أمار سين Amar-Sin، و شو سين Šu-Sin، و إبِّي سين Ibbi-Sin).

وساد استخدام اللغة الأكادية في الممالك الأمورية التي نشأت في بلاد الرافدين وسورية في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. ويمكن أن يكون السبب في ذلك أن لغة هذه الجماعات البدوية التي جاءت من بادية الشام، وهي الأمورية، كانت غير مكتوبة، وتشبه اللغة الأكادية في قواعدها ومفرداتها إلى حدٍ كبير، لذلك لم يجد الحكام والملوك الأموريون غضاضة في استخدام اللغة الأكادية ذات التقاليد الكتابية العريقة في مراسلاتهم وكتاباتهم الملكية وقوانينهم. وأبرز مثال على ذلك قانون حمورابي ملك بابل المشهور (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) ومحفوظات مملكة ماري الملكية (النصف الأول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد).

واستمر استخدام اللغة الأكادية في بلاد بابل في العصر الكاشي (١٥٩٥-١١٧٠ ق.م) الذي اتصف بسيطرة حكام أجانب على السلطة في تلك المنطقة.

وأصبحت اللغة الأكادية لغةً عالمية في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وأبرز مثال يدلّ على ذلك رسائل تل العمارنة التي أرسلها ملوك ممالك الشرق القديم المختلفة إلى فرعوني مصر أمنحوتب الثالث وأمنحوتب الرابع (أخناتون) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، والتي كُتبت باللغة الأكادية والكتابة المسمارية، وعُثر عليها حديثًا في موقع تل العمارنة في وسط مصر بالقرب من مدينة أسيوط.

واستمر استخدام اللغة الأكادية في بلاد الرافدين في الألف الأول قبل الميلاد من قبل الآشوريين والكلديين (البابليين الجدد)، أي: في الإمبراطورية الآشورية الحديثة والإمبراطورية البابلية الحديثة، وكُتبت بها آلاف الوثائق والحوليات الملكية، وأبرز مثال على ذلك مكتبة آشوربانيبال التي عُثر عليها في العاصمة نينوى، وتضم وثائق في مختلف فروع المعرفة.

لغات المجموعة الشمالية الغربية:

تشمل كما ذكرنا قبلُ اللغة الكنعانية ولهجاتها المختلفة، واللغة الآرامية ولهجاتها المتعددة.إن اللهجات المعروفة على أنها لهجات كنعانية: الأوجاريتية (لغة أوجاريت التي تُعرف بأنها كنعانية شمالية)، واللغة الفينيقية (الكنعانية الوسطى)، ولهجتها البونية: لهجة قرطاجة ومستوطناتها في حوض البحر المتوسط الغربي، ولغة العهد القديم، واللهجات المؤابية والعمونية والأدومية (الكنعانية الجنوبية) = تفرعت هذه اللهجات من لغة أم أولى سادت في سورية منذ أقدم العصور. لكن المشكلة أن هذه اللغة الأم الأولى غير معروفة، فلم تُكتشف حتى الآن أية نصوص كُتبت بها، إلا أن بعض المؤشرات الواردة في نصوص مختلفة من سورية تشير إلى وجودها منذ الألف الثالث قبل الميلاد. فلغة إبلا المكتشفة حديثًا فيها عناصر لغوية كنعانية، وكذلك الحال في رسائل تل العمارنة التي كُتبت باللهجة البابلية الوسطى، التي كتب الكثير منها أمراء كنعانيون سوريون خاطبوا بها الفرعون المصري أمنحوتب الثالث وابنه أمنحوتب الرابع (أخناتون) صاحب أول دعوة لعبادة إله واحد (آتون) في التاريخ.

ولكن قبل الحديث عن اللهجات الكنعانية التي ذكرناها نود الإشارة إلى **لغة إبلا** التي استُعملت في مملكة إبلا Ebla في شمالي سورية في

النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد[٤]، والتي تعدُّ أقدم لغة معروفة من سورية القديمة، وكانت معروفة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وتجمعها مع لغات المشرق العربي القديم الأخرى، كالأوجاريتية والأمورية والفينيقية، وكنعانية العهد القديم، والآرامية، ولغات العرب الجنوبية والشمالية، صفات مشتركة متعددة، تشير إلى وجود جذور مشتركة لكل هذه اللغات، ربما تعود إلى العصور السابقة لابتكار الكتابة.

هناك لغة أخرى يمكن القول عنها: إنها شمالية غربية، ألا وهي **اللغة الأمورية** التي استخدمتها القبائل الأمورية التي انتشرت في بلاد الرافدين وسورية في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد منطلقة من بادية الشام، وسيطرت على الحكم في مدن بابل وآشور وماري وإشنونا وإسين ولارسا وحلب وقطنة وجُبيل وحاصور. لكن هذه القبائل لم تستخدم لغتها للتدوين؛ لأنها لم تكن مدونة، وليس لها تقاليد كتابية معروفة، واستخدمت عوضًا عنها اللغة الأكادية ذات التقاليد الكتابية العريقة المنتشرة في بلاد الرافدين.

بالعودة إلى الحديث عن بلاد كنعان واللهجات الكنعانية نشير إلى أن المنطقة الساحلية من بلاد كنعان، أي: منطقة الساحل السوري بالمفهوم التاريخي، سمَّاها الإغريق «فينيقيا» Phoinike؛ لأن سكانها اشتُهروا بصناعة الأنسجة المصبوغة باللون الأحمر الأرجواني الذي كانوا يستخرجونه من حيوان بحري قشري اسمه «موريكس» Murex. ازدهرت هنا في حقب زمنية متباعدة مدن كثيرة كانت مراكز إبداعٍ حضاري وإنجازات مهمة جدًّا في تاريخ البشرية. وأشهر هذه المدن أوجاريت التي ابتكر سكانها أقدم أبجدية عرفها الإنسان في التاريخ في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكتبوا بها في عصر ازدهار أوجاريت

(٤) مرعي، عيد، تاريخ مملكة إبلا وآثارها وحضارتها، دمشق ٢٠١٥.

ما بين ١٤٠٠-١٢٠٠ ق.م نصوصًا كثيرة بلغة لم تكن معروفة قبل أن تكتشف أوجاريت في عام ١٩٢٩ بعثة أثرية فرنسية بقيادة كلود شيفر Ch. Schaeffer.

١ - اللغة الأوجاريتية(٥):

سُميت اللغة الأوجاريتية نسبة إلى أوجاريت مكان استخدامها. وقد كُتبت بأبجدية مؤلفة من ثلاثين حرفًا مسماريًّا ساكنًا ممثل فيها حرف الألف بثلاث إشارات مسمارية تُقرأ: أ، إي، أُو.

دوَّن سكان أوجاريت بلغتهم وبالكتابة الأبجدية المسمارية التي ابتكروها آلاف النصوص الاقتصادية، والحقوقية، والدينية، والمعاهدات، والرسائل، والأساطير التي تتحدث عن معتقداتهم الدينية ونظرتهم إلى الكون والحياة. وأشهر تلك الأساطير أسطورة «دورة بعل» وأسطورة «دان إيل وابنه أقهات»، وأسطورة «كيريت»، وأسطورة «مولد الآلهة» وغيرها، التي تُعَدُّ قطعًا أدبية رائعة عبَّر الإنسان بوساطتها عن نظرته إلى الكون والحياة والمخلوقات بأسلوبٍ شعري رائع.

توصف اللغة الأوجاريتية بأنها لغة معربة تشبه في قواعدها اللغات العربية والأكادية والآرامية والفينيقية وغيرها من لغات المشرق العربي القديم. ويتطابق فيها نظام الجملة الفعلية والاسمية مع نظام الجملة الفعلية والاسمية في اللغة العربية، ففي اللغتين تبدأ الجملة الفعلية بالفعل يليه الفاعل فالمفعول وبقية أجزاء الجملة، بخلاف اللغة الأكادية التي تأثرت باللغة السومرية التي يأتي الفعل فيها في آخر الجملة. وتبدأ الجملة الاسمية بالمسند إليه (المبتدأ) ثم المسند (الخبر). وفي اللغة الأوجاريتية معظم

(٥) Segert, S., A Basic Grammer of the ugaritic language, university of California press 1997.

الأوزان الفعلية التي في اللغة العربية. وللاسم ثلاث حالات إعرابية: رفع بالواو، ونصب بالألف، وجر بالكسر؛ وله ثلاث حالات مفرد ومثنى وجمع. وتتطابق ضمائر الرفع المنفصلة في العربية والأوجاريتية، وتُرفع الأفعال في اللغة الأوجاريتية بثبوت النون، ونصبها بحذف النون، مشبهة بذلك الأفعال الخمسة في اللغة العربية.

٢- اللغة الفينيقية الكنعانية(٦):

هي اللغة التي تكلمها سكان مدن الساحل السوري (من منطقة لواء إسكندرون في الشمال إلى غزة في الجنوب) وقبرص منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد على الأقل، والمعروفة من خلال الكثير من النقوش التي اكتشفت في تلك المدن، وفي المدن والمناطق التي وصلها التجار الفينيقيون، ولا سيما في مناطق وجزر حوض البحر المتوسط حتى إسبانيا.

كان الجزء المستوطن بكثافة من فينيقيا ذلك الممتد من جبال الأمانوس في الشمال إلى جبل الكرمل في الجنوب، ويزيد طوله على ثلاثمئة كيلومتر. وقد نشأت فيه مدن مهمة أشهرها من الشمال إلى الجنوب: أوجاريت، أرواد، جُبيل، بيروت، صيدا، صور، حيفا، عكا، يافا.

قسَّم الباحثون تاريخ اللغة التي تكلمها الفينيقيون الكنعانيون إلى ثلاث مراحل أساسية هي: الفينيقية المبكرة (بين القرنين الحادي عشر والتاسع قبل الميلاد)، والفينيقية الوسطى (القرون الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد)، والفينيقية المتأخرة (من القرن الخامس إلى الأول قبل الميلاد).وقد كُتبت تلك اللغة بأبجدية جديدة غير معروفة سابقًا في الشرق الأدنى القديم، وتختلف عن أبجدية أوجاريت التي كانت أقدم منها من حيث شكل حروفها، أو عددها، أو

(٦) حامدة، أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، جامعة دمشق ١٩٩٤-١٩٩٥

اتجاه كتابتها. فهي ليست أبجدية مسمارية كأبجدية أوجاريت، وعدد حروفها اثنان وعشرون حرفًا، واتجاه كتابتها من اليمين إلى اليسار. ويبدو أن السبب الأساسي في ابتكار الأبجدية كان تجاريًّا؛ لأن العمليات التجارية كانت بحاجة إلى وسيلة سهلة للتدوين، لا إلى كتابة معقدة كالكتابة المسمارية الرافدية أو الهيروغليفية المصرية، فكان ابتكار أبجدية أوجاريت أولًا، ثم طرأ عليها تحسين واختصار، فظهرت الأبجدية الفينيقية في مدينة جبيل.

وأقدم الكتابات التي دُوِّنت بها تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وهي نقش أحيرام Ahiram (أخي ممجد، سامي، موقر) ملك مدينة جُبيل الذي أمر بنقشه على حافة غطاء تابوته ابنه «إتُّوبعل» Ittobaal (معه بعل)، ويتألف من خمسة سطور.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه عُثِرَ على الكثير من النقوش الفينيقية، في فينيقيا، وفي مناطق سورية أخرى، وفي مصر وتركيا وقبرص واليونان وإسبانيا وسردينيا وكريت ومالطة وغيرها من الأماكن التي وصلها التجار الفينيقيون. ويمكن تصنيفها، بحسب موضوعاتها، إلى نقوشٍ نذرية، ونقوش قبور، ونقوش عمرانية، ونقوش إدارية.

بمقارنة أبجدية جبيل بأبجدية أوجاريت نجد أن عدد حروف أبجدية جبيل (٢٢) أقل من عدد حروف أبجدية أوجاريت (٣٠)، والسبب في ذلك أن لفظ ستة حروف (ب ج د ك ف ت) كان بطريقتين، مثلًا: الجيم يمكن أن تُلفظ غينًا، والدال يمكن أن تُلفظ ذالًا، والكاف يمكن أن تُلفظ خاءً.... إلخ. وبذلك يبلغ العدد الكلي للأبجدية الفينيقية التي استخدمها الآراميون والعبريون وغيرهم ثمانية وعشرين حرفًا، وهو العدد الذي يطابق عدد حروف الأبجدية العربية (مع بعض الاختلاف في لفظ بعض الحروف).

وأصبحت الأبجدية الفينيقية الأساس لمعظم أبجديات العالم القديم كالأبجدية الآرامية والعبرية والعربية الجنوبية والإغريقية واللاتينية والإيرانية، وربما بعض الأبجديات الهندية (عن طريق الأبجدية الآرامية). إن السبب الذي جعل الفينيقيين الكنعانيين يتبعون ترتيب أبجد هوز... غير معروف، وربما كان يرتبط ذلك بمعتقداتهم الدينية التي تنظر نظرة قدسية إلى بعض الحيوانات أو الأشياء مثل الثور الذي كان رمزًا مقدسًا للعديد من الآلهة في الشرق الأدنى القديم، وعلى رأسها الإله «بعل» إله الخصوبة والأمطار والرعود والبروق. وحرف الباء هو الحرف الأول من كلمة بيت التي تعني من جملة ما تحمل من معانٍ «معبدًا».

انتقلت الأبجدية الفينيقية إلى بلاد الإغريق، فكتبوا بها لغتهم التي لم تكن تعرف الكتابة بعد، وذلك على يد قدموس kadmus الأمير الصوري الذي غادر مدينته، بحسب الأسطورة الإغريقية المشهورة «أسطورة أوروبا» للبحث عن شقيقته «أوروبا» التي اختطفها زيوس كبير الآلهة الإغريقية. ويتحدث المؤرخ الإغريقي هيرودوت أيضًا عن انتقال الأبجدية من فينيقيا إلى بلاد الإغريق على يد قدموس.

٣- اللهجة الفينيقية البونية:

تطورت عن اللغة الفينيقية لهجة جديدة أطلق عليها الرومان في القرن الخامس قبل الميلاد وعلى الفينيقيين الذين تكلموها، وانتشروا في حوض البحر المتوسط الغربي، اسم «بونية» Poeni, Punicus، الذي يبدو أنه مشتق من كلمة «Phoenic» الإغريقية، أي: فينيقي. وقد شاع استعمال اسم «بونية» في قرطاجة Karthago (بالفينيقية قرت حدشت: المدينة الحديثة) أشهر المستوطنات التجارية الفينيقية في حوض البحر المتوسط الغربي (على

ساحل تونس الشمالي) التي أسسها تجار من مدينة صور في القرن التاسع قبل الميلاد، وتحولت في القرن الثالث قبل الميلاد إلى دولة قوية دخلت في صراعٍ مرير مع روما من أجل السيطرة والتوسع في حوض البحر المتوسط الغربي انتهى بدمار قرطاجة في عام ١٤٦ ق. م وسيطرة الرومان على ساحل أفريقية الشمالي كلّه.

إن النصوص المكتوبة باللهجة البونية، المكتشفة قليلة، وأقدمها يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهو نقش نذري عُثر عليه في جزيرة إبيزا Ibiza الإسبانية. وهي تُظهر تأثرًا كبيرًا باللغتين الإغريقية واللاتينية، فأصوات الحلق فيها ضعيفة، ويحدث فيها خلط بين حرفي الهمزة والعين، وبين حرفي الهاء والحاء. واستمر استخدام اللهجة البونية بعد دمار قرطاجة في مناطق البونيين في شمالي أفريقيا وإسبانيا. وبعض تلك النصوص ثنائي اللغة (بونية – لاتينية) من القرن الأول الميلادي.

٤ – كنعانية العهد القديم (اللغة العبرية)(٧):

هي اللغة التي دُونت بها أسفار العهد القديم، وبعض المؤلفات الدينية اليهودية الأخرى كالتلمود والمشنا. وكانت تُعرف باسم «شفة كنعان» (سِفْر إشعياء ١٩/ ١٨)، لا بالعبرية التي تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد. وقد تأثرت اللغة العبرية التي استخدمت في مملكة إسرائيل الشمالية باللغة الكنعانية الفينيقية، واللغة العبرية التي استخدمت في مملكة يهوذا الجنوبية باللغة الآرامية الأقدم، وكُتبت بالخط الآرامي المربع الذي أوجده الآراميون.

إن أقدم نص عبري مكتوب ومعروف هو ما يُعرف باسم «تقويم جيزير»

(٧) Jenni, E., Lehrbuch der Hebraischen Sprache des Alten Testaments, Frankfurt am Main 1981.

المدون على حجرٍ كلسي يعود تاريخه إلى عام ٩٢٥ ق. م. وهو محفوظ حاليًّا في متحف إستنبول. أما أشهر مدونات اللغة العبرية فهو «التوراة اليهودية (العهد القديم بلغة المسيحيين) المؤلفة من ثلاثة أجزاء: التوراة، والمكتوبات، والأنبياء. وتسمى هذه الأجزاء الثلاثة بالعبرية «تنخ»، وهي الحروف الأولى من الكلمات الثلاث: توراه: معرفة، شريعة، نقيم: أنبياء، كيتوڤيم: كتابات. وأقدم النصوص المدونة باللغة العبرية الباقية حتى اليوم بنسختها الأصلية هي «لفائف قمران» التي اكتشفت في عام ١٩٤٧ في مغاور قمران بالقرب من البحر الميت. ويعود تاريخها إلى ما بين القرن الثالث قبل الميلاد وأواخر القرن الأول الميلادي. وهي تُظهر اختلافات كبيرة عن النسخ المستخدمة حاليًّا من العهد القديم.

بوجهٍ عام يمكن تقسيم تاريخ كنعانية العهد القديم، أو اللغة العبرية القديمة إلى أربع مراحل:

الأولى تبدأ من نحو القرن العاشر قبل الميلاد حتى سقوط مملكة يهوذا في العام ٥٨٦ ق. م على يد نبوخذ نصَّر الثاني ملك بابل. وقد أظهرت فيها اللغة العبرية تأثرًا كبيرًا باللغة الفينيقية. وأهم النصوص التي تعود إلى هذه المرحلة «تقويم جيزير» الذي يعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد. وقد عُثر عليه في موقع مدينة جيزير Gezer الكنعانية (٥٠ كم شمال غربي القدس)، وأسفار العهد القديم التي دُوِّنت في نهاية هذه المرحلة على مراحل، ونقش سلوان الذي يعود تاريخه إلى نحو ٨٠٠ ق. م

أما المرحلة **الثانية** من تاريخ كنعانية العهد القديم فتمتد من بدايات القرن السادس إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وتميزت بسيطرة اللغة الآرامية على العبرية نتيجة سيطرة الآراميين اللغوية والثقافية على مناطق

الشرق الأدنى القديم المختلفة. وتمثل هذه المرحلة بعض أسفار العهد القديم، وبعض النصوص الأدبية والدينية كالمدراش التي هي شرح لنصوص العهد القديم.

دخلت كنعانية العهد القديم في العصور الوسطى مرحلة جديدة، هي **المرحلة الثالثة**، عُرفت فيها بالعبرية الربانية أو التلمودية، لأن مؤلفاتها كتبها رجال الدين الربانيّون، وبلغ عددها ٦٣ سِفرًا تتعلق بشؤون الدين والقانون والتاريخ؛ وتتصف بوجود كلمات آرامية كثيرة فيها مع استعمال صيغة الجمع الآرامية، وكثرة استعمال اسم الفاعل والفعل المضارع، وبوجود كلمات إغريقية ولاتينية فيها.

أما المرحلة **الرابعة** (العصر الذهبي: دور هَزَهب) من تاريخ اللغة العبرية القديمة فتمتد من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وازدهرت في ظل الحضارة العربية الإسلامية، ولا سيما في الأندلس؛ وكُتبت بها نصوص دينية وأدبية وفلسفية.

أما اللغة العبرية الحديثة المستخدمة في فلسطين المحتلة فتظهر تأثرًا كبيرًا باللغات الأوروبية الحديثة، إذ تغيب منها أصوات الحلق والإطباق، وفيها مفردات كثيرة من اللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية والروسية.

استعار اليهود الخط الفينيقي لكتابة لغتهم، ثم تبنَّوا الخط الآرامي المربع الذي أوجده الآراميون، ثم كتبوا حديثًا بخط يدوي خاص بهم، وأعطوا الحروف قيمًا عددية كما فعل الآراميون قبلهم.

٥- اللهجة المؤابية:

هي لهجة مملكة مؤاب التي نشأت شرق البحر الميت (وسط الأردن حاليًّا) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. والنقش الوحيد المكتوب بها هو

نقش «ميشع بن كيموش» ملك مؤاب (يُسمى أيضًا نقش مؤاب)، الذي يعود تاريخه إلى أواسط القرن التاسع قبل الميلاد، ويتألف من أربعة وثلاثين سطرًا منحوتة على حجرٍ بازلتي، اكتشفه حديثًا في بلدة ذيبان الواقعة بالقرب من مدينة مأدبا بالأردن في عام ١٨٦٨ بعثة فرنسية. وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس في فرنسا.

اللغة الآرامية(٨):

هي لغة الجماعات الآرامية التي انتشرت في مناطق واسعة من بلاد الرافدين وسورية في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد وفي الألف الأول قبل الميلاد، وأسست ممالك مستقلة ذاتيًّا كمملكة بيت بخياني وعاصمتها جوزانا في منطقة رأس العين الحالية في شمال شرقي سورية، ومملكة بيت زماني في أعالي بلاد الرافدين حول مدينة آمد (ديار بكر الحالية) في جنوب شرقي تركيا، ومملكة أرپاد في شمالي سورية بالقرب من حلب (تل رفعت الحالي)، ومملكة شمأل (زنجرلي حاليًّا) في جبال الأمانوس، وممالك حماة ودمشق وصوبا وغيرها.

كتب الآراميون لغتهم بأبجدية مؤلفة من اثنين وعشرين حرفًا ساكنًا مشتقة من الأبجدية الفينيقية، وتتبع نفس ترتيب الحروف، وتُكتب الحروف منفصلة بعضها عن بعض، وكل كلمة مفصولة عن الأخرى بوساطة خط شاقولي قصير أو نقطتين عموديتين. وكان تحويل الخط القديم الذي استعمل لكتابة آلاف النقوش الآرامية إلى خط أشكال حروفه مربعة في نهاية الألف الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي، وأُعطيت الأحرف قيمًا عددية.

تتميز اللغة الآرامية بمجموعة من الخصائص والصفات أهمها:

(٨) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، جامعة حلب ١٩٩٧.

١ – تأتي أداة التعريف فيها التي هي ألف ممدودة في آخر الاسم مثل «لِشانا»: لسان، «شوقا»: سوق، «أرقا»: أرض، «بيتا»: بيت.

٢ – الدال والذال صورتان صوتيتان لوحدة صوتية واحدة، وبالتالي تُنطق الدال بدلًا من الذال أو العكس. وهذا ما يُلاحظ حاليًّا في لهجات بلاد الشام المحكية، إذ يُقال مثلًا: «دهب» بدلًا من ذهب، و«هدا» بدلًا من هذا، و«أخد» بدلًا من أخذ، و«أدن» بدلًا من «أذن».

٣– ليس في الآرامية حرف الثاء، ويُستخدم بدلًا منه حرف التاء، مثلًا ثوم يُلفظ «توما»، و ثور «تورا». وهذا معروف في بعض اللهجات المحكية حتى اليوم في بعض الكلمات مثل «تلاتا» بدلًا من «ثلاثاء»، و«التنين» بدلًا من «الاثنين»، و«توب» بدلًا من ثوب.

٤ – لم تعرف اللغة الآرامية الإعراب، فالحرف الأخير من كل كلمة يكون ساكنًا.

٥ – تُكتب الحروف منفصلة بعضها عن بعض.

٦ – تشبه ضمائر الرفع المنفصلة نظيراتها العربية.

مرت اللغة الآرامية بمراحل تطورية متعددة، وتفرعت منها لهجات كثيرة، نتيجة انتشارها في مناطق واسعة، ومجاورة الآراميين لجماعات وشعوب تكلمت بلغات أخرى أثرت وتأثرت بالآرامية. نورد فيما يلي المراحل التطورية التي مرت بها اللغة الآرامية، واللهجات التي تفرعت منها:

١ – الآرامية القديمة المبكرة:

هي لغة الممالك الآرامية الأقدم التي قامت في الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والثامن قبل الميلاد، وتمثلها أفضل تمثيل النقوش الملكية والمعاهدات (نقوش السفيرة المدونة على ثلاثة نُصب عُثر عليها في قرية السْفيرة الواقعة جنوب شرقي حلب، والتي تعدُّ من أقدم النقوش الآرامية).

٢- الآرامية القديمة المتأخرة:

كُتبت بها نصوص تعود إلى الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى القرن السادس قبل الميلاد، وجاءت شواهدها من كل مناطق الشرق الأدنى القديم، وأصبحت لغة المراسلات السائدة في تلك المناطق. فهناك رسالة مؤرخة ما بين ٧٣٥-٧٣٢ ق.م كتبها ملك صور الفينيقي باللغة الآرامية إلى الملك الآشوري تيكلات بيليصر الثالث.

يبدو أن اللغة الآرامية أخذت في هذه المرحلة من تاريخها تحل بالتدريج محل اللهجة الآشورية الحديثة، إذ نجد كثيرًا من الوثائق التجارية التي كانت تُكتب باللهجة الآشورية، تحوي ملخصًا لفحواها باللغة الآرامية مع أسماء التجار والشهود، وهذا يدل بوضوح على انتشار اللغة الآرامية بسبب سهولة كتابتها.

٣- الآرامية الإمبراطورية: Reiches Aramäisch

هي الآرامية التي سمَّاها المؤرخ والمستشرق الألماني يوسف ماركفارت Markwart J. (١٨٦٤-١٩٣٠) بهذا الاسم، واستُعملت لغة رسمية في الإمبراطورية الفارسية الأخمينية (٥٥٥-٣٣١ ق.م)، ولا سيما في مقاطعاتها الغربية، بلاد الرافدين وسورية، حيث كانت غالبية السكان تتكلم الآرامية. وكان أهم الأسباب الكامنة وراء ذلك أن اللغة الفارسية كانت حتى تاريخ تأسيس الإمبراطورية الفارسية الأخمينية لغة غير مكتوبة، وليس لها كتابة أو أبجدية خاصة بها؛ فآثر ملوك الإمبراطورية استخدام اللغة الآرامية المعروفة والمنتشرة في مناطق متعددة من إمبراطوريتهم، كي تصبح إدارة شؤون الدولة ممكنة. إن أقدم شواهد الآرامية الإمبراطورية نصوص جزيرة فيلة الواقعة جنوبي مصر بالقرب من أسوان، ويرقى تاريخ أقدمها إلى نحو ٥٣٠ ق. م، إضافة إلى نسخة

آرامية من حِكَم أحيقار مستشار الملك الآشوري سنحريب، وترجمة آرامية لنقش الملك الفارسي الكبير على صخور بهيستون الذي يتحدث فيه عن أعماله وإنجازاته، ونقشه بثلاث لغات هي البابلية والعيلامية والفارسية القديمة.

٤ – الآرامية التوراتية:

هي اللهجة التي كُتبت بها أجزاء كبيرة من بعض أسفار العهد القديم (سِفر عِزرا وسِفر دانيال). ووردت في أسفار أخرى بعض الكلمات الآرامية (سفر التكوين وسفر إرميا). وهذا يدل على استخدام اليهود الآرامية، وتراجع استخدام اللغة العبرية. وحلت الآرامية محل العبرية في عهد المكابيين (١٦٤–٦٤ ق.م). ولاحظ المختصون باللغات القديمة أن اللغة الآرامية بدأت بالانقسام إلى مجموعتين لغويتين من أواخر القرن الأول قبل الميلاد، بناءً على تمايزات نحوية ولفظية بين المجموعة التي انتشرت في بلاد الرافدين، والمجموعة التي انتشرت في سورية، فأطلقوا اسم الآرامية الشرقية على اللهجات التي سادت في المنطقة الأولى، واسم الآرامية الغربية على التي سادت في المنطقة الثانية. وكان الحد الفاصل بين مناطق انتشار لهجات المجموعتين نهر الفرات.

١ـ لهجات الآرامية الشرقية:

تشمل السُّريانية، والمنداعية، واليهودية البابلية، وآرامية الحضر.

أ– **السُّريانية**: (بالسريانية الشرقية لِشانا سُريانا، وبالسريانية الغربية لِشونو سُوريويو).

عُرفت بهذا الاسم الذي يعني «السورية» بعد القرن الرابع الميلادي، أي: بعد انتشار المسيحية التي رغب معتنقوها في تمييز أنفسهم عن بني جلدتهم الآراميين «الوثنيين»، فسمَّوا أنفسهم «سريان»، ولهجتهم «سريانية». وأقدم شواهدها يعود إلى عام ٦ م، وهو نقش جنائزي عُثر عليه في بلدة بيرجيك

التركية الحالية. وقد استُخدمت في مملكة أوسروييني التي كانت عاصمتها «الرُّها»، التي سمّاها السريان «أورهوي، أورها»، والإغريق إديسَّا Edessa، وهي اليوم أورفة عند الأتراك التي تقع بالقرب من منابع نهر البليخ. وتمثل كتابات «بر ديصان» السريانية، وكتابات لوقيانوس السمساطي (١٢٥-١٨٠م) المرحلة الأولى من تطور اللهجة السريانية التي امتدت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي؛ وكتب بها الحكيم الإيراني «ماني». وتمتد المرحلة الثانية من عمر اللهجة السريانية من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي. وقد نشط التأليف والتعليم في هذه المرحلة، وأنشأت المدارس والمكتبات[٩].

ب- **الآرامية المنداعية (المندائية):**

هي لغة الجماعات التي حاولت المزج بين المعتقدات الدينية الرافدية القديمة والمعتقدات اليهودية والمسيحية، واسمهم (المنداعيون)، ويعني «أهل المعرفة» المشتق من فعل «ي د ع» الآرامي الذي يعني: «يعرف». وتذكر المصادر العربية الإسلامية المنداعيين باسم الصابئة، الذين برز منهم في العصر العباسي الفلكي والرياضي ثابت بن قرة الحرَّاني (٨٣٦-٩٠١م) ومحمد بن جابر البتَّاني عالم الفلك والرياضيات المشهور (٨٥٨-٩٢٩م) الملقب ببطليموس العرب، وغيرهما.

ج- **لهجة تلمود بابل:**

هي اللهجة التي دوّن بها رجال الدين اليهود التلمود البابلي في بابل في الفترة ما بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين. ويعد التلمود البابلي أكثر تكاملًا من التلمود الأورشليمي الذي يعدُّ أكثر وضوحًا. وهو المرجع الرئيس للشريعة اليهودية.

(٩) نعمان، ميشيل، الوجيز في اللغة السريانية، جامعة البعث ١٩٩٠-١٩٩١.

د- آرامية الحضر:

هي لهجة مملكة الحضر (بالآرامية حطرا، وبالعربية عربايا) العربية التي قامت في شمالي بلاد الرافدين (جنوب غربي الموصل) في القرن الأول الميلادي، واستمرت حتى منتصف القرن الثالث الميلادي. وعُرفت بمدينة الشمس؛ لأن إله الشمس كان معبودها الرئيس. وعُثر فيها على أكثر من ثلاثمئة نص آرامي ذات صبغة دينية، تؤرخ ما بين ٨٩-٢٣٨م[١٠].

٢- لهجات الآرامية الغربية:

هي اللهجات التي سادت في سورية الطبيعية، وتشمل التدمرية، والنبطية والآرامية اليهودية الفلسطينية، والآرامية المسيحية الفلسطينية، وآرامية السامرة.

أ- الآرامية التدمرية:

هي اللهجة التي استُخدمت في كتابة الكثير من النقوش التدمرية التي يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من العام ٤٤ م إلى العام ٢٧٤ م، والتي عُثر عليها في تدمر ومناطق أخرى في سورية وخارجها.

يمكن تصنيف النقوش التدمرية إلى نقوش تكريمية دُوِّنت على تماثيل لأشخاص كان لهم دور مهم في حياة تدمر، ونقوش نذرية دُوِّنت على مذابح أو تماثيل من أجل التقرب من الآلهة وطلب حمايتها، ونقوش على شواهد القبور دُوِّنت على منحوتات جنائزية للتعريف بأصحابها الموتى وطلب الرحمة لهم، وتذكر أسماء أصحابها كاملة مسبوقة أو متبوعة بكلمة «ح ب ل» التي تعني «وا أسفاه». كانت مادة الكتابة في الغالب الحجر والصخر المنحوت على شكل تماثيل ومعابد ومنحوتات للموتى[١١].

---

(١٠) قام الباحث العراقي فؤاد سفر بنشر كتابات الحضر في عدد من أعداد مجلة سومر التي صدرت في الأعوام ١٩٥١-١٩٥٣، ١٩٥٥، ١٩٦١، ١٩٦٥.

(١١) أحمد، علي صقر، النقوش التدمرية القديمة، الجزء الأول النقوش النذرية، دمشق ٢٠٠٩.

ب- **الآرامية النبطية:**

هي اللهجة التي استخدمها العرب الأنباط في مملكتهم التي أقاموها في منطقة وادي موسى جنوبي الأردن الحالي، وكانت عاصمتها مدينة «الرّقم» أو «الرقيم» التي سمَّاها الإغريق «بيترا» Petraea (البتراء حاليًّا)، أي: الصخر، واليهود «سلْع»: الشق في الصخر، لأنَّها بُنيت في الصخر، وفي منطقة صخرية سماها الإغريق والرومان «بلاد العرب الصخرية» Arabia Petraea. كان الأنباط قبائل عربية هاجرت من شمال غربي شبه الجزيرة العربية في القرن السابع قبل الميلاد إلى منطقة وادي موسى في جنوبي الأردن.

ويرد أقدم ذكر لهم في التاريخ في نصٍ آشوري تاريخه ٦٤٧ ق. م يذكرهم بين أعداء الملك الآشوري المشهور آشور بانيبال.

كتب الأنباط نقوشهم التي يبلغ عدد المكتشف منها نحو خمسة آلاف نقش، بلهجة آرامية سُميت باسمهم (النبطية)، وبخطٍ آرامي مشتق من الخط الآرامي القديم، لأن اللغة العربية التي كانوا يتكلمونها لم تكن مكتوبة في زمنهم. ويرقى تاريخ معظم النقوش المكتشفة إلى القرن الأول الميلادي، عصر ازدهار مملكة الأنباط الأكبر.

ويعود أقدم هذه النصوص إلى القرن الرابع قبل الميلاد. وقد عُثر عليها في مناطق انتشار الأنباط، وتتصف بأنها قصيرة (وقفية، تذكارية، جنائزية) لا تتضمن معلومات تاريخية(١٢).

ويبدو أنه كان للخط الآرامي النبطي دور في نشوء الأبجدية العربية

---

(١٢) Littmann, E., Nabataean Inscriptions from Egypt, in Bulletin of the Schools of oriental and African studies 1953.

عبابنة، يحيى، اللغة النبطية، دار الشروق، عمَّان ٢٠٠٢.

الشمالية التي استخدمت لكتابة لهجات العرب الشمالية بدءًا من القرن الثالث الميلادي.

ج- **الآرامية اليهودية الفلسطينية:**

بعد أن شاع استخدام اللغة الآرامية بين السكان في فلسطين في أواخر الألف الأول قبل الميلاد، وفي القرون الميلادية الأولى، حتى إن السيد المسيح عليه السلام تكلم بالآرامية (لهجة الجليل) = شرح رجال الدين اليهود التوراة العبرية بالآرامية، فنشأ ما يُعرف بـ «الترجوم» (الترجمة) لأسفار موسى، أي: الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، وصار هناك ترجوم أورشليمي نسبة إلى أوروشليم. واستخدم المؤرخ اليهودي الروماني فلاڤيوس يوسيفوس F. Josephos (يوسف بن متيتياهو ٣٧/ ٣٨-٩٨/ ١٠٠م) الذي ألّف عدة كتب، منها كتابه «تاريخ حرب اليهود للرومان» المؤلف من سبعة أجزاء = اللهجة الآرامية اليهودية الفلسطينية، التي كانت آنذاك سائدة في فلسطين، والتي كان يوسيفوس يتقنها. وقد تُرجم الكتاب فيما بعد إلى اللغة الإغريقية، لغة الثقافة والمثقفين في الإمبراطورية الرومانية.

د- **الآرامية الفلسطينية المسيحية:**

هي الآرامية التي استخدمها معتنقو الديانة المسيحية في فلسطين، وتظهر في إنجيل متّى الذي دُوِّن بها، وفي بعض الكلمات والتعابير التي تظهر في أناجيل أخرى.

هـ- **آرامية السامرة:**

هي الآرامية التي استخدمتها جماعة السامريين الذين استوطنوا في منطقة نابلس في فلسطين - وهم أصلًا جماعة يهودية لم تعترف إلا بأسفار العهد القديم الخمسة الأولى التي ترجمتها إلى الآرامية «الترجوم السامري»،

وذلك في القرن الرابع الميلادي - واستخدمتها في كتابة بعض الأناشيد والتراتيل الدينية.

لغات المجموعة الجنوبية الغربية:

هي لغات القبائل العربية التي استوطنت مناطق شبه الجزيرة العربية الشمالية الغربية والجنوبية الغربية، ومناطق الحبشة (إثيوبية) وجيبوتي وإريتريا في شرقي أفريقيا. وتتألف من لغات العرب الشمالية (الصفوية والثمودية واللحيانية)، ولغات العرب الجنوبية (المعينية والسبئية والقتبانية والحميرية)، ولغات الحبشة وما جاورها (الجعزية والتغرية والتغرينية والهررية والأمهرية).

أ- لغات العرب الشمالية:

هي لغات القبائل العربية التي سكنت مناطق نجد والحجاز وشمال غربي شبه الجزيرة العربية وجنوبي سورية منذ القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، وقد دُونت بخط مشتق من خط المُسند الذي ابتُكر في اليمن واستُخدم لتدوين لغات اليمن القديمة. وهي في معظمها نُقشت على الصخور والأحجار في البوادي والصحارى، حروفها غير واضحة وهو ما جعل الباحثين يطلقون عليها اسم مخربشات Graffiti. وتتصف بأنها قصيرة تمثل شواهد قبور، أو أدعية دينية، أو تخليدًا لحوادث شخصية. وسمَّاها المؤرخون والجغرافيون العرب القدامى لغات العرب البائدة، أي: التي لم تكن مستخدمة في العصر الجاهلي السابق لظهور الإسلام، ويقابلها لغات أو لهجات العرب الباقية كلهجة الحجاز ولهجة تميم، وغيرهما من لهجات القبائل العربية قبل الإسلام. وهذه اللغات أو بالأصح اللهجات البائدة هي:

١ - الصفوية:

هي لغة النقوش المكتشفة في بادية الشام التي سُمِّيت بهذا الاسم نسبة

إلى تلول الصفا الواقعة شرق اللجاة في منطقة حوران جنوبي سورية، وهو المكان الذي اكتُشفت فيه أولى النقوش المكتوبة بهذه اللهجة في عام ١٨٥٧. ويعود تاريخ تلك النقوش إلى الفترة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي. ويبلغ عدد المكتشف منها حتى الآن أكثر من ثلاثين ألف نقش، معظمها من البادية الأردنية. وقد نُقشت في معظمها على الصخور والأحجار بخطٍ يبلغ عدد أحرفه ثمانية وعشرين حرفًا، مشتق من الخط المُسند الذي يعود بأصوله إلى اليمن، وتغيرت فيه أشكال بعض الحروف. تتصف لغة النقوش الصفوية، كالنقوش الثمودية واللحيانية باستخدام حرف الهاء أداةً للتعريف بدلًا من «ال» التعريف التي تظهر في النقوش النبطية والعربية، كقولنا: ه م ل ك، أي: الملك، و ه ر ج ل، أي: الرجل، و ه ب ي ت، أي: البيت[١٣].

٢- اللحيانية:

هي لغة القبائل التي كانت في مملكة لحيان في منطقة العُلا (ديدان) في شمال غربي شبه الجزيرة العربية، التي امتد نفوذها من شمال يثرب (المدينة المنورة) إلى خليج العقبة الذي سُمّي خليج لحيان، وتؤرخ نقوشها بما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي. تتصف النقوش اللحيانية التي بلغ عدد المكتشف منها نحو أربعمئة بالقِصَر. واللِّحيان بالعربية، بكسر أوله: خدودٌ في الأرض يخدها السيل، الواحدة لِحيانة، واللِّحيان: الوَشَلُ، والصَّديع في الأرض يخر فيه الماء، وبه سميت بنو لحيان، وليس تثنية اللَّحَى.

(١٣) من أحدث الدراسات عن اللهجة الصفوية: «لغة النقوش الصفوية وصلتها بلغة البادية الشمالية الأردنية» للدكتور زياد عبدالله الطلافحة، المفرق مدينة الثقافة الأردنية ٢٠١٧.

٣- الثمودية:

تحدثت بها قبائل ثمود التي استوطنت مناطق مدائن صالح وتيماء وتبوك والعُلا في شمال غربي شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثامن قبل الميلاد، إذ ذكر الملك الآشوري شاروكين الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) في إحدى حولياته أنه انتصر عليهم. وقد عُثر على نقوشها في الحجاز وشمال غربي شبه الجزيرة وجنوبي الأردن وباديته وشبه جزيرة سيناء منقوشة على الأحجار والصخور، ويبلغ عددها نحو ثلاثة عشر ألف نقش يعود تاريخها إلى ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الخامس الميلادي. وتتصف الأسماء فيها باستخدام الهاء أداة للتعريف، مثل هجمل: الجمل، و هأسد: الأسد(١٤).

تمثل هذه اللهجات (الصفوية واللحيانية والثمودية) البدايات الأولى للغة العربية التي ظهرت واضحة فيما بعد في المعلقات والقرآن الكريم اللذين يمثلان اللغة العربية التي وصلت أوج تطورها فيهما. هذا، علمًا أن هناك كتابات عربية ظهرت بالخط النبطي المتأخر الشبيه بالخط الكوفي، وبلغةٍ عربية مختلطة بكلمات آرامية، كانت صلة الوصل بين اللهجات المذكورة والعربية الفصحى، وأقدمها **نقش النمارة** الذي عثر عليه رينيه دوسو وفريدريك ماكلر في عام ١٩٠١ في قرية النمارة شرق جبل العرب، المكتوب على شاهدة قبر بازلتية لامرىء القيس بن عمرو الأول (٢٨٨-٣٢٨م) أحد ملوك الحيرة المناذرة، والمؤرَّخ بعام ٣٢٨م، والمؤلف من خمسة سطور. وحروف النقش متصلة بعضها ببعض، وهذه ظاهرة غير معروفة في الخطوط الآرامية، وتدل على ما يبدو على بداية تشكل الخط والكتابة العربية.

(١٤) الزعبي، آمنة صالح الزعبي، اللهجة العربية الثمودية، دراسة تاريخية مقارنة في الأصوات والأبنية والدلالة في ضوء الفصحى واللغات السامية، عمَّان، الأردن ٢٠٠٦.

ب- **لغات العرب الجنوبية: (لغات اليمن القديمة):**

تشمل اللهجات المعينية والسبئية والقتبانية والحضرمية، التي يحلو لبعض الباحثين تسميتها باللغات الصيهدية؛ لأن الكثير من نقوشها اكتُشف في الواحات والأودية والقيعان المحيطة برمال سمَّاها ياقوت الحموي «رمال صيهد» (حاليًا رملة السبعين) وهي «مفازة بين مأرب وحضرموت»(١٥). وكُتبت بالخط «المُسنَد» المؤلف من تسعة وعشرين حرفًا ساكنًا (فيه رمزان يعبران عن السين) تتميز بشكلها القائم الذي يستند بعضها فيه إلى بعض، لذلك سمَّاه العرب «الخط المسند». وقد بدأ استخدامه على ما يظهر في ممالك سبأ وقتبان في نهاية القرن التاسع وبداية الثامن قبل الميلاد. وربما اقتبس من الأبجدية السينائية في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد. له أشكال هندسية مرتبة تظهر فيها الزوايا القائمة والأشكال المستطيلة والخطوط الأفقية والعمودية بوضوح. واتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار، إلا في النقوش المبكرة حيث استخدم «خط المحراث»، أي: البدء من اليمين إلى اليسار، ثم العودة من اليسار إلى اليمين. يتصف خط المسند بأن الكلمات فيه يفصل بينها خط عمودي، وليس فيه حروف منقطة، ويُكرَّر الحرف في الكلمة للدلالة على التشديد، ولا تتغير أشكال الحروف أينما وقعت، في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها. ونُقشت معظم نصوصه على الصخور التي كانت مادة الكتابة الأساسية في جنوب غربي شبه الجزيرة العربية. وقد بقي

(١٥) بيستون، ألفريد، لغات النقوش اليمنية القديمة نحوها وصرفها، في: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، محمد عبد القادر بافقيه، ألفريد بيستون، كريستيان روبان، محمود الغول، تونس ١٩٨٥، ص ٦٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص ٤٤٨.

مفهومًا في اليمن حتى القرن العاشر الميلادي، إذ قام مؤرخ وجغرافي اليمن المشهور أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني (٨٩٣-٩٧٠م) بترجمة بعض النقوش المكتوبة به، وأوردها في كتابيه المعروفين عن الجزيرة العربية «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب». وحديثًا كان المستشرق الألماني هاينريش فريدريش فيلهيلم غيسينيوس H.F.W. Gesenius (١٧٨٦-١٨٤٢) أول من تمكن من فك رموز الخط المسند[١٦]. وتتألف لغات العرب الجنوبية من لهجات نذكرها فيما يلي:

١ - اللهجة المعينية:

هي لهجة مملكة معين التي تُعَدُّ أقدم الممالك العربية في اليمن، وامتد تاريخها من نحو ١٣٠٠ إلى نحو ٦٣٠ ق. م. ونشأت في منطقة الجوف الواقعة بين نجران وحضرموت، وامتد نفوذها إلى شمالي الحجاز حيث دخلت مدن ديدان والعُلا ومعان في فلكها. ويرى بعض الباحثين أن النطق الأقدم للاسم هو معان الذي تحول مع الزمن إلى «معين»، أي: نبع ماء[١٧]. اكتُشفت معظم نقوش اللهجة المعينية في قرناو (خربة معين حاليًّا) ويثيل (خربة براقش حاليًّا). وعُثر على نقوشٍ معينية خارج اليمن، في ديدان (العُلا حاليًّا) المستوطنة التجارية التي أسسها المعينيون في شمال غربي شبه الجزيرة العربية على طريق التجارة الواصلة ما بين اليمن والشام، وفي جزيرة ديلوس الإغريقية الواقعة في بحر إيجة، وفي سقَّارة بالقرب من القاهرة. ويعود تاريخ تدوينها إلى الفترة ما بين القرن السادس والثاني قبل الميلاد.

يتصف الفعل في اللهجة المعينية ببدايته بحرف السين، مثلًا: سفعل:

(١٦) بيستون، ألفريد، المرجع السابق، ص ٦٨.

(١٧) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٢٦٤.

سأفعل. ويبدأ ضمير الغائب المفرد المذكر بالسين: سو: هوَ، و سي: هيَ التي تقابل (شو) و(شي) باللغة الأكادية، إذ إنّ قلب الشين سينًا، والسين شينًا كان مألوفًا في لغات المشرق العربي القديم.

٢- اللهجة السبئية:

هي اللهجة التي استُخدمت في مملكة سبأ التي تُعدُّ من أهم الممالك العربية في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وتعود بدايات تاريخ نشوئها إلى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد، ويرد أقدم ذكر لها في نصٍ آشوري من عهد الملك شلمنصَّر الثالث (من العام ٨٣٨ ق. م) الذي يذكر «أنه أُحضرت جمال وخيول ونباتات عطرية وأحجار نفيسة وغير ذلك من سبأ إلى بلاد آشور». وتذكر نصوص آشورية من عهود تيكلات بيليصر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) وشاروكين الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) وسنحريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) أن هؤلاء الملوك كانوا يتلقَّون الجزية من الملكات العربيات «زبيبة» و«شمسي»، ومن الملكين السبئيين «يثع أمرا» و«كرب إيلو»، اللذين كانا بلا شك ممثلي ملك سبأ في واحات شمال غربي شبه الجزيرة العربية، التي تعبرها الطريق التجارية القادمة من الجنوب والمتجهة نحو الشام ومصر، والتي كانت مملكة سبأ تسيطر عليها.

خلَّف السبئيون الكثير من النقوش التي كتبوها بالخط المسند، واتّسمت بأنها قصيرة ومواضيعها دينية في الغالب. ويمكن تقسيم مراحل تاريخ اللهجة السبئية إلى ثلاث هي: مبكرة حتى ميلاد السيد المسيح، ووسطى من القرن الأول الميلادي حتى القرن الرابع الميلادي، ويمثلها العدد الأكبر من النقوش المكتشفة، وحديثة حتى القرن السادس الميلادي. وأهم ما يميز لهجة سبأ استخدام حرف الهاء في أفعال السببية كقولنا: هسفعل بمعنى سأفعل، في حين

تستخدم اللهجات الأخرى حرف السين. وقد سُمِّيت لهجة سبأ لهجة الهاء لكثرة ورود حرف الهاء في بدايات الأفعال. ويُعرَّف الاسم فيها بإضافة حرف النون إلى آخره، مثل: م ل ك ن: الملك، و ب ن ت ن: البنت. أما التمييم، أي: إلحاق حرف الميم بآخر الاسم فيدل على نكرة، مثل د م م: دم.

٣- اللهجة القتبانية:

هي لهجة مملكة قتبان التي قامت في الزاوية الجنوبية الغربية من اليمن، وتعود بداية نشأتها إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وسقطت في القرن الأول قبل الميلاد، وكانت عاصمتها مدينة «تمنع» (موقعها الحالي كحلان في وادي بيحان شمال غرب عدن) التي تعرضت لحريق مدمر في العام ٥٠ ق.م.

يعود الفضل في اكتشاف الكثير من نقوش هذه المملكة ونسخها إلى المستشرق النمساوي إدوارد غلازر الذي قام برحلات إلى اليمن ما بين ١٨٨٢ و١٨٩٤. ويعود تاريخها إلى الفترة ما بين القرن السابع قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، وهي قصيرة ومواضيعها دينية، ولغتها شبيهة باللغة المعينية والسبئية. وأشهر تلك النقوش «نقش النصر» الذي يُعدُّ من أقدم مصادر تاريخ قتبان، ويتحدث عن حرب على مملكة «أوسان» المجاورة انتهت بسقوط «أوسان» تحت سيطرة قتبان.

٤- اللهجة الحضرمية:

هي لهجة المملكة اليمنية القديمة التي نشأت في المنطقة الممتدة بين عدن في الغرب وعُمان في الشرق، والتي خضعت في معظم مراحل تاريخها إلى ممالك معين وسبأ وحِمْيَر، وكانت عاصمتها شبوة. ويظهر من بعض النقوش المكتشفة أن علاقات هذه المملكة التجارية وصلت إلى

مناطق بعيدة في الهند والحجاز وسورية. وهي تمتد زمنيًا من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي. وتتحدث بعض النقوش عن عناية ملوك حضرموت بشؤون مملكتهم الداخلية، كما هو الحال في النقش الذي تركه المدعو «شكم سلحان بن رضوان»، أحد كبار موظفي المملكة، الذي يذكر بناء سور وباب وتحصينات لحصنٍ يُدعى «قلت»، يُشرف على وادٍ تقطعه الطريق الواصلة بين مدينة «حجر» وميناء «قَنَا». وهناك نقش يتحدث عن «العُزيليط» ملك حضرموت الذي استقبل وفودًا من تدمر، ومن الهند، وهو ما يدل على أن علاقات حضرموت التجارية امتدت لتصل إلى مناطق بعيدة كالهند وسورية(١٨).

ج- **لغات الحبشة (اثيوبيا):**

تشمل الجعزية والتغرية والتغرينية والهررية والأمهرية. وهي لهجات القبائل العربية التي هاجرت من اليمن إلى الحبشة من القرن السابع قبل الميلاد.

وقد كُتبت بخط مشتق من الخط المُسند يتألف من مئة واثنين وثمانين رمزًا، يمثل كل رمز صوتًا صامتًا مع الحركة التالية له. إن أقدم لغات الحبشة (الجعزية) التي عُثر على نقوشٍ كُتبت بها يعود تاريخها إلى الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع الميلاديين، وساد استخدامها في مملكة أكسوم الحبشية التي بلغت أوج قوتها وازدهارها في القرن الرابع الميلادي، واستخدمتها قبائل الفلاشا اليهودية الدين الإفريقية الأصل. بدأت الجعزية بالتراجع منذ القرن الثالث عشر الميلادي، وانحصر استخدامها في المجال الديني، إذ أصبحت لغة الكنيسة الحبشية؛ وحلت محلها في الاستخدام

(١٨) مهران، محمد بيومي، المرجع السابق، ٢٤٠.

اليومي اللهجة الأمهرية التي ما تزال حتى اليوم اللغة الرسمية في الحبشة - التي سُميت «إثيوبية» - من القرن الرابع الميلادي الذي شهد انتشار المسيحية في تلك المنطقة من شرقي أفريقيا.

أما اللهجات الأخرى كالتغرية والتغرينية والهررية فهي لهجات محلية انتشرت في بعض مناطق الحبشة وإرتيريا والقرن الأفريقي.

* * *

أنباءٌ مجمعيةٌ وثقافية

من قرارات المجمع
في الألفاظ والأساليب(*)

(٢٢٨)
بالتالي

١ - المسألة:

من التراكيب الشائعة التي يستخدمها المعاصرون في كتابتهم وكلامهم التركيبُ الظرفيُّ «بالتالي»، يريدون به الدلالة على ارتباط سببيّ، أو علاقة ترتيب في الزمن، ويكون قرينُ هذا التركيب المتقدّمُ عليه أو المتأخّرُ عنه في هذا الاستخدام نتيجةً لما قبله، أو تاليًا له في الزمن؛ فيقولون:

- أما الهَوية - بفتح الهاء - فلا وجود لها في العربية، وبالتالي لا دلالة لها.
- المبتدأ فيه نكرة غير مفيدة، وبالتالي فهو مخالف للنظام التركيبي للفصحى.
- إن الاعتباط فكرٌ مستبدٌّ في خصائصه الذاتية على مستوى أفراده، وبالتالي تنعكس استبداديته بصورةٍ جليةٍ في نشاطاته المختلفة.
- الجميع جاؤوا من شبه الجزيرة العربية، وبالتالي ذهبوا إلى أطراف

(*) هذه قرارات مجمع اللغة العربية بدمشق، عُرِضَتْ في مؤتمري المجمع العاشر والحادي عشر، وحظيت بالموافقة.

(يرجى ممَّن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).

شبه الجزيرة العربية، في هجرات عدة متتالية.

- وغيرت مجرى الحروب، وبالتالي مجرى التاريخ.
- أن تخلع على اللغة درجة من الكمال تكاد تكون مطلقة، وبالتالي حالًا من الهيبة تفرضها على الكون بأسره.

وقد التقط معدّو (معجم اللغة العربيّة المعاصرة) هذا الأسلوب، وبيّنوا معناه حيث صنّفوه، فكان فيه: «...بالتالي: فيما بعد، أو نتيجة لما سبق». غير أنّ أكثر المختصّين والنقّاد اللغويّين طعنوا فيه؛ فمنهم من خطّأه، ومنهم من تحفّظ منه وتنقّصه ورماه بالضعف والركاكة والعجمة، أو وصمه بأنّه عامّيّ محدث؛ ورأى هؤلاء وأولئك أن يُهجَر هذا الأسلوب، وأن يُترفَّع عن استعماله في المقامات الجادّة والكتابة العلميّة والرسميّة، ويُستغنى عنه بما يدلّ على المقصود منه من مقابلات عربية نحو: «من ثَمّ، من ثَمّة، لذا، بذلك، عليه، بناءً عليه، إذن، نتيجة لما تقدّم، التلُوّ، الفاء....» فهل يُفتَى الناس بفتوى هؤلاء المختصّين والنقّاد، فيُمنَعون هذا الاستخدامَ ويُكرَهون على الوجوه الأخرى أو بعضها، أم أنّ في المسألة قولًا آخر؟

٢- الاقتراح:

جواز استخدام تركيب «بالتالي» لما يستخدمه له المعاصرون من التعبير عن الارتباط السببيّ أو علاقة الترتيب الزمنيّ، وأولى منه استخدامُ ما حظي بالاتّفاق وبعد عن الخلاف من مكافئات دالّة على المقصود فصيحةٍ موروثة أو صحيحة جائزة.

٣- التعليل:

لم ينتهِ إلينا من كلام علماء العربية نحاة ولغويّين نصٌّ تناول هذا التركيب، يدلّ على قديم استعماله، ويبيّن حكمه. لكنّ هذا لا يؤذن بامتناع

هذا الاستخدام وانتفائه. وهوما يؤكّده ورود هـذا التركيـب ورودًا نـادرًا فـي عبارة بعض العلماء القدماء في بعض ما انتهى إلينا من مصنفاتهم.

قال القشيريّ (ت ٤٦٥هـ) حيث فسّر الآية ١٩ من سورة الأحقـاف: «فقبـول الطاعة وغفران الزّلّة مشروطان ببرّ الوالدين. وقد ذمّ الله – سبحانه – الذي يتصف في حقهما بالتأفّف، وفي ذلك تنبيه على مـا وراء ذلـك مـن أي تعنّـف، وعلـى أنّ الذي يسلك ذلك يكون من أهل الخسران، **وبالتالي يكون ناقص الإيمان**».

وهذا دليل استئناس يؤيّد استخدام المعاصرين ويشهد له، وإن لم يرتـقِ به إلى مرتبة الفصـاحة؛ ويضعضـع رأيَـينِ أو حكمـين أخـذ بهمـا الطـاعنون المعاصرون واستوليا عليهم حتى صارا فيهم كاليقين؛ يسـتندون إليهمـا فيمـا ذهبوا إليه من طعن وانتقاد.

أمّا الأوّل فالحكم على هذا الاستخدام بأنّه محدث عامّيّ منبتّ عن التراث.

وأمّا الثاني فالحكم على هذا الأسلوب بأنّه اسـتعمال إفرنجـي، وتعبيـر دخيل ولّدته الترجمة وطغـت عليـه محاكـاة الغـربيّين. وهـذا أقـدم مـا رُمِـي وانتُقِد به هـذا الاسـتخدام، وكـان ذلـك أول مـا كـان فيمـا أعلـم فـي مجلـة المقتبس التي ورد فيها في نقد كتاب (البنين) الذي ألفه الفرنسي بول دومـر، وترجمـه عبـد الغنـي العريسـي: «(فحكومتنـا أصـبحت بالتـالي حكومـة ديموقراطية) فبالتالي استعمال إفرنجي».

وقد نبّه بعـض البـاحثين علـى صـلته بالعبـارة الإنجليزيـة «Therefore»، وقدّر بعضهم أن يكون ترجمة للعبارة للفرنسية «par consēquent».

ومن ثَمّ كانت كلمة القشيري دليلًا على أنّ استخدام المعاصرين هذا لـه سلف قديم يعضده ويؤيّده، سواء أرادوا به إحياء تركيب قديم لـم يُكتَـب لـه الانتشار في زمنه، أم ألجأتهم إليه الترجمة عن بعض اللغات الأجنبيّة، فوافق أصلًا قديمًا زهد فيه القدماء.

وهذا الدليل، إلى ذلك، يقوّض فيما أرى ما ردّده بعض النقاد والباحثين من وصم هذا الاستخدام بالضعف والركاكة؛ لأنّ ذلك ينسل من ذينك الرأيين، ويشرب ممّا خالط الأذهان من أنّ هذا الأسلوب طارئ محدث مترجم ليس له تاريخ وسلف. وكلاهما يسقطان على التركيب من خارجه، ولا يصدران عن التركيب ذاته.

وإلى هذا وذاك يلوح من وراء الحكم على هذا الاستعمال بالخطأ، والدعوة إلى منعه، من حديث النفس ورأي الذات والذوق الخاصّ أكثرُ ممّا يقتضي المقامُ من العلم المحكَم المؤيَّد بالبيّنات الظاهرة والأدلّة القاطعة. على أنّ في كلام المغلّطين والمنتقدين أشياءَ لا يحسن الاطمئنان إليها، تحتاج إلى بيان وتفنيد؛ بل ربّما كان فيها ما يزكّي استخدام المعاصرين كما زُكِّي بعض مقابلاته ومكافئاته.

أ- نصّ أ. صلاح الدين الزعبلاوي على نفي تأويل هذا التعبير نفيًا أوصد الباب دون قبوله، فقال: «ويضع بعض الكتاب في هذا الموضع «بالتالي»، فيقولون: «هذا الرجل كريم، وقد كُنِّي بالتالي بأبي الندى» ولا تأويل لهذا التعبير، والصحيح استعمال «من ثَمّ» أو نحوه في هذا الموضع...».

قلت: هذا نفيٌ بني على عَجَل؛ لأنّ لهذا الأسلوب «بالتالي» تأويلًا ظاهرًا، الباء فيه ظرفيّة بمعنى «في»، والمجرور «التالي» بمعنى التابع أو اللاحق، اسم فاعل من الفعل «تلا» صفة قامت مقام الموصوف، على تقدير: في الزمن أو الوقت أو الطور أو الحال التالي. وإقامة الوصف «التالي» مقام الموصوف إذا دلّ عليه الكلام وأشعرَ به السياق سائغ. وتخريجُ الكلام على وجه جائز مقبول يُعفي من وروده عن العرب.

هذا ما بدا لي إذ نظرتُ فيه، ثمّ وجدت بعض الباحثين يرى فيه بعض

رأيي؛ ففي الفتوى (٦٧٦) الصادرة عن مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: «أما عن هذا التركيب المحْدَثِ فقد أجيزه؛ لذيوعه على الألسنة، ولكنْ بتأويل، فأقول في مثل: «فاز الفريق الكرويُّ على غيره فبالحال التالي كان تكريمُه»، ومع هذا فإن الأبلغَ والأفصحَ والأخصرَ - لَأراهُ - يكمنُ في عدمِ الرُّكونِ إلى مثلِ هذا التأويلِ أو التخريجِ في هذا السياق».

ب- تعقّب د. أحمد عبدالله المغربي هذا الأسلوب بما فيه من رائحة التتابع والعاقبة والمجازاة، فقال: «تركيب لم يستند إلى معيار يقوّيه، وإنّما فيه رائحة التتابع والعاقبة والمجازاة، وليس لكلّ أحد أن يخترع تركيبًا لا يسنده قياس ولا سماع ولا معيار من المعايير المذكورة. فالتتابع والمجازاة وضعت لهما في التعبير أساليب خاصّة كأسلوب الشرط...».

قلت: هذا قول من يحجّر واسعًا؛ لأنّ الدلالة على ذلك لا تقتصر على أسلوب الشرط ونحوه، والدلالة على التتابع والمجازاة في هذا الأسلوب مستمدّة من الدلالة المعجمية لكلمة «التالي» وما تفضي إليه في سياقها من إيحاءات سببيّة يُزكّيها التركيب.

ج- نظر مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٤٨ في هذا الأسلوب الذي يستخدمه المعاصرون في نحو: «فعل كذا، وبالتالي يستحقّ كذا»، ورأى أنّه تعبير دخيل، وإن لم يكن خاطئًا، واختار أن يُهجَر، ويُستغنَى عنه بما يدلّ على المراد، وكان ممّا رأى أن يُستعمَل مكانه: «وبالتُّلُو يستحقّ كذا».

وقول المجمع عند التأمّل ينطوي على شبهة اختلاف وتناقض؛ لأنّ الاستغناء في هذا الأسلوب بالمصدر «التُلُوّ» عن المشتقّ «التالي» يزكّي استخدام المشتقّ من حيث أراد المجمع نفيَه وهجرانه، أم أنّ لإقامة المصدر «التُّلُوّ» مقام اسم الفاعل المشتقّ «التالي» فضيلةً ومزيّة لا يدركها القارئ؟!

فإن قيل: إنّ التعبير بالمصدر في هذا الأسلوب في غنًى عمّا يقتضيه التعبيرُ فيه باسم الفاعل المشتقّ منه «التالي» بمعنى التابع واللاحق، من تقدير موصوف محذوف تقوم الصفة، وهي اسم الفاعل، مقامه قلت: لا ضير في ذلك، وهو جائز سائغ إذا دلّ عليه الكلام وأشعرَ به السياق. وعلى ذلك جرى قول البحتري:

وما تقضّت منك أُكرومةٌ في سالف الدهر ولا التالي

وقول ذي الرمّة:

تكاد أواليها تُفَرِّي جُلودَها ويكتحل التالي بمورٍ وحاصِبِ

وممّا يؤيّد القولَ بجواز أسلوب «بالتالي» في استخدام المعاصرين الاستئناسُ بما ذهب إليه بعض الباحثين والمؤسسات اللغويّة من إجازة هذا الأسلوب نصًّا أو اقتضاءً بشيء من التحفّظ أو التقييد، أو بإطلاق. فمن الأوّل رأي مجمع اللغة العربيّة في القاهرة الذي نفى الخطأ عن هذا التعبير، واختار أن يُهجَر ويُستعمَل مكانه ما يُغني عنه؛ وفتوى مجمع اللغة العربية على الشابكة بجواز هذا التركيب؛ لذيوعه على الألسنة، بشيء من تأويل، مع التنبيه على ما بدا له فيه من خلاف الأبلغ والأفصح والأخصر.

وممّن أجاز هذا التعبير متحفّظًا ومقيّدًا د. إبراهيم السامرّائي الذي رأى غضَّ الطرف عن وروده في نصّ معاصر كالقصّة والمسرحية والرواية، وإن آثر «من ثَمَّ». ولا يخفى ما في هذا الرأي من تمييز لا يثبت للنقد.

على أنّ إيثار بعض مقابلات هذا الأسلوب عليه، وهومن قبيل إيثار الفصيح وما لا خلاف فيه، لا يصل عند التحقيق إلى حدّ إنكار المفضول ومنعه، ولا ينبغي أن يصل إليه؛ لانتفاء دواعيه العلميّة المؤيّدة بالبيّنات القاطعة.

ومن إجازة ذلك على إطلاقه بلا قيد أو تحفّظ ما كان عليه (معجم الصواب اللغوي) من تصحيح هذا التعبير، مستندًا إلى رأي مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، وورود في المعجم الأساسيّ.

وخلاصة القول: جواز استخدام تعبير «بالتالي» كما يستخدمه المعاصرون بمعنى: فيما بعد، أو نتيجة لما سبق؛ بالاستئناس وتوجيه التركيب التوجيهَ المناسب. وسندُ ذلك أنّ له سلفًا قديمًا يضاهيه يجعله بمنزلة المولّد القديم، وتأويلًا ظاهرًا مقبولًا؛ وأنّ أقوال الطاعنين فيه من الباحثين والنقّاد اللغويّين التي تصدر عن غيرة لا شكّ فيها لم تُؤتَ البيّنات والأدلّة القاطعة التي تمنح الرأيَ قوة العلم، وتلقي على القلب برد اليقين؛ وما كان عليه مذهبُ بعض الباحثين والمؤسسات اللغويّة من إجازة هذا الأسلوب نصًّا أو اقتضاءً. على أنّ الأولى إيثار بعض مقابلات هذا الأسلوب عليه إيثارًا للفصيح وما لا خلاف فيه، وهولا يصل عند التحقيق إلى حدّ إنكار المفضول ومنعه.

د. عبد الناصر عساف

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال تركيب (بالتالي) لما يستخدمه له المعاصرون من التعبير عن الارتباط السببي أو علاقة الترتيب الزمني.

* * *

(٢٢٩)
بالنسبة إلى

١- المسألة:

يستعمل المعاصرون في بعض أساليبهم عبارة «بالنسبة إلى»، ويكثرون

من ذلك، فيقولون مثلًا:

- يمكننا أن نصنّفهم بالنسبة إلى هذا الموضوع إلى ثلاثة أقسام.
- بالنسبة للسكان فهم يعيشون في منطقة صحراويّة؛ بالنسبة للزوج فقد انتحر، بالنسبة إلى مقوّم المقالة فإنّه يعتبر أنّ...
- هذا بالنسبة إلى المقرّرات النظريّة، أمّا بالنسبة إلى المقرّرات العمليّة فـ....؛ أمّا بالنسبة إلى بناء الكليّة فيجب..... أمّا بالنسبة للأفكار المجرّدة فكثيرًا ما نجد الشاعر يجسّدها على شكل استعارة أو تشبيه. أمّا بالنسبة للسيّاب فقد كانت هناك حوافز معيّنة دفعته إلى التعلّق بذلك الرمز.
- بالنسبة إلى الإيفادات يمكن القول....
- هذا لا يعني شيئًا بالنسبة لنا!.

وهو ما توقّف عنده بعض الباحثين، منهم من نفى السلامة عن بعض تلك الصور وتحفّظ منه، ومنهم من رمى بعضها بأنّه ندّ عن موضعه، وعدّه من العربيّة المعاصرة. فما القول الذي ينبغي أن تطمئنّ إليه النفس في هذا الاستعمال؟ وبمَ يُفتى الناسُ؟

٢- الاقتراح:

جواز استعمال عبارة «بالنسبة إلى» في أساليب المعاصرين إذا دلّت في سياقها على معنى الإضافة إلى الشيء، أو النظر إليه، أو القياس عليه؛ وإلّا فلا. ويُستبدَل بها إذا انتفى عنها ذلك المعنى ما يُغني عنها ويقوم مقامها. وربّما كان حذف هذه العبارة بلا عوض أو بدل حيث لاحت فيها ملامح الزيادة أولى.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- في مفردات الراغب (نسب): «... وتُستعمَل النسبةُ في مقدارين

متجانِسَيْنِ بعضَ التجانُس يختصُّ كلّ واحد منهما بالآخر».

- وفي أساس البلاغة (نسب): «ومن المجاز: بين الشَّيئين مُناسبة وتناسب، ولا نِسبةَ بينهما، وبينهما نسبة قريبة».
- قال في تاج العروس (نسب): «ومن المجاز: (المناسَبةُ: المشاكَلةُ)، يقال: بين الشيئين مُناسَبة وتناسُب: أي: مُشاكَلَةٌ وتَشاكُلٌ. وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة».
- وفي لسان العرب (نسب): «نسب: النَّسَبُ: نَسَبُ القَرابات، وهو واحدُ الأنْسابِ. ابْنُ سيدَهْ: النِّسْبةُ والنُّسبة والنَّسَبُ: القَرابةُ؛..... وتقول: ليس بينهما مُناسَبة؛ أي: مُشاكَلةٌ».
- وفي المصباح (نسب): «نَسَبتُه إلى أبيه نَسَبًا من باب طلب: عزوتُه إليه، وانْتَسَبَ إليه: اعتزى، و الاسم النِّسْبَةُ بالكسر، و قد تُضم.. ثم استعمل النسب، وهو المصدر، في مطلق الوصلة بالقرابة فيقال: بينهما نَسَبٌ: أي: قرابة، وجمعه أَنْسَابٌ. ومن هنا استعير النِّسْبَةُ في المقادير؛ لأنها وصلة على وجه مخصوص فقالوا: تؤخذ الديون من التركة والزكاة من الأنواع بِنِسْبَةِ الحاصل: أي: بحسابه ومقداره، ونِسْبَةُ العشرة إلى المئة العشر: أي: مقدارها العشر. والمناسِب: القريب، وبينهما مُناسبةٌ، وهذا يناسِب هذا: أي: يقاربه شبهًا».
- وفي الكليّات (٩١٠): «النِّسبة: القرب والمشاكلة والقياس. يقال: بالنسبة إلى فلان، أي: بالقياس إليه.... والنسبة في علم الحساب: عبارة عن خروج أحد المقدارين المتجانسين من الآخر، فالخارج إما من أجزاء المنسوب إليه كثلاثة من ستة،

فإنها نصفها، أو من أضعافه كثمانية عشر من ستة، أو من أجزائه وأضعافه كخمسة عشر من ستة، فإنها ضعفها ونصفها، وكالثلث من الثلثين فإنه نصفها، وكالثلثين من الثلث فإنه ضعفه، وكخمسة أسداس من الثلث فإنها ضعفه ونصفه».

- وفي محيط المحيط (نسب): «وتستعار النسبة في المقادير؛ لأنها وصلةٌ على وجه مخصوص، فيقال: تؤخذ الديون من التركة والزكاة من الأنواع بِنِسْبَةِ الحاصل: أي: بحسابه ومقداره. ونِسْبَةُ العشرة إلى المئة العُشُر: أي: مقدارها العشر. وقولهم: بالنسبة إلى كذا، أي: بالنظر إليه، وبالقياس إليه. ج نِسَب. وفي التعريفات: النسبة إيقاع التعلُّق بين الشيئين».
- وفي المعجم الوسيط (نسب): «النسبة: الصلة أو القرابة، وفي الرياضة: نتيجة مقارنة إحدى كميتين من نوع واحد بالأخرى والمقدار المنسوب (مج). ويقال: يضاف هذا إلى هذا بنسبة كذا بمقدار كذا. يقال: بالنسبة إلى كذا: بالنظر والإضافة إليه. والنسبة المئوية: مقدار الشيء منسوبًا إلى مئة، ج. نِسب».
- وفي معجم اللغة العربيّة المعاصرة (نسب) ٣/ ٢٢٠٠: «نِسْبَة: ١- مصدر نسَبَ. ٢- مقدار «بلغت نسبةُ النجاح الثلثين». ٣- معدّل، كميّة «نسبة الوفيات/ المواليد تختلف في البلدان النامية عنها في البلدان المتقدِّمة- زادت نسبة توزيع المجلّة هذا العام». ٤- تماثل بين علاقات الأشياء أو الكميَّات «نسبة ٢ إلى٤ كنسبة ٥إلى ١٠». ٥- (جب) نتيجة مقارنة كميّتين من نوع واحد بالأخرى، بالنسبة إلى كذا: بالنَّظر إليه وإضافةً إليه

وبالقياس عليه. النِّسبة المئويَّة: (جب) مقدار الشَّيء منسوبًا إلى مئة «بلغت نسبة التنمية ٢٠».

- **في استعمال القدماء والمتأخّرين:**

- «...وجدير بأن يكون كذلك؛ لأن الصوم إنما كان له ومشرِّفًا **بالنسبة إليه**، وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت **بالنسبة إلى نفسه**». (إحياء علوم الدين (ط دار المعرفة) ١/ ٢٣١)
- «وذلك لأن الأمم عن آخرها متساوية **بالنسبة إلى** المعاني والقوافي والافتنان فيها، لا اختصاص لها بأمة دون غيرها» (القسطاس في علم العروض للزمخشري (ط مكتبة المعارف) ٢٢)
- «الفصاحة أمر إضافي كالحسن والقبح. والكلام الفصيح ليس كلامًا مخصوصًا بعينه، بل كل من فهم كلامًا وعرفه فهو فصيح **بالنسبة إليه**، ظاهر عنده، وواضح لديه». (الجامع الكبير لابن الأثير ط. المجمع العلمي العراقي ١/ ٧٧)
- «أراد بهما الكثير والقليل **بالنسبة إلى** الساحل والقليب».(المثل السائر لابن الأثير ط. دار نهضة مصر١/ ٧٣)
- «واعلم أنه قد يقع المعنى المبتدع في غير أمر غريب الوقوع وذلك يكون قليلًا **بالنسبة إلى** الوقائع الغريبة التي هي مظنة المعاني المبتدعة». (المثل السائر ٢/ ٥٤)
- «كفافًا: خبر عن الخير والشَّر معًا؛ أي: ليت خيرك وشرك **بالنسبة إليّ** لا يفضل أحدهما عن الآخر؛ لأن الكفاف هو الذي ليس فيه فضل».(أمالي ابن الحاجب ط. دار الجيل و دار عمّار ٤/ ٦٣٤).
- «فإن المولّدات وإن كانت جزئيات **بالنسبة إلى** جملة العالم

فكل واحد منها كلّيّ **بالنسبة إلى** ما تحته من الأجناس والأنواع والأصناف؛...لأن علم الغيب **بالنسبة إلينا** علم كلّيّ، وعلم الشهادة **بالنسبة إلينا** علم بالجزئيات...».(تحرير التحبير ط. لجنة إحياء التراث الإسلامي ٦٠٠-٦٠١)

- «...لأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السّبك وكَثرة المعَانِي **بالنسبة إلى** العَجز وألفاظ العَجُز غريبة **بالنسبة إلى** ألفاظ الصدر..». (تحرير التحبير ١٦٩)
- «وقوله تعالى: ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أي: ويا مطر السماء، أو يا سحاب السماء، أو يا سحاب لكونه **بالنسبة للمخاطب** عاليًا» (تحرير التحبير ٤٥٨)
- «...ويكون البسيط مختصرًا **بالنسبة لغيره**». (تحرير التحبير ٤٦٩).
- «هذا التفصيل بين اليدين والرجلين فيه نظر، فإنّ أصحابنا قالوا: اليدان ليستا بعورة في الصلاة، **أمّا بالنسبة إلى** نظر الأجنبيّ فما نعرف بينهما فرقًا، فلينظر». (وفيات الأعيان ط. دار صادر ٤/ ٢١٥)
- «ولا يضرّ اختلافُ حرف الخطاب **بالنسبة للإفراد** والجمع والتذكير والتأنيث». (صبح الأعشى ط. دار الكتب المصرية ٣/ ١٨٧).
- «**وأمَّا بالنسبة إلى** أهل الجنة فلا يتأتى منهم ما تأتَّى في أهل النَّار». (تفسير البحر المحيط ط. دار الكتب العلميّة ٥/ ٢٦٣).
- «فالتشديدُ إِمَّا للتكثير **بالنسبة للفاعلَيْن** أو للمبالغة في نفس الفعل». (البحر المحيط ١/ ١٨٧).
- «هذا التشبيه **بالنسبة إلى** كبر الأنف نوع من الغلو...». (خزانة ابن حجة ط. دار الهلال ٢/ ٣٢٧).

- «وكان قد عنَّ لي أن أورد في هذا الشرح المبارك له ولمن تقدمه ولمن تأخر عنه جملة مستكثرة مما وقع لهم من معانيهم من سلامة الاختراع **بالنسبة إلى** اطلاعي..».(خزانة ابن حجة ٢/ ٣٦٣).
- «...لذكرت من هذا الباب قدرًا وافيًا **بالنسبة إلى** ما أدى إليه اجتهادي وقلت: إني مخترعه، وبشهادة الله إني ما تطفلت **بالنسبة إلى علمي** على معنى لغيري». (خزانة ابن حجة ٢/ ٣٦٥).
- «ثم بلغني أنه وشى إلى صاحبنا الشيخ زين الدين بن أبي بكر العجمي، عين كتاب الإنشاء الشريف، أني اهتضمت جانبه وانتقصته وغضيت منه **بالنسبة إلى** الأدب....». (خزانة ابن حجة ٤٦٧).
- «..ونظيرهما «كل» فإنّه يجوز عود الضمير إليها مفردًا **بالنسبة إلى** لفظها نحو: كل القوم ضربته، وعوده جمعًا **بالنسبة إلى** معناها». (خزانة الأدب ط. مكتبة الخانجي ١/ ١٣١).
- «فإنّ الإلباس وعَدَمه إنّما يكون **بالنسبة إلى** الْمُخَاطب الذي يُلقِي المتكلّم كلامه إليه لا **بالنسبة إلى** أمثالنا فإنّه، وإن كان عندنا من قبيل الإلباس مفهومٌ واضح عند المخاطب به في ذلك العصر». (خزانة الأدب ٤/ ٣٧١). «وإنما كان هنا ذمًا **بالنسبة إلى** الطباخ...». (خزانة الأدب ٨/ ٢٣٢)
- «لأن جميع المقدورات متساويةٌ **بالنسبة إلى** قدرة الله فلا يصح في مقدور مفاضلة الهون فيه على مقدورٍ آخر». (خزانة الأدب ٨/ ٢٧٨).
- «فأَمّا المفاضلة فيما يرجع إلى الله تعالى فهي **بالنسبة إلى** عادة المخلوقين في التخاطب وعلى حسب توهمهم العادي». (خزانة الأدب ٨/ ٢٧٩)

- «ولم يصب ابن الملا في قوله: هذا إنما يتَّجه **بالنسبة إلى** نصب أطير دون أهلك». (خزانة الأدب ٨/ ٤٥٩)
- «ولا حاجة إلى قوله: ولا قد نفي بها الماضي... إلَخ **بالنسبة إلى** البيت الأول لأن (لا) إنما تؤوَّل بلم إذا دخلت على الماضي كالبيت الثاني...». (خزانة الأدب ١١/ ٢٤٧)

هذا بعضُ ما يمكن أن يستند إليه المرء من نصوص اللغويّين وأمثلة الاستعمال التي انتهت إلينا من كلام القدماء والمتأخرين للبتّ في المسألة حكمًا واستدلالًا. ولو نظرت في هذه وتلك نظرَ الفاحص المتأمّل لبدا لك أنّ هذه العبارة «بالنسبة إلى» تُستعمَل فيما تُستعمَل بمعنى النظر إلى الشيء، والإضافة إليه، والقياس عليه، وأنّ هذا الوجه من الاستعمال جائزٌ لا غبار عليه. وتعدُّد العبارة في التعبير عن دلالة هذا الاستعمال «بالنظر إلى، بالإضافة إلى، بالقياس على» لا يدلّ على اختلاف وتباين، بل هو من قبيل الترادف الدالّ على معنى واحد أو معان متقاربة. ذلك أن هذه العبارة في هذا الاستعمال تدلّ على وجه ارتباط وعلاقة بين شيئين من حيث القياس أو المقارنة أو التعلُّق، وهو ما يكون ظاهرًا جليًّا لا يخفى، أو خفيًّا دقيقًا لا تدركه أو تهتدي إليه إلّا بإعمال العقل ودقّة النظر.

على أنّ بعض العلماء والمصنّفين، ولاسيّما القدماء، كانوا يؤثرون في هذا المقام عبارة «بالإضافة إلى». ومثله من لغة الفصحاء كما يوحي بذلك قول د. مصطفى جواد: «معنى بالإضافة إلى الشيء عند فصحاء الأمّة هو بالنسبة إليه».

ومن هنا جاز للمحدَثين استعمالُ هذه العبارة «بالنسبة إلى» بهذا المعنى؛ وكان ما جرى من عبارات المحدثين على هذا الوجه من

الاستعمال جائزًا صحيحًا. فإذا بدا فيها ذلك المعنى لجلائه في الكلام بمعونة السياق أو لهداية النظر إليه كان شاهدًا على حكم الجواز والصحّة؛ وإلّا كان الاستئناس بما في كلام القدماء والمتأخّرين من نظائر وما حُرِم من تلك العبارات ذينك المؤيّدين أو أحدهما كان المناسب فيها التحفّظ، والاستغناء عن عبارة «بالنسبة إلى» فيها بما يقوم مقامها.

ومن ثمّ لم يكن من ضير أن تقول: الكتاب بالنسبة إلى موضوعه جيّد، وبالنسبة إلى منهجه ضعيف، وكان للقائل أن يقول بلا تردّد: «يمكننا، عمومًا، أن نصنّفهم بالنسبة إلى هذا الموضوع إلى ثلاثة أقسام»؛ لأنّ عبارة «بالنسبة إلى الموضوع» فيه وردت بمعنى: بالنظر إلى الموضوع، أو بالإضافة إليه؛ وكان قول من تعقّب ذلك بقوله: «ليست كلمةُ «النسبة» في موضعها، بل وضعها هذا جاء في العربيّة المعاصرة، وليس في الكلام شيء يفيد النسبة، والنسبة معروفة، وليس هذا موضعها» في غير موضعه.

وكان المناسبُ في قول من قال: «بالنسبة للسكان فهم يعيشون في منطقة صحراويّة؛ بالنسبة للزوج فقد انتحر، بالنسبة إلى مقوّم المقالة فإنّه يعتبر أنّ..» = الاستغناءَ عن «بالنسبة إلى، أو بالنسبة لـ» واقتران الكلمة باللام «بالنسبة لـ» جائزٌ قياسًا واستئناسًا = بكلمة «أمّا» الدالّة على التفصيل والتأكيد؛ كأنّها احتلّت موقعها بلا سند، والدليل اقتران الجملة التالية بالفاء الرابطة. ومن ثمّ كان المناسب أن يقال: أمّا السكان فهم يعيشون في منطقة صحراويّة؛ أمّا الزوج فقد انتحر، أمّا مقوّم المقالة فإنّه يعتبر أنّ..

وإلى هذا وذاك ينبغي أن يُحكَم على سائر الأمثلة التي وردت أوّلًا لتبيين المسألة والتمثيل لها بالصحّة والجواز استدلالًا بما ذكرت أو استئناسًا أو لهما معًا. على أنّه ربما كان حذف عبارة «بالنسبة إلى» من

بعضها بلا عوض أو بدل أَولى.

وخلاصة القول:

١- جواز استعمال عبارة «بالنسبة إلى» في أساليب المعاصرين إذا دلّت في سياقها على معنى الإضافة إلى الشيء، أو النظر إليه، أو القياس عليه.

٢- إذا خلت العبارة من ذلك المعنى استُغني عنها بما يقوم مقامها. وربّما كان حذفها بلا عوض أو بدل في بعض المواضع أَولى.

٣- جواز استعمال «بالنسبة لـ» مقترنة باللام قياسًا واستئناسًا، واقترانها بحرف الجرّ «إلى» أَولى.

٤- ينبغي زيادة ما خلت منه معاجم المحدثين من وجوه استعمال هذه العبارة، والتنبيه عليها تنبيهًا بيّنًا. فمن ذلك مثلًا التنبيه على جواز تعدية الفعل «نسب» وتصريفاته ومشتقاته باللام، ومنه عبارة «بالنسبة لـ»، وإن كان الأولى تعديتها بالحرف «إلى».

د. عبد الناصر عساف

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال عبارة «بالنسبة إلى» في أساليب المعاصرين إذا دلَّت في سياقها على معنى الإضافة إلى الشيء أو النظر إليه أو القياس عليه، وإلا فلا. ويُستبدل بها إذا انتفى عنها ذلك المعنى ما يُغني عنها ويقوم مقامها، وربما كان حذف هذه العبارة بلا عوض أو بدل حيث لاحت فيها ملامح الزيادة أَولى.

* * *

حفل استقبال
الأستاذ الدكتور يوسف بركات
عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة في (١٣ شعبان ١٤٤٣هـ-١٦/ ٣/ ٢٠٢٢م) الأستاذ الدكتور يوسف بركات عضوًا في مجمع اللغة العربية، ليشغل الكرسيَّ الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا، وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرَّقم (١١٦) في (٢٨/ ٤/ ٢٠٢٢م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور يوسف بركات في جلسة علنية عقدها (يوم الأربعاء ٢٩/ ٦/ ٢٠٢٢م) في قاعة المحاضرات في المجمع، حضرها نخبة من رجال العلم والسياسة والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفلة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع بكلمة موجَزة رحَّب فيها بالسادة الحضور، مهنِّئًا الزميلَ المجمعيَّ الجديدَ، مباركًا انضمامَه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور مكي الحسني كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، ونوّه بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور يوسف بركات، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا.

وننشر فيما يلي الكلمات التي ألقيت:

كلمة الدكتور محمود السيد رئيس المجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السادة الحضور، أيها الحفل الكريم:

أسعد الله أوقاتكم، وأحييكم أطيب تحية، وأرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بحضور هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بدمشق، لنشارك جميعًا في استقبال الأستاذ الدكتور يوسف بركات عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة يوم الأربعاء ١٣ شعبان ١٤٤٣هـ الموافق للسادس عشر من آذار عام ٢٠٢٢م الأستاذ الدكتور يوسف بركات عضوًا عاملًا في المجمع، وأصدر السيّد الرئيس بشار الأسد المرسوم الجمهوري ذا الرقم ١١٦ والتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠٢٢ باعتماد انتخابه.

نال الدكتور بركات الإجازة في الطب البشري من كلية الطب بجامعة دمشق عام ١٩٩٠، والماجستير في الكيمياء الحيوية الطبية من كلية الطب بجامعة القاهرة عام ١٩٩٥، والدكتوراه من الجامعة ذاتها عام ٢٠٠٠.

مارس التدريس الجامعي في كلية الطب بجامعة دمشق، وفي الجامعة السورية الخاصة، وجامعة القلمون الخاصة، وجامعة القصيم بالسعودية، وعمل

نائب عميد للشؤون العلمية في جامعة دمشق والجامعة السورية الخاصة، وعمل أيضًا نائب عميد للشؤون الإدارية في الجامعة السورية الخاصة.

وأبان عارفوه في الكليات التي درّس فيها أن له صدىً طيبًا في أوساط الطلبة، ومكانة مرموقة تبوأها بجديته وكفايته المتميزة في تدريسه، ذلك لأن المدرس لا يدرّس بمادته فقط، وإنما بشخصيته وتعامله مع طلبته، وما يضربه لهم من مثل أعلى وقدوة حسنة، وكان الدكتور بركات ذلك المثل الأعلى، وهذه القدوة الحسنة.

عرفته في المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، وفي ندوات واجتماعات عقدها المركز، فألفيته يتسم بالرزانة والرصانة وسداد الرأي، والتعبير عن فكره بلغة عربية سليمة تسترعي الانتباه، وطالما قدّرت أيما تقدير من يتكلم بلغة عربية تنأى عن الأخطاء، وهو غير متخصص في اللغة العربية وآدابها، ورحم الله شاعرنا العربي القائل:

النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

أيها الحفل الكريم:

إنّ الأمم الحية، كبيرها وصغيرها، اعتمدت لغتها الأم في شؤون حياتها كافة، ولم تكن للغاتها عراقة لغتنا العربية في مسيرة الحضارة البشرية، فهاهي ذي كوريا وفيتنام ورومانيا وبلغاريا وفنلندا واليونان تدرس العلوم كافة بلغتها الوطنية، وها هي ذي اليابان التي استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذرية الأمريكية = ظلت مصرّة على استعمال لغتها الأم اللغة اليابانية، فكانت لغتها منطلق نهضتها العلمية والصناعية الجديدة.

لقد أدت التجربة السورية في تعليم الطب باللغة الأم في الجامعات

السورية عبر قرن كامل إلى نجاحها، وألق خريجيها على الصعيد العالمي، وأشارت بعض البحوث التي أجريت في جامعة دمشق واليرموك بالأردن، وجامعة الكويت، وجامعة صفاقص بتونس = إلى أنّ الطالب الذي يتعلم بلغته الأم يستوعب المعلومات العلمية، ويتمثلها تمثلًا أفضل مما لو تعلمها بلغة أخرى. وطالما شكا بعض المدرسين الذين يدرّسون المواد الصحية في الجامعات التي تدرس بالأجنبية من ضعف المستوى العلمي لطلبتهم في أثناء إجاباتهم في الامتحانات باللغة الأجنبية، ومن سوء تعبيرهم بها.

وتجدر الإشارة إلى أن الدعوة إلى تدريس العلوم الصحية باللغة العربية لا تعني التخلي عن إتقان اللغة الطبية باللغة الأجنبية؛ لأن ذلك مناف لطبيعة العصر، عصر العلم والتقانة، وعصر التغيرات السريعة وسهولة الوصول إلى المعلومات في مجتمع المعرفة بطريق الشابكة ومحركات البحث.

بيدَ أنّ الجامعات العربية عندما تستخدم اللغة الأجنبية في التعليم مكان العربية، تؤدّي بذلك إلى عزل اللغة العربية عن العلم والتجديد والإبداع، فينظر إليها أبناؤها على أنها لغة جامدة ومتخلفة، ويتهمونها بالقصور، ويزداد استبعادهم عنها في مجال العلم، وهذا أقصى ما يطمح إليه أعداء الأمة في استهانة أبنائها بلغتهم، وعزوفهم عن استعمالها.

وإننا لنفتخر بما قدمته سورية إلى لغتها الأم من خدمات، فما إن تحررت من الاستبداد العثماني الذي حارب اللغة العربية، وعمل على تهميشها واستبعادها، وفرضِ اللغة التركية مكانها حتى أعادت للغتها العربية مكانتها، ودرّست الطب والحقوق بها في العقد الثاني من القرن الماضي، وأنشأت المجمع العلمي العربي الذي يعد أبا المجامع اللغوية كلها في الوطن العربي عام ١٩١٩، ثم راحت تدرّس جميع مواد المعرفة في الجامعة السورية بها،

واستمرت على هذا النحو إبان الاستعمار الفرنسي الذي ابتليت به.

وبعد أن حصلت على استقلالها تبوأت العربية المنزلة الجديرة بها في مختلف مناحي الحياة، وأصدرت قانونًا لحمايتها في خمسينيات القرن الماضي، وصارت مضرب المثل في حفاظها على اللغة العربية، وتدريس جميع مواد المعرفة بها. فإذا ذُكِرَتِ اللغة العربية الفصيحة في التدريس الجامعي ذُكِرَتْ سورية، وإذا ذُكِرَ نجاح التعريب ذُكِرَتْ سورية على أنها مثال وقدوة في ميدانه، وإذا ذكرت عناية الحكام باللغة العربية ذكر باني سورية الحديثة الرئيس القائد الراحل حافظ الأسد رحمه الله في إصداره المرسوم القاضي بتعليم اللغة العربية لغير المختصين في الكليات والمعاهد، وذكر الرئيس الدكتور بشار الأسد في إصداره المرسوم القاضي بتشكيل لجنة التمكين للغة العربية عام ٢٠٠٧، وقانون مجمع اللغة العربية عام ٢٠٠٨ المعمول به حاليًا، وفي تقديمه مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد في دمشق عام ٢٠٠٨، واعتمده المؤتمر، وقدّم الشكر إلى الجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع. ثمّ دعوة سيادته إلى إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان العربية إغناءً لها.

أيها الحفل الكريم:

لعلَّ من أهم مقومات نجاح تدريس العلوم الطبية باللغة الأم القيامَ بحركة ترجمة مستمرة لأمهات الكتب الأجنبية العلمية المعاصرة التي تتجدد طبعاتها باستمرار إلى اللغة العربية. وهذا ما أسهم به الأستاذ الدكتور يوسف بركات الذي ألف وترجم كتبًا عدة من اللغة الإنجليزية إلى لغته العربية في ميدان تخصصه لمصلحة المركز العربي للتعريب والترجمة

والتـأليف والنشـر بدمشـق، ولمصـلحة مؤسسـة الكويـت للتقـدم العلمـي بالكويت، والمكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية فـي القـاهرة، ومركـز تعريب العلوم الصحية بالكويت، ولمصلحة جامعتي الملك سعود والقصيم بالسعودية. وترجم مقالات عدة من مجلة العلوم الأمريكية لمصـلحة مجلـة العلوم العربية بمؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

ويتبين من خلال ذلك كله أن للدكتور بركات نتاجًا علميًـا فـي التـأليف والترجمة، وإنجاز البحوث والمقالات إلى جانب إشرافه على رسائل علمية في الماجستير والدكتوراه.

وسيتحدث الزميل الكريم أمين المجمع الأستاذ الـدكتور محمـد مكـي الحسـني عـن سـيرة العضـو الجديـد الأسـتاذ الـدكتور يوسـف بركـات، وإنجازاته بالتفصيل، ثمّ سيقوم الأستاذ الدكتور يوسـف بتقـديم سـيرة وافيـة عن سلفه، عضو المجمع الراحـل الأسـتاذ الـدكتور زهيـر البابـا رحمـه الله، وكانت له إسهاماته في تأليف كتب فـي ميـداني الطـب والصـيدلة، وتحقيـق بعضها الآخر.

ويسعد مجمع اللغة العربية بدمشق أن ينضم إلى أعضـائه الأسـتاذ الـدكتور يوسف بركات المولع بالعلم والشغوف به، والغزيـر بإنتاجـه فـي مجـال العلـوم الصحية تأليفًا وترجمة وتدريسًا؛ إذ إنه أغنى المكتبـة العربيـة فـي ميـدان العلـوم الصحية بترجمات نوعية، وبلغة سليمة، وأسلوب علمي، وواضح.

* * *

كلمة الدكتور مكي الحسني أمين المجمع

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله

السلام عليكم ورحمة الله

السيد الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيسَ المجمع

السادةُ الزملاء الكرام أعضاءَ المجمع

أيها الحفل الكريم:

يسرني أن أرحب بالزميل الجديد الدكتور يوسُف أحمد بركات، وأن أُعرّفكم به. فهو من مواليد عام ١٩٦٦.

- حصل عام ١٩٩٠ على إجازة دكتور في الطب البشري من كلية الطب في جامعة دمشق.
- وحصل عام ٢٠٠٠ على دكتوراه في الكيمياء الحيوية الطبية من كلية الطب في جامعة القاهرة.
- وحصل عام ٢٠١٠ على جائزة خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز العالمية للترجمة، عن ترجمة كتاب «مبادئ تغذية الإنسان».
- كما حصل عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٠ على جائزة أفضل عضو هيئة تدريسية من جامعة القلمون الخاصة.
- وشغل في المدة من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٧ منصب نائب عميد كلية الطب للشؤون العلمية في جامعة دمشق.

- وشغل في المدة من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٤ المنصب المذكور نفسه في الجامعة السورية الخاصة بدمشق.
- كما شغل قبل ذلك مناصب علمية وإدارية في جامعات أخرى.
- وكان في المدة من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٧ المنسق العام للجنة المناهج التي وضعت:
  - الخطة الجديدة القائمة على تكامل التعليم الطبي لتنفيذها في كليات الطب الحكومية في الجمهورية العربية السورية.
  - خطة الدراسات العليا التخصصية في كليات الطب الحكومية في الجمهورية العربية السورية.
  - النظام الجديد لشهادة الدكتوراه في كلية الطب بجامعة دمشق.
- وقام من عام ٢٠٠٠ حتى الآن بتدريس مقررات الكيمياء الحيوية الطبية، والكيمياء السريرية، والبيولوجيا الجزيئية، والهندسة الوراثية والطب الجزئي لطلاب كلية الطب البشري والدراسات العليا باللغتين العربية والإنكليزية، وذلك في:
  - كلية الطب بجامعة دمشق.
  - وكلية الطب بجامعة القلمون الخاصة والجامعة السورية الخاصة.
  - و كلية الطب بجامعة القصيم في السعودية.
- وأشرف في المدة من ٢٠٠٧ إلى ٢٠٢٢ على رسائل الماجستير (٥ رسائل)، والدكتوراه (٦ رسائل حاليًا) في كلية الطب بجامعة دمشق.
- وشارك في كثير من ورشات العمل المتعلقة بالتعليم الطبي، والمؤتمرات في الجامعات السورية والسعودية وتريستا بإيطاليا.
- وألّف كتبًا لمركز تعريب العلوم الصحية في الكويت، ولمركز

التعريب والترجمة والتأليف والنشر، التابع للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (ألكسو).

- وترجم عدة كتب لمركز التعريب المذكور آنفًا، ولمؤسسة الكويت للتقدم العلمي ولجامعة الملك سعود في الرياض، وللمكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في القاهرة، ولمركز تعريب العلوم الصحية في الكويت، ولجامعة القصيم في السعودية.
- وترجم إحدى عشرة مقالة من مجلة العلوم الأمريكية Scientific American لمجلة العلوم التي كانت تصدرها مؤسسة التقدم العلمي في الكويت.
- ونشر مقالات وأبحاثًا أصيلة بالعربية والإنكليزية في:
  - مجلة المجلس العربي للاختصاصات الطبية.
  - المجلة العربية للعلوم الصحية.
  - مجلة جامعة دمشق للعلوم الصحية.
  - المجلة الطبية السعودية.
  - مجلة عربيات- الكويت، وغيرها.

وكما ذكرت يشرف الدكتور يوسف أحمد بركات الآن على رسالتي ماجستير في قيد الإنجاز، وعلى ثلاث رسائل دكتوراه في قيد الإنجاز.

ولا شك أن النشاط العلمي الجمَّ لهذا الزميل المجمعي الجديد يسترعي الانتباه، ويسرني أن أرحب به ثانية، متمنيًا له موفور الصحة ودوام التوفيق.

أشكر لكم حُسْن استماعكم والسلام عليكم.

* * *

كلمة الدكتور يوسف بركات في حفل استقباله

الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع

أعضاء المجمع الموقرون

السادة الحضور:

اسمحوا لي بدايةً أن أشكر الدكتور مكي الحَسَني على ما ذكرني به مما آمُلُ أن أكون أهلًا له، وأن أتقدم إليكم بوافر الشكر والتقدير لحضوركم ومشاركتنا هذا اللقاء الذي أعتبره من أهم محطات حياتي؛ فطَوال سني عملي وأنا أبحث من قلب العتمة عن ومضة نور، ومن خضم المعارك عن منبر لعمل يسهم في البناء، ومن فوق تلال الخيبة عن مسارٍ يُصوّب لي حافز العمل. وحين شرَّفني أعضاء المجمع بانتخابي لمشاركتهم هذا المنبرَ العريقَ، منحوني ومضةَ النور لأتابع المسارَ، وليعود الأمل بالعمل من جديد. فوجب عليّ أن أشكر من الأعماق رئيسَ المجمع، صاحبَ الخبرة والتاريخ والعلم، الأستاذ الدكتور محمود السيد، وأن أتقدم بجزيل الشكر والاحترام والتقدير لأعضاء المجمع واحدًا واحدًا على ما منحوني إياه من ثقة آمُلُ أنْ أكون أهلًا لها.

ولن أنسى هنا ذكرَ فضلِ والدي، رحمه الله، الذي قادته فلسفته الحياتية البسيطة، والعميقة في الآن ذاته، إلى الإيمان بمسار العلم مَخرجًا وحافظًا للكرامة والمستقبل، فَبَنَى بداخلي اللبنة الأولى لحب اللغة العربية والتمكن

منها حين أصرَّ على تعليمي قراءة القرآن وحفظه في منزلنا البسيط قبل سنّ دخول المدرسة. فأرجو أن أكون قد وصلت إلى بعض ما كان يتمناه.

ولأنّ النهرَ لا يستديم إلا بينابيعه وروافده، لن أنسى فضل أخي الدكتور وائل بركات، الأستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، فقد كان سندًا دائمًا، وساهم بإرشاداته ومناقشاته ومكتبته الغنية في ولوجي عالمَ الأدبِ واللغةِ والفلسفةِ، أطال الله في عمره وأدام عطاءَه.

أيها السادة:

بالرغم مما نمر به من خيبات وخسائر في هذا البلد الحبيب، كنت أرى في امتزاج الدموع وبريق الأمل بالحياة في عيون السوريين وعدًا بغدٍ أفضل. كيف لا، وهم أبناء سورية التي أعطت شعوبُها عبر التاريخ العالم ما أعطت من لغة وحضارة وتجارة وزراعة واقتصاد وأديان، وهم أبناء سورية التي عصفت بها كل صنوف النوائب فلم تمت، بل كان شعبها يعود بعد كل نائبة ليتابع نهجها الحضاري الإنساني، بصرف النظر عن مسارات الحرب والسياسة وغاياتها ونهاياتها؟.

ما أتحدث عنه أيها السادة هو تلك الروح التي تسكن كلَّ سوري حفظ عهدَه بأن تكون سوريته نموذجًا يجمع تاريخ حضارته ومستقبل عروبته. ولا يخفى عليكم أن وعاء الحضارة وحاضن المستقبل لأية أمة يتمثلان بالضرورة في لغتها. ولغتنا العربية، وهي من أقدم اللغات، صانت نفسها تاريخيًا، لكننا قصرنا في تطويرها في الزمن المعاصر. فقد أظهرت مقدرتها على استيعاب علوم العصر ومستجداته عندما كان بعضنا مستعدًا لبذل الوقت والجهد الكافيين من أجل خدمتها. إنها بالقدر الكافي من المرونة والمطواعية والتعددية وقابلية الاشتقاق لتساعد الباحث منا على نقل العلوم

والمعارف التي تكفل تطور الأمة لتحقق إسهامها في البناء الحضاري، ولتضع نفسها في موقع يضمن لها القوة.

والقوة أيها السادة، بمعانيها كلها، من قوة الرغبة بالحياة والمواطنة، إلى قوة القانون والأمة والدولة، إلى قوة الرغبة في البقاء على خارطة الحضارة البشرية، هي التي تحفظ اللغة والحضارة وتصونها، ومن هنا يأتي دور كل منا، أفرادًا ومؤسسات، في تقديم ما يطور وعاءنا الحضاري ويحميه من الاضمحلال الذي تهدف إليه أشكال الصراعات المختلفة التي تدور على أرضنا الحبيبة. ولم تكن لغتنا، وبالتالي وحدتنا وأرضنا، يومًا مهددةً أكثر مما هي عليه الآن مع اختلاف أصناف الاستهداف والصراعات وطرائقها بدءًا من الاحتلالات العسكرية وانتهاءً بالإخلال بطبيعة الحياة اليومية ومساراتها واهتماماتها. وأسوق هنا مثالين اثنين على أخطار أحدقت وتحدق بلغتنا في العصر الحديث:

- المثال الأول هو تأثّر اللغة العربية سلبًا بما فرضته أشكال الاستعمار العسكري منذ الاحتلال العثماني حتى خروج آخر جندي فرنسي من بلادنا، ولن أطيل في هذا، فالكل يعلمه ويعيشه، ولقد أشبعه علماء اللغة دراسة. ولكني سأشير هنا بخصوصية إلى موضوع استخدام لغات أخرى وتعزيز اللهجات المحلية والمناطقية. وقد استُغِلَّ هذا الموضوع ليؤدي دورًا سلبيًا في التشتيت والتفريق ظهرت آثاره بوضوح خلال أزمة سورية الراهنة التي استهدفت فيها قوى الشر والعدوان أرضها وشعبها وقيمها وأخلاقياتها، وأرادت تمزيق صفوف المجتمع وإفقاده أهم عناصر القوة الضرورية لاستدامة انسجامه، ألا وهي وحدة اللغة.
- والمثال الثاني – أيها السادة – يوضحه التهافت على استخدام

وسائل التواصل الاجتماعي في عصر السرعة الحالي للعالم الافتراضي، وهو ما أنتج الكثير من السلبيات كانت إحداها تعويمَ «لهجةٍ» (إنْ صَحَّ القول) مختلطةٍ جديدةٍ تجمع جمعًا هجينًا بين اللهجات المحلية والأرقام والحروف الأجنبية، وهي تنتشر بين مستخدمي وسائل التواصل هذه، ولاسيما الشباب، بسرعة فظيعة لا تهدد اللغة الفصحى فحسب، بل تهدد اللهجات أيضًا. ولأنّ الكثرةَ تغلب الشجاعة والعادةَ تغلب المنطق، إنَّ الجهود الفردية، مهما تعاظمت، لن تفيدنا في كبح هذا التهديد، وهو من التحديات المتعدّدة للغة العربية؛ وللأسف، الجهود الجماعية، رغم وفرتها، لا تصل إلى ساحة المعركة الرئيسة بالنحو الوافي لتطرح نفسها، وتطرح اللغة العربية السليمة خيارًا بديلًا مناهضًا للخيار اليسير المتاح والمنتشر بسرعة البرق.

ولهذا، مرة أخرى، نحن بحاجة إلى قوة من نوع ما تساعد المُخلِصين على ولوج هذه الساحة «المعركة»، قوةٍ مثلِ قوة القانون التي آمُلُ أنْ نسعى جميعًا لدى ذوي الشأن للوصول إليها، ومن أدوات ذلك على سبيل المثال ربط تعليم اللغة العربية والكتب المدرسية والمرجعية لمراحل التعليم بالمؤسسات اللغوية، وعلى رأسها المجمع؛ وفرض إلقاء المحاضرات وحواراتها في المدارس والجامعات باللغة الفصحى؛ وزيادة المحتوى الرقمي المكتوب باللغة العربية الفصحى على الشابكة، وغزو وسائل التواصل بأكبر كمية من المعلومات المفيدة والمهمة للناس، على أن تكون مكتوبةً باللغة الفصحى المبسطة.

ويأتي في هذا السياق أيضًا العمل على تغيير نموذج الامتحان الجامعي المؤتمت الذي نعترف أن الضرورة قد فرضته، ولكنه قادَ تدريجيًا إلى إلغاء

مهارتَي القراءة والتعبير اللغوي عند معظم طلبة الجامعات. وإنْ لم نستطع إلغاء هذا النمط الامتحاني المستورد لظروف موضوعية، فليكن مختلطًا، ليحافظ، ولو جزئيًا، على قدرة الطالب على التعبير اللغوي. وأكاد أبتسم هنا إذ أتذكر أنّ نمط امتحان مقرري اللغة العربية والثقافة في الكليات الطبية بدمشق، مجال تخصصي، هو الأتمتة، وهما المقرران اللذان أفترض أنهما يُعدَّان فرصة لتعلّم اللغة العربية وأساليب التعبير، ولا أقول الفصاحة. ومن أين ستأتي خبرة الفصاحة، وقد اختصرت الامتحاناتُ اللغةَ في خمسة حروف أجنبية؟.

السادة الأفاضل:

لقد كان لي شرف المشاركة في المؤتمر السنوي التاسع لمجمع اللغة العربية في العام ٢٠١٠ بعنوان «الكتابة العلمية باللغة العربية» بالمساهمة في إعداد بحث حول «مشكلات الكتابة العلمية باللغة العربية» عرضه أستاذي الدكتور زيد العساف، المدير السابق للمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، الذي لن تفي كلمات الشكر ما قدمه من جهود وما أتاحه لي من فرصٍ أسهمت في ترشيحي للمجمع الموقر.

لقد قدمنا في ذاك البحث خلاصةَ ما واجهناه من صعوبات في الترجمة وتعريب العلوم خلال سني عملنا المشترك الذي امتد أكثر من ١٠ سنوات وهَدَفَ إلى تقديم محتوًى علميٍّ في مجال التخصصات العلمية والتعليمية الحديثة يُغني المكتبة العربية بما ينفع من هذه العلوم، ويفيد طلاب الجامعات العربية وأساتذتها ممن يتعلمون ويعلّمون بلغتهم العربية الأم. وإذ أتذكر تلك المشكلات والصعوبات التي عُرضت في العام ٢٠١٠ أكاد أجزم بأنها لا تزال قائمة في معظمها حتى الآن، إمّا لعدم تنسيق الجهود المبذولة، وإمّا لأنها مشاكل جذرية متأصلة يحتاج التغلب عليها لجهود

جبارة، وإمّا بسبب الأزمة الراهنة التي يعيشها الوطن كلُّه، والتي أقل ما يُقال عنها: إنها أزمة هوية وإعادة تشكيلٍ للمفاهيم والقيم.

إننا – أيها السادة – نواجه حملةً شنيعةً من محاولات التغريب وطمس اللغة والهوية العربيتين في ثنايا عولمة قادمة كإعصار بابل. وبابل هذه حكايةٌ بحد ذاتها.... فالكلمة تشير إلى القصَّة التي ترد في الكتاب المقدَّس وتتعلَّق بتفريق الألسنة عقابًا لبني البشر؛ لأنهم قصدوا من برجِ بابلَ «بلوغ رأسه السماء والوصول إلى الجنة» كما يقول الإصحاح الحادي عشر من سفْر التكوين. وقد دخلتْ هذه القصَّة إلى التراث العربي الإسلامي، فوجدتْ طريقها إلى معجم لسان العرب على النحو الآتي: «البلبلة: تفريقُ الآراء. وتبلبلت الألسن: اختلطت ... وقيل: وسُمِّيَت بابلُ [بهذا الاسم] لأنّ الله تعالى حين أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحًا، فحشرهم من كلِّ أفقٍ في بابلَ، فبلبل الله بها ألسنتهم، ثمَّ فرَّقَتْهم تلك الريحُ في البلاد». والمدلول المباشر لهذه القصَّة هو أن التجانس اللغويَّ الأصليَّ تحوَّل إلى تباين، وأنَّ هذا التباين اللغويَّ هو الصيغة المبسَّطة للتباين الثقافيّ.

وفي القرآن الكريم قصةٌ مقابلةٌ لا علاقة لها ببابلَ أو بُرجها، بل تفترض وجود الاختلاف أصلًا. وردت هذه القصة في الآية الكريمة الثالثةَ عشرةَ من سورة الحُجُرات التي تقول: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾. إذًا التباين الثقافي موجود، وهناك هدف جوهري هو التعارف، تعارف الأمم ربما. وتعارفُ الأمم لا يتمُّ إلا من خلال تبادل المعارف، وهو هدفُ الترجمة الأسمى.

ورغم معرفة الجميع بأهمية ترجمة العلوم وتعريبها، لم يذكر التاريخ، للأسف، أمةً يعارضُ أفرادٌ منها بذل الجهود لإغناء لغتها بالمعارف العلمية كما تشهده الأمة العربية اليوم وسط تزايد نفوذ تيارين يعرقلان تطور اللغة:

التيارُ المحافظ الذي لا يرى سوى القديم والعودة إليه، والتيار المتفرنج الذي يعلن عجز اللغة عن الاستيعاب، وكلاهما يؤخر عملية تطور اللغة واكتسابَ المعارف الحديثة. وينادي معظم المهتمين بالعلوم التطبيقية على امتداد الوطن العربي بفَرْنجة التعليم والكتابة العلمية بحجة أن اللغة العربية لا تستطيع الاستيعاب من جهة، وأن المعارف كلها تنشأ هناك في العالم «الحلْم»، وأنّ سرعة تطور العلوم أكبر من أن تستوعبها أية جهود فردية أو جماعية، وأنّ عملية تعريب العلوم تحتاج إلى سندٍ مادّيٍّ غير متوافر. ولن أكون ساذجًا لأرفض هذه الأسباب جملةً وتفصيلًا، فالواقع الحالي يقدم لها حججًا أكبر مما يحلُم به أي عدوٍّ للغة العربية، وخصوصًا أننا لا نزال عمومًا مستهلكين للمعرفة، نتلقى العلوم ونستوردها، ولا ننتج إلا النزر اليسير منها.

تؤدّي ترجمة المعارف في النهاية – أيها السادة – إلى توطينها باللغة العربية، فيصبح ممكنًا التفكيرُ بهذه اللغة دون سواها بقصد التوسُّع في المعرفة، وبذلك يمكن خدمة اللغة وتوسيعها من الداخل لا عبر الاستيراد من اللغات الأخرى. ورغم الكثير من المؤتمرات والندوات والمقالات حول أهمية تعريب العلوم وتعليمها باللغة العربية، لا نزال في موضعنا، نعيد مناقشة المشكلات ذاتها، ونطرح التوصيات ذاتها، ونوحي دومًا بما يشبه الإقرار بعجزنا. ولا أدل على هذا العجز من نظرة نلقيها على واقع الترجمة الرديء في الوطن العربي، مع ما لا يمكن إنكاره من أهميتها في توطين العلوم والمعارف ودمجها لتصبح جزءًا صميميًّا من ثقافتنا العامة والجمعية والخاصة، فتؤهلنا لأن ننطلق في ركب الحضارة فاعلين مؤثرين، لا مستهلكين تابعين. ويمكن الإشارة هنا إلى إحصاءات وضعتها منظَّمة اليونسكو عن وضع الترجمة في العالم حتى عام ٢٠١٩:

- أوَّل خمسين مؤلِّفًا تُرجمت أعمالُهم إلى لغاتٍ أخرى: ليس من بينهم أيُّ عربي.
- في أوَّل خمسين بلدًا من حيث عددُ الترجمات عن لغات أخرى: جاءت مصرُ في الترتيب الثامن والأربعين (وللمقارنة: تحتلُّ بولندا الترتيب السابع، وهنغاريا الترتيب الثالثَ عشر، وتركيا الترتيب السابع والثلاثين، وإيران الترتيب التاسع والثلاثين).
- في أول خمسين لغة تجري الترجمة إليها: احتلت اللغة العربية الترتيب التاسع والعشرين بعد لغات كالصربية والإستونية والليتوانية.
- في أول خمسين لغةً تجري الترجمة منها: تحتلّ اللغة العربية الترتيب السابع عشر، (وللمقارنة: تسبِقُها اللغة التشيكية التي تحتلّ الترتيب الثالث عشر، والنرويجية التي تحتلّ الترتيب الخامس عشر).

وقد يتَّضح موقعنا من الترجمة إذا علمنا أن عدد العناوين التي ترجمها الألمان إلى لغتهم تجاوز ثلاثمئة ألف، في حين لم يصل عدد العناوين المترجمة إلى العربية إلى أربعة عشر ألفًا، علمًا بأن الناطقين بالعربية يزيدون على أربعة أضعاف الناطقين بالألمانية.

إننا نحتاج - أيها السادة - إلى خطة مُستدامة، ربما تحتاج إلى عقود، تجد السند القانوني والمادي، وتنتظم فيها جهود المؤسسات والهيئات المعنية والأفراد المخلصين متناسقة لتنقل علوم الأمم الأخرى ومعارفها بطريقة تضمن اندماجها في الثقافة العامة العربية دون أن تكون حكرًا على النخبة، فتصبح جزءًا من التفكير العربي الجمعي، لننطلق بعدها نحو مكانة مميزة تليق بنا، وإلا فإننا ستجتاحنا الآثار السيئة للعولمة.

وهذا الكلام ليس محض خيال، فقد عشت شخصيًا تجربةً مميزة في هذا السياق كنت فيها على رأس فريق من المترجمين تعاونَ مع المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق والمكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في الشرق الأوسط بالقاهرة، وكانت الغاية من هذا التعاون إصدارَ النسخة العربية الشهرية من أهم مجلات منظمة الصحة العالمية بالتزامن التام مع النسخة الإنجليزية. واستمر هذا المشروع أربع سنوات بدءًا من العام ٢٠٠٩، قدمنا خلاله باللغة العربية أحدث الأبحاث الصحية العالمية وقت صدورها باللغات الأخرى مباشرة، بمنتهى الموضوعية والمنهجية والموثوقية. كان هذا المشروع فرصةً كبيرةً سمحت لأفراد المجتمع، لا لبعض الأطباء والعاملين الصحيين ممن يجيدون الإنجليزية فقط، بالاطلاع على موضوعات تهم المجتمع بأسره بقدر ما تخص كل فرد فيه، فتمكنه من الإسهام في المسؤولية المشتركة بالمحافظة على الصحة، اتساقًا مع النظرة الشمولية للصحة العمومية التي تربط بين الصحة والجوانب السلوكية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية. ولو استمرت هذه الترجمة لكانت فرصة كبيرة لتوطين واحدٍ من أهم العلوم الطبية في وطننا العربي واحتواء مضامينه وقيمه في الثقافة اللغوية والجمعية للمجتمع العربي. لكن، للأسف، دون سابق إنذار أو تبرير، أبلغتنا منظمة الصحة العالمية بقرار إيقاف المشروع الذي لم نجد له مبررًا إلا تحويل الأموال، كما أعتقد شخصيًا، فقد تحولت الأموال، برأيي، إلى هدف «ليس بريئًا» نرى كلُّنا الآن آثاره الفظيعة على امتداد وطننا العربي الذي أعتقد أنه مهدد في كينونته ووجوده، ولعل اللغة، وهي الوعاء الحضاري والفكري، هي أول أهداف هذا التهديد. ويتضح من هذا النموذج أهمية القوة التي سبق أن

تحدثتُ عنها، وتتمثل هنا بالعمل الجماعي وتبني الجهات العليا والدعم المادي؛ وهذا ما يجب أن نسعى إليه جميعًا.

كل ما قصدته من عرضي السابق هذا هو التنبّهُ إلى أهمية تعريب العلوم لتصبح جزءًا من التفكير الجمعي لا مجرد نقل للمعلومات والمصطلحات، والإشارةُ إلى أهمية تجاوز العقبات وحل المشكلات التي تعوق الوصول إلى هذه الغاية من خلال التمسك بالحلْم المنشود وبالعمل على توفير مستلزمات القوة القانونية والمؤسساتية والمادية والفردية والجماعية. وكل ما أتمناه على أعتاب هذه المرحلة الجديدة من حياتي هو أن أكون قادرًا، من موقعي في هذا المجمع الكريم، وبصفتي طبيبًا وأستاذًا جامعيًا، على الوفاء لمن اختارني ولسوريتي التي أسلفت توضيحها وللغتي؛ وسأبذل كلَّ ما أستطيعه لأكون جديرًا بهذا الموقع، فأسير على خُطى سلفي الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا رحمه الله، داعيًا الله أن يمكنني من متابعة المسيرة المثمرة الطيبة التي سبقني إليها، وأن أحقق ولو جزءًا يسيرًا مما استطاع تحقيقه.

لقد قضى الدكتور محمد زهير البابا جُلَّ حياته ينهل من العلم ويخدمه حتى صار منهلًا له، وخدم اللغة العربية حتى ترك أثرًا لا يخفى على كل مهتم بعلومها، وتنقّل في أسفاره من مكان إلى آخر باحثًا عن أصولٍ عربيةٍ وعلميةٍ حوّلها إلى علومٍ مُتاحةٍ للجميع بلغته الأم، وقبل كل هذا تمسك بالمثل والقيم، فكان مثالًا للدارس والباحث والمعلم في جامعته، وللأب في عائلته، وللصديق في مجتمعه. وأقتبس هنا بعضًا من وصف الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع للمرحوم البابا وحياته، فقد قال فيه: «لقد كانَ علَمًا من أعلام الفكر والثقافة في وطننا، علمًا إذا ما ذُكِرَ فتمثَّل الذكرى على منصةٍ من المناقب الرفيعة والأخلاق الفاضلة السامية والعلم

الأصيل. لقد كانت حياتُه حافلةً بالعطاء على مختلف المستويات، تدريسًا وإدارةً وبحثًا وترجمةً وتأليفًا وتحقيقًا، وكان يعمل بصمتٍ في منأى عن التبجح والظهور، وتلك لعمري هي سمةُ العلماء الأفذاذ، فكان شَموخًا في تواضعه ومثالًا للعالم المتواضع والباحث المدقق، يزيّن ذلك كلَّه عفةُ اللسان وصفاءُ السريرة وسموُّ الأخلاق وصلابةُ الانتماء».

أيها الحفل الكريم:

شهدت دمشق ولادة الدكتور زهير البابا ووفاته رحمه الله، وبينهما عاش مسيرةً امتدت نحو تسعين سنة، بدأ محطتها الأولى في سن السادسة بتعلّم القرآن الكريم، سندِ اللغة العربية ومصدرِ قوتها والتمكّنِ منها. ثم احتضنته مدارس دمشق المتميزة ليتدرّج ويتميز فيها حتى حصل على شهادة التعليم الثانوي من مدرسة التجهيز. وفي عام ١٩٤٥ نال المرحوم الإجازة في علوم الصيدلة والكيمياء من المعهد الطبي العربي بدمشق. ثم أُوفِد إلى جامعة بروكسل في بلجيكا للحصول على شهادة الدكتوراه في اختصاص علم العقاقير والنباتات الطبية، وحصل عليها بدرجة جيد جدًا، ليعود إلى دمشق حيث كان تعيينه مدرسًا في كلية الطب قسم الصيدلة، وكُلف تدريسَ مقرر علم العقاقير الذي أنشئ حديثًا في ذلك القسم، ثم تدرج بعد ذلك في الهيئة التدريسية حتى أصبح أستاذًا ذا كرسي في عام ١٩٦٢، وهو العام نفسه الذي استقلت فيه كلية الصيدلة عن كلية الطب، فكان وكيلًا لها ورئيسًا لقسم العقاقير فيها.

وفي عام ١٩٦٣ أُعير الدكتور البابا إلى جامعة الملك سعود في الرياض، وعين فيها رئيسًا لقسم العقاقير وعضوًا في مجلسَي كلية الصيدلة والجامعة. وكان الأستاذ الوحيد الذي أُجِيز له أن يلقي محاضراته باللغة العربية في الكلية.

وفي العام ١٩٧٠ صدر كتاب بتعيينه عميدًا لكلية الصيدلة، وتابع

تدريس علم العقاقير، كما كُلِّفَ لاحقًا تدريسَ مقرر «تاريخ الصيدلة وتشريعها وآدابها». وفضلًا عن ذلك قام بالتدريس في معهد التراث العلمي العربي الملحق بجامعة حلب. وسُمّي في العام ١٩٨٢ عضوًا في اللجنة الوطنية السورية للاتحاد الدولي لتاريخ العلوم.

وفي العام ١٩٨٨ كان انتخاب الدكتور البابا ليكون عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية، وبقي حتى انتقل إلى رحمته تعالى في عام ٢٠١١ تاركًا خلفه سيرةً مفعمةً بالعطاء والعلم والمحبة والإنسانية. وأستشهد هنا بوصف الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع السابق للدكتور زهير البابا رحمهما الله إذ قال: «لقد تميز فقيدنا بإصراره على الإفادة من التراث العلمي العربي مؤكدًا أن علينا إبراز ما هو معروف من هذا التراث ليبقى، إذ إنَّ ما تضيفه دراساتنا إليه ينير الماضي، ويكشف نواحي مغمورة فيه، يستفاد منها في مسارنا نحو تعرف الحقيقة، أو نحو تسهيل الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه منها. ولقد كانت منطلقات الدكتور البابا في هذا المسلك تؤكد قناعتنا بأن لغتنا العربية لغة حية، لم ينقطع اتصالها بجذورها، ولزام علينا الحث على ربط ماضيها بحاضرها، وأننا ما دمنا في مواجهة حاضر تتدفق فيه الكشوف العلمية، فنحن بحاجة إلى سبر أغوار تراثنا لإبراز ما فيه من فكر وخلْق وإبداع، لعلنا نستفيد من خبرات أسلافنا حين واجهوا عولمة غامرة، تمكنوا أن يدخلوها إلى اللغة العربية الصامدة على قواعدها، المفتوحة على كل جديد، مستفيدين من طواعيتها ودقة مقاييسها».

لقد شارك المرحوم البابا في الكثير من اللجان والهيئات العلمية مشاركة تعكس مكانته العلمية الكبيرة، فقد كان عضوًا في الجمعية الفرنسية لتاريخ الطب ولجنة تعريب المصطلحات العلمية وهيئة الموسوعة العربية ولجنة مراقبة

الأدوية ولجنة اختبار المرشحين لنيل جائزة الكويت للتقدم العلمي ولجنة النشر العلمي في المجلس الأعلى للعلوم، وكان من مؤسسي معهد التراث العلمي العربي ومعمل الخميرة (الذي كان الأول من نوعه في سورية آنذاك). ونال العديد من الجوائز، فقد منحه المؤتمرُ الرابعَ عشرَ لاتحاد الصيادلة في مدينة القاهرة عام ١٩٧٤ الوسام الذهبي تقديرًا لجهوده في النواحي المهنية والتنظيمية المتعلقة بأمور الصيدلة والصيادلة؛ وحصل على جائزة الكويت للتقدم العلمي في مجال الكيمياء والصيدلة عند العرب في العام ١٩٨٦.

وأما عضويته في مجمع اللغة العربية فقد كانت مكللةً بالأعمال العلمية المتنوعة فقد كان عضوًا في عدة لجان مجمعية أسهم فيها إسهامًا فعّالًا ومنها، على سبيل المثال لا الحصر، لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية، ولجنة المخطوطات وإحياء التراث، ولجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية، ولجنة المعجمات اللغوية، ولجنة مصطلحات الأحياء الحيوانية، ولجنة مصطلحات الأحياء النباتية.

وشارك البابا في أعمال عدة ندوات، وألقى العديد من المحاضرات، ونشر العديد من الأبحاث والمقالات في مجلة المجمع، فوصل عدد محاضراته إلى نحو ٢٥ محاضرة ألقاها في عدة مؤتمرات وندوات محلية وعربية وأجنبية بين عامَي ١٩٦٩ و٢٠٠٠، كانت متعددة في موضوعاتها كالصناعة الصيدلية، والأدوية، ودساتير الأدوية العربية، والأكحال، والفحوص المخبرية، وعلم السموم، والفلاحة، والطب العربي، والتراث الطبي العربي، وعلم الجنين، والأحجار الكريمة، والتعدين، والمعاجم الطبية باللغة العربية.

لقد ترك لنا المرحوم البابا الكثير من الإنجازات التي قدمها منفردًا أو بالمشاركة مع زملاء آخرين، وهي تدل عليه وتصف تفانيه في خدمة العلم

واللغة والتراث. ومن هذه الإنجازات، على سبيل المثال لا الحصر: علم العقاقير وتشخيصها المجهري الكيميائي، وتاريخ الصيدلة وتشريعها وآدابها، وفهرس المخطوطات الطبية للحضارات القديمة العربية والإغريقية في المكتبة الوطنية بباريس، ومعجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا، وأقْرَباذين القلانسي (ومصطلح أقْرَباذين هو تعريب لكلمة يونانية تعني دستور الأدوية). وحقَّق الدكتور البابا العديد من المؤلفات التراثية كبعض كتب ابن سينا الطبية (كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، والأرجوزة في الطب، وكتاب الأدوية القلبية)، وعلم السموم لابن وحشية، وأقْرَباذين ابن التلميذ، وغاية الإحسان في خلق الإنسان.

ولم أجد ختامًا لحديثي عن المرحوم الدكتور البابا أوقَعَ مما وصفه به الدكتور مكي الحسني أطال الله في عمره في حفل تأبينه حين قال: «كان الفقيد رجلًا فاضلًا يتحلى بمزايا الأفاضل الذين يقفون حياتهم لتحقيق هدف نبيل؛ وكان إنسانًا طيب العشرة، هادئ الطبع، صادق القول، مخلصًا في عمله، وفيًا لأصدقائه. يحدثك بروية فتسمع منه ما يعبر عن صفاء النفس والفكر. وكان وافر الأدب يحسن الإصغاء إلى محدثه، ويعبر عن رأيه بكثير من التهذيب والكياسة؛ كما كان رب أسرة مثاليًا. وكان لتنشئة أولاده أثرٌ طيبٌ جدًا، تجلى في حسن خلق ابنه الدكتور مازن، وابنته الدكتورة خلود وإتقانهما العمل، وسيرتهما الطيبة».

وأخيرًا، من تجاربي المتواضعة، وأمنياتي العميقة، ومن استعراض مسيرة المرحوم البابا، اسمحوا لي أن أدعو جميع المهتمين إلى نقل المعارف العلمية إلى لغتنا العربية الحبيبة بطريقة مبسطة تصل إلى الجميع وتصبح جزءًا من الثقافة الجمعية، لا حكرًا على النخبة.

وفقنا الله وإياكم وشكرًا لكم

المصدر الأجنبي للإحصاءات

- UNESCO Index Translationum - World Bibliography of Translation-Statistics: https://www.unesco.org/xtrans/bsstatlist.aspx?lg=0

المصادر العربية لسيرة المرحوم الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا:

- موقع مجمع اللغة العربية على الشابكة
- الكلمات التي ألقيت في حفل استقبال الدكتور محمد زهير البابا في مجمع اللغة العربية بدمشق
- الكلمات التي ألقيت في حفل تأبين الدكتور محمد زهير البابا في مجمع اللغة العربية بدمشق
- كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد في تأبين الدكتور محمد زهير البابا في جامعة دمشق

❊ ❊ ❊

حفل استقبال
الأستاذ الدكتور عماد الصابوني
عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة في (١٣ شعبان ١٤٤٣هـ-١٦/ ٣/ ٢٠٢٢م) الأستاذ الدكتور عماد الصابوني عضوًا في مجمع اللغة العربية، ليشغل الكرسيَّ الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد، وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرَّقم (١١٦) في (٢٨/ ٤/ ٢٠٢٢م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور عماد الصابوني في جلسة علنية عقدها (يوم الأربعاء ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٢م) في قاعة المحاضرات في المجمع، حضرها نخبة من رجال العلم والسياسة والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفلة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع بكلمة موجَزة رحَّب فيها بالسادة الحضور، مهنئًا الزميلَ المجمعيَّ الجديدَ، مباركًا انضمامَه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ مروان البواب كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، ونوّه بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور عماد الصابوني، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد.

وننشر فيما يلي الكلمات التي ألقيت:

كلمة الدكتور محمود السيد رئيس المجمع

السادة الحضور، أيها الحفل الكريم:

أسعد الله أوقاتكم، وأحييكم أطيب تحية، وأرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بحضور هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بدمشق لنشارك جميعًا في استقبال الأستاذ الدكتور عماد صابوني عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة يوم الأربعاء ١٣ شعبان ١٤٤٣هـ الموافق السادس عشر من آذار عام ٢٠٢٢ الأستاذ الدكتور عماد صابوني عضوًا عاملًا في المجمع، وأصدر السيد رئيس الجمهورية المرسوم الجمهوري ذا الرقم ١١٦، والتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠٢٢ باعتماد انتخابه.

ويهنئ المجمع الأستاذ الدكتور عماد على ثقة زملائه المجمعيين، واختيارهم له عضوًا جديدًا، ينضم إلى المجمع ليسهم في أعماله في ضوء خبراته المتميزة، وكفاياته المتعددة في مجال اختصاصه العلمي، أو في مجال لغته العربية.

وكان مجمع اللغة العربية قد انتخبه عضوًا مراسلًا عام ٢٠٠٠ نظرًا إلى كفايته بالعربية في مجال اختصاصه التقاني، ومشاركته في وضع معجم مصطلحات المعلوماتية عام ٢٠٠٠، وعضويته في اللجنة الخاصة باستخدام

اللغة العربية في تقانة المعلومات بالمكتب العربي للتقييس في المغرب.

كانت دراسته الجامعية إن في الإجازة أو في الدكتوراه في فرنسا، فحصل عام ١٩٨٧ على الإجازة من المدرسة الوطنية العليا للاتصالات، والدكتوراه في الإلكترونيات عام ١٩٩٢.

وفي أثناء عمله وزيرًا للاتصالات والتقانة أصدر السيّد رئيس الجمهورية قرارًا جمهوريًا بتسميته رئيسًا للجنة النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، وكنت والزميل عضو المجمع الأستاذ مروان البواب عضوين في هذه اللجنة، وعرفت حينئذ عن قرب تمكّن الدكتور الصابوني من لغته الأم إلى جانب كفايته المتميزة في مجال اختصاصه العلمي في ميدان المعلوماتية والاتصالات والخدمات الإلكترونية، وقضايا مجتمع المعرفة.

وقد جرى تشكيل هذه اللجنة بعد أن اعتمد مؤتمر القمة العربي الذي عقد في دمشق عام ٢٠٠٨ مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى المؤتمر، وكان للجنة التمكين للغة العربية التي شرفت برئاستها إسهام في صوغ المشروع، وقد وافق المؤتمر عليه، وقدم الشكر إلى الجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع.

أيها الحفل الكريم:

أشارت بعض التقارير الصادرة عن الاتحاد الدولي للاتصالات إلى ضعف نسبة المحتوى الرقمي على الشابكة، وأن الجزء الأكبر من هذا المحتوى ما هو إلا ترجمات لمحتويات من لغات أخر، وثمة صفحات مكررة ومنسوخة حرفيًا وزاخرة بالأخطاء اللغوية، إضافة إلى اللهجات العامية والهجين اللغوي.

وإذا وقفنا على نوعية المحتوى في المجال العلمي فإننا نجد أن ثمة هوة بين ثراء المحتوى في اللغة الأجنبية وفقر هذا المحتوى في العربية، وأن حصيلة المكانز العربية على الشابكة ضعيفة كمًّا ونوعًا إلى جانب ضعف استفادة معظم الناطقين بالعربية الاستفادة المثلى من المحتوى الموجود على الشابكة لفقره وضعفه وعشوائيته.

ويرجع بعض أسباب هذا الضعف إلى أن العرب مازالوا حديثي التواصل بلغتهم عبر الأثير، إضافة إلى عقوق بعض أبناء الأمة للغتهم، إذ إنهم استبدلوا بها اللغة الأجنبية في جامعاتهم مناهج وتدريسًا واجتماعات، وإن معظم البحوث والدراسات والمؤلفات تنشر بها حتى غدا المحتوى الجيّد لإنتاج العرب يدوّن بغير لغتهم، ولا يبقى للعربية إلا القليل. وفي هذا القليل قد يكمن الفكر الظلامي والتطرف والمهاترات والاتهامات والتكفير وهو ما يعطي صورة سلبية عن حال العرب من ضيق في الأفق، ومحدودية في العقلنة، وتطرف في الطروحات والممارسات، في منأى عن رسالة الأمة العربية وحضارتها الإنسانية. وإنّ الرقمنة العربية اهتمت بالماضي أكثر من اهتمامها بالمجالات المعرفية المختلفة والنتاج الفكري الحديث.

ومما يؤرِّق الغيورين على سلامة لغتهم العربية أن تنتشر اللهجات العامية على مراكز التواصل الاجتماعي مكتوبة بالأحرف اللاتينية، وإن كتب بعضها بالفصيحة فهو زاخر بالأخطاء الإملائية والنحوية، إلى جانب ظاهرة العربيزي والفرانكوآراب والهجين اللغوي، واستبدال الأرقام بالحروف العربية. ويبرز السؤال: كيف سيتسنى لأبناء الأمة، وهم على هذه الحال، في وسائل تواصلهم واعتماد الأجنبية مكان لغتهم الأم في تدريسهم، أن يطلعوا على جوانب التراث الحيّ لأمتهم العربية، وأن يفيدوا من بيان لغتهم

الفصيحة؟ ما من ريب في أن ثمة قطيعة ستكون بينهم وبين ما خلفه لهم أجدادهم وآباؤهم في ميادين المعرفة بلغتهم الأم.

أيها الحفل الكريم:

ثمة من يرجع تاريخ بداية العربيزي إلى القرن التاسع عشر عندما انطلقت صيحات تدعو إلى الكتابة بالأحرف اللاتينية وبالعامية. وقد حمل ألوية هذه الدعوة بعض المستشرقين زاعمين أن الكتابة بالعامية، وبالحروف اللاتينية مظهر رقي، وسار تحت لوائها بعض العرب في مصر ولبنان، وتبقى سوريتنا في منأى عن هذه النغمات النشاز.

وهنالك من يرى أن هذه الدعوة جاءت نتيجة طبيعية لتمازج الحضارات وتداخلها، إذ إن اللغة هي أول ما يتأثر بالانفتاح على العالم الخارجي، وعندما تعاني الأمة الضعف تتطلع إلى الأمم القوية والمتطورة، فتقلدها في مظاهر حياتها لغة، ولباسًا، وطعامًا، وشرابًا، وثقافة في إطار تقليد الشعب المغلوب للشعوب الغالبة، كما جاء في مقدمة ابن خلدون.

ويرى بعضهم أن استخدام الشباب للعربيزي أو الفرانكوآراب ما هو إلا نوع من أنواع التباهي بمعرفة الإنجليزية على أنها لغة التطور والحداثة في نظر هؤلاء الشباب، ويعيدها آخرون إلى ظهور خدمة الهاتف المحمول في المنطقة العربية، وظهور برامج الدردشة، وساعدت الوسائل التقانية الحديثة في سرعة انتشار هذه اللغة من حواسيب، وهواتف محمولة، وقنوات فضائية، ومواقع تواصل اجتماعي، وشابكة ..الخ، وانتشرت كلمات «إنترنت، أون لاين، كمبيوتر، ماوس، تابلت»، وتردّدت أفعال من مثل «سيّف، فكّس، وتّس، كورن، فسبك، مسّج.. إلخ».

ومن المؤسف أن العربيزي أو الفرانكوآراب منتشرة على أقلام جيل

جديد لا يحسن العربية ولا الإنجليزية، لكنه يبدع في استخدام هذه اللغة، ويكتبها تلقائيًا وبسرعة، وآلت الأمور في استعمالها إلى عناوين مقالات في بعض الصحف، والمجلات العربية، والإعلانات حتى إن بعض المطاعم أعدت لوائح الطعام بناء عليها، لا، بل امتدت إلى كتابة بعض موضوعات التعبير بها في إحدى المدارس اللبنانية.

ومن الأسباب المساعدة على انتشارها أسباب أسرية ترجع إلى عدم انتباه الأهل إلى اللغة التي يتواصل بها أبناؤهم، وجهلِهم بهذه اللغة، إضافة إلى تخلف طرائق التدريس في النظام التربوي، وفتورِ الانتماء في الحرص على السلامة اللغوية في وسائل الإعلام، ولاسيما المرئي منها، وقلةِ الأفلام السينمائية الناطقة بالعربية الفصيحة، وسيرورةِ أغلب المسلسلات التلفزية باللهجات العامية، والهجين اللغوي.

وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية الوطنية السورية للمعلوماتية برئاسة الأستاذ الدكتور عماد الصابوني من قبلُ، كان لها دور إيجابي في تعزيز المحتوى الرقمي العربي على الشابكة، من خلال مشروع «مدونة وطن» المتسم محتواه بجودة المستوى أسلوبًا ومضمونًا، ومن فعالياته مسابقة «مدونة وطن» بطريق الهواتف المحمولة، وإجراء خدمة إخبارية يومية عنوانها «خبر وحكاية»، تقدّم إلى مشتركي شبكة الاتصالات الخلوية، وفقرة تلفزية يومية عنوانها «مع الناس» تذاع يوميًا على القناة الفضائية السورية... إلخ. ولا يمكننا أن ننسى التعاون بين الجمعية الوطنية السورية للمعلوماتية، وكان ممثلًا لها الأستاذ الدكتور نوار العوا، ولجنة التمكين للغة العربية، في إجراء مسابقة الكندي، وكان الهدف من الإعلان عنها تعرّف المواقع على الشابكة التي تعنى بنشر موادها بالعربية الفصيحة على الصعيد العربي، وكان الموقع الأول

لمصلحة تونس، والثاني لمصلحة موقع في جمهورية مصر العربية، والثالث لمصلحة موقع في سورية، وقد وزعت الجوائز المقدمة من الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية على الباحثين الفائزين في جامعة دمشق برعاية السيدة نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية الأستاذة الدكتورة نجاح العطار.

ويمكن للمجمع أن يسهم مع جهات معنية أُخر في سورية بدعم هذه المسابقات، تشجيعًا للمبادرات الرامية إلى استعمال العربية الفصيحة على مواقع التواصل الاجتماعي، إلى جانب مسابقات لأفضل مجلة الكترونية، وأفضل المقالات للطلبة والأساتذة في مجالات اختصاصهم، على أن تخضع هذه المقالات للتقويم، وترشيح أفضلها لنيل الجوائز.

أيها الحفل الكريم:

إنّ مجمعنا في اختياره للأستاذ الدكتور عماد الصابوني عضوًا عاملًا ليأمل أن تكون ثمة نقلة نوعية في رحابه بغية الإسهام في التوجه نحو مجتمع المعرفة، وبث الوعي بأهمية المحتوى الرقمي، وإغنائه، والإتاحة الرقمية للكتب، والأعمال الموسوعية، والدوريات، والمجلات....إلخ. وما من ريب في أن خبرته الغنية، وكفايته المتميزة أستاذًا جامعيًا، ووزيرًا، ورئيسًا للجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، وخبيرًا، ومستشارًا، ومنجزًا لدراسات عدة مع منظمات عربية، وإقليمية، ودولية، ستسهم أيما إسهام في إغناء عمل مجمعنا بمشيئة الله.

وسيتحدث الآن الزميل الكريم عضو المجمع الأستاذ مروان البواب بالتفصيل عن السيرة الغنية للأستاذ الدكتور عماد صابوني، ثمَّ سيتحدث الدكتور الصابوني عن سلفه الذي سيحل محله الأستاذ الدكتور واثق شهيد رحمه الله.

كلمة الأستاذ مروان البواب عضو المجمع

الأستاذة الفاضلة لبانة مشوِّح وزيرة الثقافة

الأستاذ الجليل الدكتور محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

أيها السادة الزملاء أعضاءَ المجمع الموقَّرين

أيها السادة الضيوف الأعزاء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا ومرحبًا بكم في هذا اللقاء المتجدِّد.

ها هو مجمعنا اليوم يتجاوز مئة سنةٍ من عمره المديد ومجده التليد، ومازالت عطاءاته وإنجازاته تتجدَّد حينًا بعد حين وآنًا بعد آن، يتابع المسيرةَ على الطريق التي سَنَّها مؤسِّسوه، والنَّهج الذي رَسَموه. وقد تَعاقَبَ على حمل رسالته وأداء أمانته أفذاذٌ من العلماء قلَّما يجود الدهر بأمثالهم، ويَعجِز عن أن يَمحوَ ذِكراهم؛ وَقَفوا نفوسَهم لخدمة العربية، لا يَنُونَ ولا يَفتُرون، يَمسحون عن وجهها النضير ما يَعلَق به، لتكون لغةَ العلم والتعليم والإدارة والحضارة.

وهؤلاء العلماء الأجلَّاء – وإنْ قيل: إنهم الخالدون في ذِكْرهم وذِكْراهم – قد كُتِب عليهم ما كُتِب على الذين مِن قبلهم، فإذا سَقَطَتِ الراية من يَدِ أحدهم نَهَدَ لها مَن يَمضي إلى إعلائها والسَّير بها إلى غايتها المنشودة.

ولئن أَسِينا على فراق مَن زاملناه منهم في مسيرتنا، إنَّنا لنَسعَد بمَن ينضمُّ إلينا، يَشدُّ أزرَنا، ويقوِّي عزيمَتَنا، ويَرفد مناشطَنا، كي تكون لغتنا

العربية المبينة لغةَ العلم والحياة في آنٍ معًا، تواكب العصر وتَستجيب لإبداعات الحضارة وتدفُّق المعارف، نعلِّم بها ونتعلَّم، ونؤلِّف ونبحث، في المدارس والجامعات، والمراكز العلمية والمؤسسات، وسائر مرافق الحياة.

أيها السادة الأكارم:

بالأمس غير البعيد، غادَرَنا عَلَمٌ من أعلام هذه الأمة، ووجيهٌ من وجهائها، كان أحدَ أعضاء مجمَعنا المميَّزين، أبلى فيه بلاءً حسنًا: علمًا وحكمةً وإدارةً وتنظيمًا؛ إنه الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد رحمه الله تعالى.

واليوم نستقبل خلَفَه الأستاذ الدكتور عماد الصابوني، وإنَّ لنا فيه عزاءً ورجاءً وأملًا.

ولا بدَّ لي في هذا المقام أن أشكر رصفائي المجمعيين على منحهم إياي شرف استقباله باسمهم، وأن أعرِّف بهذا العالم الذي يفخر مجمع دمشق بأن يضمَّه إليه، فيَقوَى به على خدمة لغتنا العربية أمِّ اللُّغى، لسان الذكر المبين.

وبأمثال هذا الزميل الجديد يستمرُّ مجمعنا مجاهدًا في سبيل تحقيق أغراضه، ساعيًا لجعل العربية الخالدة لغة العصر الحديث، تساير علومه وفنونه.

ونحن في عصر المعلومات والاتصالات، في أمسِّ الحاجة إلى عالمٍ مختصٍّ بهذا الفرع من العلوم، لِنُفيد من معرفته الواسعة في اختصاصه، ومن مشاركته الطَّيبة في الاختصاصات الأخرى، ولِيسهم معنا في دراسة ما استجدَّ ويستجدُّ من مصطلحاتٍ علمية، وما أكثرها!

عَرَفتُ الدكتور عماد الصابوني لِواذَ عشرين عامًا، فما زادني كَرُّ الأيام ومَرُّ الأعوام إلا إعظامًا لعلمه وخُلُقه، وإكبارًا لفضله ونُبله، وقدرًا لفطنته وفراسته.

كان في مناقشاته يَبين عن ثقافةٍ علميةٍ واسعة، وذاكرةٍ قويةٍ حافظة، يَزينه

تواضعٌ جَمّ، وعقلٌ راجح. لا يخلو حديثه من دعابةٍ مستَملَحة، أو طرفةٍ مستَعذَبة ترافقها ابتسامةٌ رقيقةٌ لا تغادر محيَّاه.

ولست بدعًا في هذا الشعور، فما لَقِيَه أحدٌ ممن يَعرفون للرجال أقدارهم إلا أُعجب بسعة ثقافته، وعمق تفكيره، ورحابة أُفُقه، ونفاذ بصيرته.

كان لقاؤنا الأول في عام ١٩٩٩م، عندما شاركنا معًا في إعداد معجم مصطلحات المعلوماتية الذي أصدرته الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية سنة ٢٠٠٠م.

وكان إسهام الدكتور الصابوني في إعداد هذا المعجم متعدِّد الجوانب؛ فكان مترجمًا ومراجعًا ومنسِّقًا ومشرفًا، وكانت له اليد الطُّولى في وضع المقابلات العربية لمصطلحات المعلوماتية، ساعفه في ذلك: فهمٌ عميقٌ لدلالات المصطلحات الأجنبية، واطلاعٌ واسعٌ على استعمالاتها، وتمكُّنٌ فريدٌ من ناصية الإنكليزية والفرنسية، ومعرفةٌ عميقةٌ بمعاني مفردات العربية؛ إذ كان معجم محيط المحيط للبستانيِّ رفيقه الدائمَ في هذه الرحلة.

وكانت له في وضع هذه المقابلات منهجيةٌ مبتكرة؛ لن أخوض في عرض تفاصيلها، بل سأكتفي بالتعريف بها: كان يَجمَع المصطلحات التي بين معانيها فوارق دقيقة، ويضعها في قوائم منفصلة، ثم يبحث عن مقابلٍ عربيٍّ لكلِّ مصطلحٍ منها ملتزمًا مبدأ «واحدٍ لواحد»؛ أي: أن يبتدع مقابلًا عربيًّا مستقلًّا لكلِّ مصطلحٍ أجنبيّ.

وكان من نتيجة هذه المنهجية أن استَحدث الدكتور الصابوني مقابلاتٍ عربيةً لعددٍ غير قليلٍ من مصطلحات المعلوماتية. وكنتُ - وما زلتُ - أَنسب هذه المقابلات إليه في أثناء عملي في لجان المصطلحات في المجمع.

وبعد هذا العمل المشترك في معجم مصطلحات المعلوماتية، تكرَّرت

لقاءاتنا العلمية؛ ففي عام ٢٠٠١م، عندما تسلَّم منصب الوكيل العلميِّ للمعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا - وكنت وقتئذٍ رئيسًا لمجموعة اللغة العربية في هذا المعهد - عقدنا عدة اجتماعاتٍ لمناقشة المقترحات التي تَقَدَّم بها للنهوض بتدريس مادة اللغة العربية في المعهد.

وفي عام ٢٠٠٩م صدر قرارٌ جمهوريٌّ بتشكيل لجنة «النهوض باللغة العربية للتوجُّه نحو مجتمع المعرفة»، وتعيين الدكتور الصابوني رئيسًا لها. وقد ضمَّت اللجنة أحد عشر عضوًا من المعنيِّين بالجانب اللغويِّ والتِّقنيّ؛ أربعةٌ منهم من مجمع اللغة العربية بدمشق؛ هم الأساتذة: الدكتور محمود السيد، والدكتور مكي الحسني، والدكتور موفق دعبول رحمه الله، ومروان البواب. وقد استمرَّ عملنا في هذه اللجنة قرابة عامين، ثم توقَّف مع بداية الحرب على سورية في عام ٢٠١١.

أيها السادة الأكارم:

نستقبل اليوم الأستاذ الدكتور عماد الصابوني زميلًا جديدًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، مستبشرين بمقدَم فارسٍ مُعْلِم، أهَّلَتهُ كفاياته العلمية ومواهبه النادرة لتولِّي أعلى المناصب، فكان فيها السابقَ المبرِّز. يشهد لذلك سيرته التي تتزاحم فيها الإنجازات العلمية والإدارية في خدمة لغتنا ومجتمعنا.

ويجدر بي في هذا المقام أن أُلِمَّ بشيءٍ من نشأته وتحصيله وعلمه وعمله؛ ليكون التعارف أوضح والتعريف أبين.

وُلد الدكتور عماد الصابوني في عام ١٩٦٤م، ونشأ في أسرةٍ اشتُهرت بالعلم والفضل؛ فوالده - الأستاذ الحقوقيُّ عبد الغني الصابوني - شغل عدَّة وظائف إداريةٍ عليا قبل أن يستقيل ويتفرَّغ للعمل في المحاماة.

ووالدته السيدة نجاح الطَّرابلسي، من المجازات الأوائل في كلية

الآداب في جامعة دمشق، وهي شقيقة الدكتور عزة الطَّرابلسي، مؤسِّسِ مصرفِ سورية المركزيِّ وحاكمه الأوَّل، وهي ابنة عمِّ الدكتور أمجد الطَّرابلسي، عضو مجمع دمشق، ووزير التربية والتعليم السابق.

والدكتور الصابوني محبٌّ للمطالعة ومولعٌ بها منذ صغره؛ فكان يقرأ - وهو في مراحل دراسته الأولى - كثيرًا من كتب اللغة والتاريخ التي ضمَّتها مكتبة والده وجدِّه. وكان بعض هذه الكتب موضعًا للنقاش النَّقديِّ مع والدَيه ومُعلِّمِيه وأترابه في المدرسة.

كان من الأوائل في جميع سنوات دراسته: الابتدائية والإعدادية والثانوية. ولمَّا نال شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩٨١م انتسب إلى المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا.

وبعد ثلاث سنواتٍ من الدراسة في المعهد، أُوفد إلى فرنسا ليتابع دراسته في المدرسة الوطنية العليا للاتصالات في بْرِسْت، وحصل على الإجازة في هندسة الاتصالات سنة ١٩٨٧م.

ولمَّا كان من الأوائل على دفعته، مدِّد إيفاده لمتابعة دراساته العليا، فحصل على دبلوم الدراسات المعمَّقة من جامعة جوزف فوريه في غرونوبل، ثم تابع دراسته في البوليتكنيك في غرونوبل أيضًا، وحاز شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى في مجال دارات شبكات الاتصالات في عام ١٩٩٢م.

نشر في أثناء دراساته العليا عددًا من المقالات في مؤتمراتٍ ودوريات فرنسيةٍ وعالمية، بعضها في مجلة IEEE الشهيرة؛ ودرَّس بتفرُّغٍ جزئي في جامعة ڤالانْس.

ولمَّا عاد من الإيفاد في عام ١٩٩٣م، عمل باحثًا في مركز الدراسات

والبحوث العلمية، ودرَّس عددًا من الموادِّ في المعهد العالي في اختصاصات الهندسة المختلفة، وفي الدراسات العليا للتأهيل والتخصُّص. واستمرَّ في التدريس حتى عام ٢٠٠٢م. وشارك في هذه المرحلة في وضْع مناهج كلية الهندسة المعلوماتية في جامعة دمشق، وفي تأليف كتاب «بنيان الحواسيب»، وفي «مشروع توسيع وتحديث الاتصالات في سورية».

وفي عام ١٩٩٩م رُقِّي إلى مرتبة باحث رئيسي، ثم عُيِّن وكيلًا لشؤون الطلاب في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا في عام ٢٠٠١م، وأسهم مع مجموعة من الباحثين في وضْع دراسةٍ تحليليةٍ وخطَّةٍ متكاملةٍ للارتقاء بمكانة المعهد في إطار منظومة التعليم العالي في سورية.

وفي عام ٢٠٠٢م عُيِّن مديرًا وطنيًّا لـ «البرنامج الإستراتيجي لاستخدام تقانات المعلومات والاتصالات في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في سورية». وبَقِيَ في هذا المنصب حتى عام ٢٠٠٤م، وأصبح في الوقت ذاته عضوًا في فريق العمل المكلَّف بوضع «الإستراتيجية الوطنية السورية لتقانات المعلومات والاتصالات».

وفي عام ٢٠٠٣م عُيِّن مديرًا عامًّا للمؤسسة العامة للاتصالات في سورية. وخلال عمله في المؤسسة أشرف على تنفيذ «برنامج دعم قِطَاع الاتصالات»، وعلى توسيع وتحديث شبكات وخدمات الاتصالات في سورية.

شارك الدكتور الصابوني بين عامَي ٢٠٠٣ و٢٠٠٥ في أعمال «القمة العالمية لمجتمع المعلومات»، وأسهم في صياغة موقف الدول العربية من تطوُّر الإنترنت، وما يتعلق باستعمال اللغة العربية فيها.

وفي عام ٢٠٠٦م تسلَّم رئاسة فريق عمل «الإستراتيجية العربية للاتصالات والمعلومات» في جامعة الدول العربية، وتسلَّم أيضًا رئاسة

«فريق العمل العربيِّ الخاصِّ بتعريب أسماء النطاقات على الإنترنت».

وفي عام ٢٠٠٦م أيضًا خلَفَ الأستاذَ الدكتور موفق دعبول في رئاسة الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية؛ التي كان عضوًا فيها منذ عام ١٩٩٤م، وعضوًا في مجلس إدارتها في عام ٢٠٠٣م.

وفي عام ٢٠٠٧م عُيِّن وزيرًا للاتصالات والتقانة في الجمهورية العربية السورية، وبَقِيَ في هذا المنصب سبعَ سنوات، كانت سَبعًا سِمانًا؛ أشرف خلالها على إعادة تنظيم قِطَاع الاتصالات وتقانة المعلومات؛ ففي عهده تحوَّلت المؤسسة العامة للاتصالات إلى الشركة السورية للاتصالات، وأُحدثت الهيئة الناظمة للاتصالات، والهيئة الوطنية لخدمات الشبكة، والشركة السورية للمدفوعات الإلكترونية؛ وصدرت مجموعةٌ من القوانين المتعلقة بذلك؛ منها: قانون التوقيع الإلكترونيِّ، وقانون خدمات الشبكة، وقانون الاتصالات، وقانون التواصل على الشبكة، وقانون المعاملات الإلكترونية، إضافةً إلى الجزء الخاصِّ بالمصنَّفات المعلوماتية من قانون حماية حقوق المؤلِّفين.

وجرى في هذه السَّبع السِّمان أيضًا، وضع «الخطَّة الإستراتيجية التوجيهية لمبادرة الحكومة الإلكترونية»، وتصميم منظومة الدَّفع الإلكتروني.

اهتمَّ الدكتور الصابوني خلال عمله في الوزارة اهتمامًا خاصًّا بتنمية الموارد البشرية، فقام - بالتعاون مع المعهد العالي لإدارة الأعمال - بافتتاح برنامج ماجستير خاصٍّ للتأهيل والتخصُّص في مجال تنظيم مجتمع المعلومات، اتَّبعَه عددٌ من موظَّفي قِطَاع الاتصالات ومن العاملين في الدولة والقِطَاع الخاص.

وفي عام ٢٠١٠م رُقِّي إلى مرتبة أستاذٍ مساعدٍ في كلية الهندسة

المعلوماتية في جامعة دمشق.

وفي عام ٢٠١٦م عُيِّن رئيسًا لهيئة التخطيط والتعاون الدُّوليِّ في الجمهورية العربية السورية، وبقي في هذا المنصب حتى عام ٢٠٢١م.

وخلال عمله رئيسًا لهيئة التخطيط أشرف على وضع خطَّةٍ إستراتيجيةٍ وطنيةٍ باسم «البرنامج الوطنيِّ التنموي لسورية لما بعد الحرب»، وترأَّس «الفريق الوطنيَّ التوجيهيَّ للجودة»، المعنيَّ بتطوير البنية التَّحتية للجودة في سورية.

وصدرت عن هيئة التخطيط في هذه المرحلة دراساتٌ عديدةٌ تخصُّ التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتنمية المستدامة، والأمن الغذائي، وإصلاح القِطَاع العام الاقتصادي، وغيرَها.

وفي عام ٢٠١٤م أصبح الدكتور الصابوني عضوًا في الهيئة التدريسية في الجامعة الدَّولية للعلوم والتكنولوجيا، يدرِّس مجموعةً من المواد في مجال الاتصالات، والاقتصاد الهندسي، والإدارة الهندسية. ومازال يعمل في هذه الجامعة إلى الآن.

وفي عام ٢٠١٧م سُمِّي عضوًا في مجلس الأمناء في الجامعة الافتراضية السورية.

وفي عام ٢٠٢٢ سُمِّي عضوًا في مجلس المفوَّضين في الهيئة الوطنية للجودة والاعتمادية في التعليم العالي.

أشرف على عددٍ من رسائل الماجستير في جامعة دمشق، وفي المعهد العالي لإدارة الأعمال، وشارك في إعداد دراساتٍ عديدةٍ لمصلحة الإسكوا، والاتحاد الدُّوليِّ للاتصالات، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وجامعة الدول العربية. وقد أولت هذه الدراسات اهتمامًا خاصًّا بسياسات وإستراتيجيات الاتصالات والمعلوماتية، والخدمات الإلكترونية، وقضايا مجتمع المعرفة.

اهتمَّ الدكتور الصابوني طوال حياته المهنيَّة والخاصة اهتمامًا كبيرًا باللغة العربية، وخاصةً فيما يتعلق بأهمية الكتابة العلمية بلغةٍ عربيةٍ سليمة، وبضرورة وجود منهجيةٍ قياسيةٍ معتمَدةٍ لتوليد مقابلاتٍ عربيةٍ للمصطلحات الأجنبية. واهتمَّ كذلك بمكانة اللغة العربية في مجتمع المعرفة، وفي استعمالها لغةً للعلم والتِّقانة، وفي المحتوى الرَّقميِّ العربي، وفي الترجمة.

وفي هذا السياق كان عضوًا في اللجنة الخاصة باستعمال اللغة العربية في تقانة المعلومات في المكتب العربي للتقييس، في الرِّباط.

ألَّف وتَرجم وراجع العديد من المقالات العلمية التي نُشرت في مؤتمراتٍ ومجلاتٍ سوريةٍ وعربية؛ منها: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجلة جامعة دمشق، ومجلة الثقافة المعلوماتية، والنُّسخة العربية من مجلة Scientific American.

وأخيرًا إن علاقة الدكتور الصابوني بمجمعنا قديمة، فقد شارك في إحدى الندوات التي عقدها المجمع في عام ١٩٩٩م، وألقى فيها محاضرةً بعنوان: «منهجٌ مقترحٌ لوضع المصطلح العلميِّ العربي بمساعدة الحاسوب».

وشارك أيضًا في المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق الذي عُقد في عام ٢٠٠٦ بعنوان: «اللغة العربية في عصر المعلوماتية»، وألقى فيه محاضرةً بعنوان: «أسماء النطاقات العربية على الإنترنت: القضايا اللغوية والتنظيمية».

وفي عام ٢٠٠٧م انتُخب الدكتور الصابوني عضوًا مراسلًا في المجمع. وها هو اليوم يُنتخب عضوًا عاملًا فيه.

وفي الختام أقولُ لصديقي العزيز الدكتور عماد:

بُوركتَ في هذا الحبِّ الذي محضه إياك زملاؤك المجمعيُّون، وفي اختيارهم لك زميلًا عزيزًا تنضمُّ إلى أُسرتهم، وفي دعوتهم إياك لتكون

واحدًا منهم في رحاب هذا المجمع، تقدِّم له من غزير علمك وواسع ثقافتك صفوة تجربتك وخلاصة خبرتك.

وبورك لنا بالزميل الجديد يشدُّ عضدنا، ويشاركنا في أداء رسالتنا، ويؤازرنا في مسيرتنا، ويسهم معنا لتبلغ العربية مكانتها السامية، ولتبقى راسخةً خالدةً على وجه الدهر.

شكرًا لإصغائكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

كلمة الدكتور عماد الصابوني في حفل استقباله

السيد رئيس مجمع اللغة العربية،

السيدات والسادة أعضاء المجمع،

السيدات والسادة الحضور:

اسمحوا لي – في البداية – أن أعبّر عن عظيم امتناني لهذا الشرف الذي أسبغه عليّ أعضاء المجمع، من أساتذتي وزملائي، بانتخابي عضوًا عاملًا؛ وإني لأرجو أن أوفق إلى جانبهم للإسهام في خدمة لغتنا العربية، وتعزيز مكانتها لغةً عالمية للتواصل المعرفي، العلمي والثقافي.

واسمحوا لي أيضًا أن أقوم بواجب الشكر للزميل العزيز الأستاذ مروان البواب على كلماته الجميلة التي تفضّل وقدمني بها، وعلى ما أغدق عليّ من صفات لست أراني مستحقًا لها، وإن بقيت طامحًا لأن أتحلى بها.

وإن ما يزيد من شعوري بالاعتزاز أن أدخل إلى المجمع خلفًا لواحد من أبرز رجالات التربية والتعليم، والعلم والتقانة، في بلادنا، الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد؛ وهو أستاذي الكبير الذي أفخر به، وأحد رجال خمسة كان لهم عليّ أعظم الفضل فيما أكون قد وُفِّقت لتحقيقه في حياتي المهنية.

ليس الحديث عن الدكتور شهيد بالأمر الهيّن، فهو المربي والعالم والباحث والمجمعي، صاحب الرؤى الاستشرافية الثاقبة على امتداد سنين طويلة، في مجالات عديدة متشعبة. فكان لا بدّ، والحال كذلك، من

الانتقاء، انسجامًا مع ما يسمح به المقام. ومن ثمّ وجدت نفسي أختصر ما كتبت مرارًا؛ واستقر بي الرأي أخيرًا على أن اقتصر من المنبر على عرض الوقائع التي أحدث فيها الدكتور شهيد أكبر الأثر في المجتمع، أو التي كان لها أكبر الأثر في حياته، وأن أضمّن الباقي في نسخة مطوّلة، تاركًا للمجمع – إن شاء – أن ينشرها في موقعه الإلكتروني.

وقد اعتمدت كثيرًا فيما سيأتي – إضافة إلى ما كتبه عن الدكتور شهيد كثير من الأساتذة – على سيرة حياته التي خطها بقلمه، ونشرها المجمع في مطبوعاته في عام ألفين وثمانية عشر؛ وكانت قد أتيحت لي سابقًا، مع بعض الزملاء، فرصة الاطلاع على مقتطفات منها، ولا سيما تلك التي تخصّ تجربة المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا.

وُلد عبد الله واثق شهيد في مدينة حارم، في شمال سورية، على السفح الغربي من جبل بريشا (وقد يعني هذا الاسم «بيت الرأس» في الآرامية)، في الخامس عشر من شهر تموز من عام ألف وتسعمئة وسبعة وعشرين، حيث كان جده، ثم والده الذي درس علوم الدين في الأزهر بالقاهرة، يتولّيان الإفتاء. ويعود أصل عائلة الدكتور شهيد إلى بلدة دارة عَزَّة (أو دارة عِزَّة، كما يُضبط اسمها أحيانًا)، التي قضى فيها شطرًا أكبر من طفولته وفتوته؛ فهي البلدة التي كان يجتمع فيها الشمل مع الأهل في دار العائلة. وتقع دارة عزة على بعد ثلاثين كيلومترًا إلى الشمال الغربي من مدينة حلب، على مقربة من كنيسة القديس سمعان العمودي الشهيرة، ومن منطقة المدن الميتة التاريخية.

درس عبد الله واثق شهيد المرحلة الابتدائية في مدرسة دارة عزة أولًا قبل أن ينتقل في عام أربعة وثلاثين إلى مدرسة حارم، التي كانت حديثة

مكتملة التجهيز. وهو يذكر في سيرته ما لقيه من ضنك العيش حينذاك، ويذكر أجواء الحراك الوطني، في مرحلة الاستفتاء على لواء إسكندرون.

نال الشهادة الابتدائية في عام ثمانية وثلاثين بنجاح، فقُبل في مدرسة التجهيز في حلب طالبًا ليليًا (بعد أن نجح في مسابقة الكراسي المجانية). وقد برع في تعلم العربية والفرنسية والحساب، وأحب الأدب والتاريخ، فقرأ كثيرًا من كتب التراث.

شارك في الحياة الثقافية المزدهرة في حلب أثناء دراسته؛ وأسهم في الحراك الشعبي قبيل الحرب العالمية الثانية وأثناءها مع زملائه وأساتذته، وكان لذلك أكبر الأثر في تكوين شخصيته.

نال بنجاح شهادة البكالوريا الأولى، ثم الثانية في عام خمسة وأربعين، وكان يودّ دراسة الفيزياء أو الرياضيات. لكن الجامعة السورية كانت تقتصر حينئذ على كليتيّ الطب والحقوق، ففكر بمتابعة الدراسة في المهجر، وتعلم الإنجليزية بنفسه؛ لكنه عاد فتقدم إلى مسابقة الوظيفة في مديرية السجل العقاري في حلب في عام ستة وأربعين، فلم يبق فيها إلا أشهرًا قليلة، إذ علم بافتتاح المعهد العالي للمعلمين، على التوازي مع إحداث كليتين للآداب والعلوم في دمشق؛ فدخل في عام ستة وأربعين طالبًا في الفوج الأول من المعهد، الذي كان يقع في المبنى الجميل الذي تشغله اليوم وزارة السياحة، وكان مدير المعهد آنذاك الأستاذ خالد شاتيلا.

يُعدّ هذا المعهد طلابه للتدريس في التجهيز (أي: التعليم الثانوي اليوم)، فيدرس هؤلاء الطلبة الاختصاص في الجامعة السورية، ويتلقون إلى جانب ذلك دروسًا في علوم التربية؛ وبذلك أصبح عبد الله واثق شهيد أيضًا طالبًا في الفوج الأول في كلية العلوم الفتية، التي افتتحت في الثكنة الحميدية،

والتي كان عميدها الأستاذ توفيق المنجد (الذي أصبح لاحقًا في سنة ستين أول رئيس لجامعة حلب).

عاصر في دراسته الجامعية مرحلة الاستقلال، ونكبة فلسطين؛ وشارك في الحراك الثقافي والسياسي في دمشق كما كان فعل من قبل في حلب.

درس في الجامعة الفيزياء والكيمياء والرياضيات على أيدي الأساتذة المؤسسين. وكانت دراسته نقدية تقوم على التفكير والاستنباط، والابتعاد عن الحفظ. والتقى هناك زميله صلاح الأحمد، طالبًا في شعبة الرياضيات، فكانا يتباحثان معًا في تاريخ العلوم والفلسفة الإسلامية؛ ولم ينقطع أثناء دراسة العلوم قطّ عن الاهتمام بالأدب والثقافة والتاريخ.

في عام ألف وتسعمئة وخمسين تخرج بتفوق من كلية العلوم والمعهد العالي للمعلمين، فعُيّن مدرسًا في تجهيز حلب. لكن المقام لم يطل به هذه المرة أيضًا في العمل الوظيفي، إذ سرعان ما تقدم (مع زميله عدنان المحاسب) إلى أول مسابقة للمعيدين في كلية العلوم ونجح فيها.

وبعد ثلاث سنوات قضاها معيدًا، تزوّج في أثنائها في عام واحد وخمسين من رفيقة دربه، ابنة عمه السيدة مريم شهيد = أوفد في عام ثلاثة وخمسين إلى جامعة السوربون في باريس - فرنسا لتحضير الدكتوراه في الفيزياء. كانت مدة الإيفاد أربع سنوات، إذ أعلمه عميد الكلية، الأستاذ المنجد، أنه لن يمدّد الإيفاد يومًا واحدًا!

سافر إلى فرنسا (مع زوجته وابنه البكر زياد) بحرًا لتوفير النفقات، عن طريق بيروت والإسكندرية ثم مرسيليا، حيث بدأ بدراسات بعض الشهادات التحضيرية، فتأكد له أن المستوى العلمي لخريجي جامعة دمشق كان مقبولًا. وكانت أطروحة الدكتوراه التي اختارها في مجال المسرّعات

الخطية، بالتعاون مع مؤسسة كهرباء فرنسا.

كانت مدة تحضير الدكتوراه في فرنسا حافلة بالأحداث، فشهد خلالها حراك الثورة الجزائرية، وانقطاع علاقات سورية بفرنسا أثناء العدوان الثلاثي على قناة السويس. والتقى هناك مجددًا بصلاح الأحمد الذي كان يحضّر في الوقت ذاته أطروحة الدكتوراه في الرياضيات.

قدّم أطروحته في حزيران من عام سبعة وخمسين، وحازها بمرتبة مشرف جدًا؛ وعاد إلى سورية في تموز من العام ذاته، قبل أشهر من إعلان الجمهورية العربية المتحدة.

عُيّن بعد عودته في الهيئة التدريسية في كلية العلوم في جامعة دمشق (وعميدها آنذاك الأستاذ نادر النابلسي)، فدرّس مادة الترموديناميك خلفًا للأستاذ عبد الرزاق قدورة، ومواد أخرى. وقد جمعته مع طلابه علاقات من الألفة والمودة، وعرف عنه حبه للتعليم وقدسيته والتحدي فيه.

وفي عام تسعة وخمسين أوفد إيفادًا علميًا لمدة تسعة أشهر إلى معهد الفيزياء في نوشاتل في سويسرا مع زوجته التي كانت حاملًا. وقد أدت رحلة سريعة متهورة بالسيارة إلى مدينة زيوريخ إلى ولادة ابنه الثاني طارق خديجًا عليلًا، وهي الحادثة التي تركت في نفسه أثرًا لم يُمحَ.

في أثناء عمله الجامعي أُحدِثَ فرع دمشق للمجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية المتحدة، فاشترك مع الدكتور مروان محاسني والأستاذ وفائي حقي في الأمانة الفنية للمجلس (الذي كان أمينه العام الدكتور المصري عبد الفتاح إسماعيل)؛ وأصبح أمين لجنة النشر العلمي التي كان يرأسها الأستاذ وجيه السمان. وقد ساعده عمله في المجلس - كما يقول في سيرته - على تكوين فكره الإداري والتنظيمي؛ واهتم بالتخطيط، شاعرًا

بأهمية وضع خطط علمية توافق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وتابع اهتمامه هذا في سورية بعد الانفصال.

في عام أربعة وستين أُعير، بصحبة الدكتور صلاح الأحمد مرة أخرى، إلى جامعة الرياض مدة سنتين، عاصر فيها انتقال الحكم من الملك سعود بن عبد العزيز إلى أخيه الملك فيصل. وازداد خلال هذه المدة مرض ابنه طارق بسبب التهاب أصابه في أذنه، كاد أن يفقده السمع.

وبعد عودته من الإعارة في عام خمسة وستين، عكف على تطوير مناهج التعليم في كلية العلوم بالاشتراك مع زملائه الأساتذة: أدهم السمان ومحمد بغدادي وصلاح الأحمد وعبد الحليم منصور.

وفي عام ستة وستين انتُخب عضوًا في مجلس الشعب مدة قصيرة، أنهاها وقوع أحداث الثالث والعشرين من شباط من ذلك العام، فعاد إلى كلية العلوم وكيلًا لها.

شهد عام ستة وستين دخول الدكتور شهيد إلى العمل الحكومي، إذ عُيّن أولًا نائبًا لوزير التربية لشؤون التعليم العالي (وكان وزير التربية حينئذ الدكتور مصطفى حداد)؛ وبعد ذلك بأشهر فقط، في السادس عشر من تشرين الأول من العام ذاته، ألّف يوسف زعيّن حكومته الثانية، فكان الدكتور شهيد فيها أول وزير للتعليم العالي في سورية.

وكان أن عُقد بعد توليه الوزارة أسبوع العلم السابع، فبسط الدكتور شهيد فيه رؤيته لتطوير التعليم العالي في سورية، وتعرّض فيها لكثير من القضايا التي ما تزال تشغلنا إلى اليوم، منها ضوابط توزيع طلاب التعليم العالي على الكليات الأدبية والعلمية، وتأهيل أعضاء الهيئة التعليمية بالإيفاد، وتنظيم الجامعات، ونظام التفرّغ الجامعي، وتنظيم البحث العلمي،

ونسبة عدد طلاب التعليم العالي إلى عدد السكان، ونسبة عدد الأساتذة إلى الطلاب، إضافة إلى إحداث كلية للطب في جامعة حلب، وغيرها...

وعكف لاحقًا على تنفيذ رؤيته، فشارك في وضع مشروع قانون تنظيم الجامعات وقانون التفرّغ الجامعي. لكن استقالة الحكومة السريعة في أيلول من العام سبعة وستين - بعد نكبة حزيران - لم تتِح له الفرصة لإكمال هذا العمل.

وفي عام تسعة وستين أُوفِد بمهمة علمية إلى فرنسا لمدة تسعة أشهر، اطّلع خلالها على مبادئ علم المعلوماتية الوليد آنذاك، واطلع أيضًا على تنظيم بيئة البحث العلمي في فرنسا.

في الثالث والعشرين من شباط من عام ألف وتسعمئة وواحد وسبعين عُيّن الدكتور شهيد المدير العام لمركز الدراسات والبحوث العلمية، الذي كان في مرحلة التأسيس. وأثناء مرحلة التأسيس هذه شارك في المؤتمر التربوي لتطوير التعليم العالي والجامعي، وعاد لطرح أربعة مشروعات أساسية لتطوير التعليم العالي، هي: تنظيم الجامعات، ومجلس التعليم العالي، ومجلس السياسة العلمية، وهيئات البحث العلمي. وصدر قانون تنظيم الجامعات أخيرًا في عام خمسة وسبعين؛ وكان الدكتور شهيد قد اقترح أن يتضمّن نصًا يتيح معادلة خبرات العاملين المؤهلين في القطاعين العام والخاص للتدريس في الجامعات، لكن النص حُذف لاحقًا. أما قانون هيئات البحث العلمي فلم يصدر إلا في عام ألفين وخمسة!

كان مركز الدراسات والبحوث العلمية في حياة الدكتور شهيد مشروعه الرائد الذي نذر لتحقيقه سنوات طويلة من حياته المهنية. كان يحلم منذ دراسته في فرنسا بتأسيس مركز للأبحاث متعدد الاختصاصات في العلوم الأساسية والهندسية التطبيقية، يتضمن الميادين العلمية البازغة. وقد استفاد

الدكتور شهيد في عمله في تأسيس المركز من تقييمه مسيرة البحث العلمي الفتية التي عاصرها في سورية، ساعيًا للاستفادة من نجاحاتها، وخاصة تلك المتحقّقة في مجال العلوم الطبية والزراعة، وتجنب الوقوع في أخطائها، ولا سيّما ما حدث في كلية العلوم، التي كان يرى أن الباحثين فيها قد عزلوا أنفسهم عن حاجات ومشكلات المجتمع.

كانت رؤيته التي وضعها لمركز البحوث أن يكون بيئة عمل مميّزة، تؤكد دور العلم والتقانة في التنمية، وتشجّع البحث العلمي التطبيقي المقود بالطلب، المرتبط بالاحتياجات المحددة التي تطلبها الجهات الطارحة للمشروعات، والتي يعمل باحثو المركز على حل مشكلاتها بالتشارك مع تلك الجهات، باتباع منهجيات البحث العلمي الدقيقة.

لهذا الغرض بدأ الدكتور شهيد جولات طويلة على الجهات المستفيدة، يستفهم ويشرح؛ وبدأ في الوقت ذاته بوضع خطة إيفاد للمهندسين والمجازين، للتخصّص في فروع المعرفة التقانية والتقنية. وقد انطلق المركز في أعماله بنجاح ملحوظ، وفق الرؤية الموضوعة، وبفضل الدعم المباشر من رئيس الجمهورية شخصيًا، الذي كان يتابع عمل المركز متابعة حثيثة، ويعمل على توفير كل ما يحتاج إليه من موارد مالية وبشرية.

ومع نجاح المركز في تنفيذ مشروعاته، تطورت الرؤية لدى الدكتور شهيد وزملائه إلى ضرورة ربط البحث العلمي بالصناعة، بهدف تنميتها، وذلك بالعمل على تصنيع بعض المشروعات وإنتاجها؛ فكان أن توسع المركز ليضم فروع الصناعات: الإلكترونية أولًا في أوائل الثمانينيات، ثم الميكانيكية وغيرها لاحقًا.

وكان تنظيم المركز من الناحية المؤسسية متميزًا، فقد أُخذ فيه بفكرة

وجود هيئة للبحث العلمي، وهيئة فنية وأخرى مخبرية. وكان له أيضًا نظام خاص في العمل: صباحي ومسائي، ونظام مالي خاص.

كانت الانطلاقة الناجحة لنشاطات مركز الدراسات والبحوث العلمية فرصة ليعود الدكتور شهيد إلى إنعام النظر في مشكلات التعليم العالي وتنمية الموارد البشرية؛ إذ كانت احتياجات المركز من الخريجين المؤهلين في الاختصاصات التي يحتاج إليها قد أخذت بالتزايد كمًّا وكيفًا، ولم يعد بالمقدور الاعتماد فقط على خريجي الجامعات السورية.

من هنا أخذت تتبلور في ذهن الدكتور شهيد وزملائه فكرة إحداث مؤسسة جامعية للتعليم الهندسي والتقاني العالي المستوى في سورية، تندرج في إطار تنويع أنماط التعليم العالي، أسوة بما عاينه في فرنسا من وجود المدارس العليا للهندسة إلى جانب الجامعات، وما نهجت عليه دول أخرى مثل الاتحاد السوفييتي في ذلك الحين.

كانت النواة الأولى لهذه المؤسسة التعليمية الرائدة حاضنة في كلية الهندسة الميكانيكية والكهربائية في جامعة دمشق، يدرس فيها الطلاب المختارون منهاج الكلية، إضافة إلى برنامج علمي ترميمي، وساعات إضافية في تعلّم اللغات الأجنبية. غير أن انفتاح أوربا، وخاصة فرنسا، على سورية، في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، دفع إلى بلورة تصوّر جديد يقوم على اعتماد النظام التعليمي في مدارس الهندسة الفرنسية، بحيث يدرس الطلاب المختارون حلقة جامعية أولى من ثلاث سنوات في دمشق، على مدرسين سوريين وآخرين مستقدمين من فرنسا، ثم يوفَد بعضهم للحصول على شهادة الهندسة من إحدى المدارس العليا، بعد نجاحهم في مسابقة الانتقاء. وبهذا المسار وُلد المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، فبدأ باستقطاب

الطلاب منذ سنة ست وسبعين، إلى أن تحوّل إلى مؤسسة مستقلة مرتبطة بمركز الدراسات والبحوث العلمية بصدور مرسوم خاص به في عام ثلاثة وثمانين. وقد كنت من طلاب الدفعة السادسة فيه.

نجح طلاب المعهد في دخول أكبر مدارس الهندسة في فرنسا، والتفوق فيها. ثم أحدثت في المعهد حلقة ثانية في سورية (في دمشق، ثم في حلب) باختصاصات متعددة: هندسة المعلوميات (كما كانت تسمى بدل اسم المعلوماتية الذي شاع بعد ذلك)، وهندسة النظم، وهندسة الفيزياء التطبيقية وعلوم المواد، وهندسة الميكاترونيك، وهندسة الاتصالات، وهندسة الطيران (في حلب).

وأُتيحت أمام خريجي المعهد فرصة إكمال تأهيلهم للحصول على الدكتوراه. ثم تحولت هذه الفكرة إلى الدكتوراه بالتعاون (أي: بالتشارك بين المركز وإحدى الجامعات الأوربية)، بغية زيادة توطين البحث العلمي، والاستجابة للاحتياجات المحلية.

لقد كان المعهد العالي أحد مشروعات الدكتور شهيد العزيزة على قلبه. كان يحرص شخصيًا على لقاء الطلاب المتقدمين إلى المعهد في بداية كل عام، ويتابع مسيرتهم الدراسية. وأذكر خريف عام واحد وثمانين، حين اجتمع بنا الدكتور شهيد، وراح يحدثنا عن العلم والعمل، وعن فرص الدراسة في أفضل جامعات أوربا؛ ويعدنا، لا بالثراء، لكن بحياة مريحة، أثناء الدراسة وبعدها.

وكان تعليم اللغات الأجنبية ركيزة أساسية في المعهد العالي. لكن المعهد أيضًا اهتم أشد الاهتمام باللغة العربية، فأُحدِثت فيه مجموعة بحوث اللغة العربية، واهتمت المجموعة بوجه خاص بتطبيقات المعلوماتية على اللغة العربية.

وقياسًا على تجربة العلوم الهندسية، فكر الدكتور شهيد بالاهتمام بعلوم الإدارة. وكان يريد أن يوفّر لمركز الدراسات والبحوث العلمية عاملين مؤهلين في هذا المجال، فأُحدث في المعهد العالي قسم للإدارة والاقتصاد. وقد أصبح هذا القسم لاحقًا نواة للمعهد العالي لإدارة الأعمال.

وكان المعهد العالي رائدًا أيضًا على صعيد التعليم المستمر، فأُحدثت فيه مجموعة من دبلومات الدراسات العليا في اختصاصات شتى، يتّبعها طلاب من المركز ومن جهات أخرى عديدة. وأُحدثت أيضًا، في السياق ذاته، المدرسة العربية للعلوم والتكنولوجيا في مركز الدراسات والبحوث العلمية، بالتعاون مع مركز بحوث الكويت وجامعة الكويت، وهي مؤسسة موجهة للتعلم المستمر، وكانت الحلقة الأولى للمدرسة في سورية في عام تسعة وسبعين، عن «إلكترونيات الجسم الصلب»، ثم عقدت المدرسة حلقات عديدة في سورية والكويت ودول عربية أخرى، أذكر منها حلقة في المملكة المغربية عن «اللسانيات العربية التطبيقية» في عام ثلاثة وثمانين.

وكانت مفاهيم الجودة والاختبار أيضًا في صميم اهتمامات المركز، فأُحدث لهذا الغرض المركز الوطني للمعايير والمعايرة، بالتعاون مع اليابان.

شارك الدكتور شهيد في كثير من اللجان العلمية في المنطقة العربية والعالم، منها اللجنة الاستشارية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة، ولجنة الخبراء في اليونسكو لمسائل البحث العلمي؛ وتولى – بوجه خاص – رئاسة لجنة إستراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي، التي كان مقرّها دمشق، بين عامي ثلاثة وثمانين وسبعة وثمانين، بتمويل من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو). وقد عُرضت أعمال اللجنة التي شارك فيها رهط من كبار المختصين العرب في مؤتمر

أقامته الألكسو أمام وزراء التربية العرب.

وشارك الدكتور شهيد أيضًا في صوغ إستراتيجية تنمية الصناعة في سورية في عام سبعة وثمانين، أثناء حكومة عبد الرؤوف الكسم.

عُرضت على الدكتور شهيد مناصب عديدة أثناء توليه إدارة المركز، منها في اللجنة الاقتصادية والاجتماعية في الأمم المتحدة، وفي اليونسكو، وفي مركز دراسات الوحدة العربية، وفي بعض جامعات دول الخليج، لكنه بقي يدير المركز حتى قبلت استقالته في عام أربعة وتسعين، بعد أن أمضى في هذا الموقع زهاء ربع قرن من الزمان.

يعود اهتمام الدكتور شهيد باللغة العربية منذ نعومة أظفاره إلى البيئة التي نشأ فيها، وقد أذكت سنوات عمله في المجلس الأعلى للعلوم اهتمامه بالمصطلح العلمي وتعريبه. هذا، إضافة إلى شغفه الدائم بتاريخ العلوم العربية والإسلامية. ومن ثمّ انتُخب في مجمع اللغة العربية في عام خمسة وثمانين، واستقبله المجمع بعد صدور مرسوم تعيينه عضوًا عاملًا في أواخر عام ثمانية وثمانين، وتحدث في حفل استقباله عن سلفه الأستاذ وجيه السمان.

اهتم أثناء عمله في المجمع بتوحيد المصطلحات العلمية المستعملة في الجامعات السورية، وأسهم في وضع معجمَيْ مصطلحات الفيزياء والكيمياء. وكان يؤمن بضرورة تحديث اللغة، أي: بالتطابق بين اللغة والمجتمع، دون إحداث قطيعة معرفية.

وأكمل في مجمع اللغة العربية مسيرته الإدارية والتنظيمية، فشارك في وضع النظام الداخلي للمجمع مع الأستاذ جورج صدقني، وفي تعديل قانون المجمع الذي صدر في عام ألفين وواحد، وتضمن إضافة الهيئة الفنية إلى ملاك المجمع. وقد شغل موقع الأمين العام للمجمع بين سنتي ألف

وتسعمئة وستة وتسعين وألفين وثمانية، خلفًا للدكتور عدنان الخطيب.

توفي الدكتور عبد الله واثق شهيد في الخامس عشر من شهر آب من عام ألفين وخمسة عشر، عن عمر ناهز التسعين عامًا، قضاها دون كلل في العمل والإنجاز، معلمًا وباحثًا ومديرًا. وقد كان يأسف أن لم تُتَح له الفرصة ليعمل في التعليم بالقدر الذي عمل فيه باحثًا ومديرًا. كان الدكتور شهيد ذا شخصية قيادية آسرة مهيبة. كان «الباني» كما لقّبه الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة. وقد عُرف عنه -إضافة إلى علمه الوسيع- حبه لفعل الخير، واهتمامه الكبير بذوي الاحتياجات الخاصة.

كيف لنا أن نودّع أستاذنا الكبير الدكتور عبد الله واثق شهيد ومدرسته مستمرة في تلاميذه وطلابه، وذكراه حاضرة في قلوب أصدقائه ومحبيه؟ رحمه الله وأحسن مثواه.

سيداتي وسادتي:

في ختام هذه الكلمة أود أن أعرض بعجالة بعض الأفكار السريعة عن النهوض باللغة العربية في مجتمع المعرفة، استمرارًا لمسيرة الدكتور شهيد، الذي أتشرف بأن أكون له خلفًا.

اللغة - كما نعرف - هي وسيلة التواصل الإنساني؛ وهي من أبرز العوامل التي تعرّف هوية وثقافة مجموعة بشرية مقارنة بغيرها. واللغة العربية واحدة من اللغات العشر الكبرى في العالم، وإحدى اللغات السّت المعتمدة في الأمم المتحدة؛ فهي إذًا لغة عالمية. غير أن التوجه العالمي اليوم نحو مجتمع المعرفة يضع أمامها -كما هي حال لغات أخرى كثيرة- تحديات جديدة ترتبط بتطورها واستمرار حضورها العالمي؛ وهذا ما يجب أن يدفعنا إلى النهوض بها، كي تبقى لغة حية، ووسيلة تخاطب فاعلة في مجتمع المعرفة الجديد.

وإلى جانب التحديات التقليدية التي تواجه لغتنا العربية، تظهر اليوم تحديات جديدة تتعلق بالتقانة وأدواتها. فمجتمع المعرفة -بكثير من التبسيط- ما هو إلا حصيلة النشاطات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تعتمد في ارتقائها على تقانات المعلومات والاتصالات، والتحوّل إلى صناعات يكون للمكوّنات القائمة على استثمار المعرفة المقام الأول فيها. وقد أضحى استعمال وسائل المعلومات والاتصالات استعمالًا للغة في بيئة جديدة، تقنية أساسًا. ما يهمّنا - من ثمّ - هو أن نكون قادرين على تمكين المجتمع والاقتصاد من الاستفادة استفادة مثلى من هذه الوسائل، بواسطة اللغة العربية قبل غيرها من اللغات. وهذا التمكين له -كما هو واضح- جانب تقني يرتبط بحضور اللغة العربية في وسائل التواصل، وبقراءة وكتابة وصياغة ما يُعرف بـ «المحتوى» الرقمي على اختلاف أنواعه باللغة العربية؛ وله أيضًا -قبل كل شيء- جانب معرفي يرتبط بتوفير محتوى ثري ومتنوع باللغة العربية، محتوى ثقافي واجتماعي وتجاري وخدمي وعلمي...

من أهمّ القضايا العاجلة التي ينبغي لنا التعامل معها إذًا قضية رسم سياسة لغوية شاملة للغة العربية، والتمكين لها وطنيًا وعالميًا، على النحو الذي يضمن لها أن تكون وسيلة تواصل عالمية. وعلى هذه السياسة أن تحدّد أهم الموضوعات في مجال العلاقة بين اللغة والمجتمع، والاقتصاد أيضًا، مثل وضع مقاييس الكتابة والكلام والجدارة والجودة اللغوية، ودور اللغة في التخاطب والتواصل المعلوماتي، ودورها في الإعلام، والتعليم، والإدارة، والعلاقات الدولية والدبلوماسية، وتقييس المصطلح العلمي، وتحديد الموقف من الازدواجية اللغوية والتعددية اللغوية واللهجات الدارجة، والقيمة الاقتصادية للغة... ويجب بعدها وضع الخطط الكفيلة

ببلوغ الأهداف الموضوعة، وصولًا إلى تحقيق ما يمكن التعبير عنه بالأمن اللغوي الوطني.

أما من الناحية العلمية والتقنية فلا بدّ من تحديد دقيق للمواضيع المستجدة الواجب تركيزُ الاهتمام فيها، وتوجيهِ البحث العلمي في هذا الاتجاه، في علوم اللغة وعلوم المعلوماتية على السواء. ومن هذه المواضيع: تطوير تقنيات تعرّف الكلام العربي آليًا، والترجمة الآلية، وكل ما يتعلّق بالبحث الدلالي الآلي باللغة العربية، أي: بتمكين ما يسمى بـ «محركات البحث» من تمييز معنى الكلمة العربية، مشكولة كانت أم غير مشكولة، ضمن سياقها في العبارة. هذا، إلى جانب بناء المكانز الرقمية العربية ذات الترابطات الدلالية والمعرفية المتنوّعة، وتنمية صناعة المحتوى الرقمي العربي - وهي من الصناعات المعرفية البازغة - وتوفير متطلباتها وعوامل نجاحها.

ويجدر بنا أيضًا التنبه إلى أن الاستعمال المتزايد لوسائل التواصل المعلوماتي قد فاقم من مشكلة الازدواجية اللغوية المرتبطة باللغة الفصيحة واللهجات الدارجة؛ وهذه قضية جوهرية لا بدّ من مناقشتها مناقشة واعية: فنحن لا نريد أن تتحوّل اللهجات الدارجة إلى لغات رسمية، لكن لا يمكن لنا -بالمقابل- تجاهل هذه اللهجات ببساطة، ولا سيّما بعد أن بتنا نلحظ زيادة مطردة في استعمالها مكتوبةً.

ويشهد مجتمع المعرفة زيادة متسارعة غير مسبوقة في أعداد المصطلحات العلمية والتقنية وألفاظ الحضارة المستجدة، ومعظمها باللغة الإنجليزية. وقد يكون تأثير هذا الفيض من المصطلحات كارثيًا على هوية (بل كينونة) تلك اللغات الوطنية التي تعجز عن تمثّلها أو إيجاد مقابلات

مناسبة لها. وجميعنا يعلم أن اللغة العربية تعاني أصلًا من نقص كبير في المصطلحات العلمية والتقنية.

نعم. لقد بُذلت منذ أواخر القرن الماضي، جهود كبيرة في ترجمة المصطلحات وتعريبها، وفي تصنيف المعجمات والمسارد؛ ونجحت تلك الجهود في تعميم استعمال اللغة العربية في التعليم المدرسي والدرجات الأولى من التعليم الجامعي في كثير من البلدان العربية. ولكن المشكلة تعود اليوم لتظهر، بكل حدتها، في الدرجات الجامعية العليا وفي الدراسات التخصصية، وفيما تثمر عنه من أبحاث هي في الحقيقة عصب التقدم العلمي الحديث.

لا يمكن إذًا الاستمرار في وضع المصطلحات بالطرائق التقليدية، واحدًا تلو الآخر!؛ بل علينا أن نهتم أولًا بوضع قواعد عامة لمنهجيات ترجمة المصطلحات أو تعريبها، مع توسيع معاني الأبنية الصرفية في العربية وتقييس الجديد منها ما أمكن، وكذلك تعريب الدخيل، وتقييس أسلوب ترجمة السوابق واللواحق في اللغات الأوربية، والمختصرات «الأوائلية»؛ وذلك مع ضمان مراعاة صحة اللغة ونظامها الصوتي والصرفي، والشيوع، والإيحاء بالمعنى، والسهولة، والدقة، والقابلية للاشتقاق.

وقد كنت اقترحت في ورقة قدّمتها في ندوة «إقرار منهجية موحّدة لوضع المصطلح العلمي العربي» التي عقدها مجمع اللغة العربية بدمشق في عام تسعة وتسعين، فكرة أولية لوضع المصطلح العلمي العربي بمساعدة الحاسوب، يقوم على بناء بيئة معلوماتية تساعد الباحث على انتقاء المصطلح المقابل الملائم، عن طريق حوسبة تكوين حقول دلالية للمصطلح، وإنشاء قاعدة معطيات «علاقاتية» تُفرَّغ فيها المقابلات العربية

والأجنبية المحتملة ضمن هذه الحقول.

إن التراخي عن اتخاذ إجراءات عاجلة في معالجة قضية نقص المصطلحات، وخاصة التقنية منها، سرعان ما سيدفع اللغة العربية بعيدًا عن مسارات العلم والتنمية. وحين لا يتصدى المختصون لملء الفراغ، سيملؤه بسرعة أشباه المثقفين، وسنجد أنفسنا في وضع شبيه بما حصل حين «عُرّبت» التطبيقات الحاسوبية والمعلوماتية، فظهرت عبارات كارثية، نحو «جاري التحميل»، ومصطلحات كـ «الهاتف الخليوي»، وما شابهها كثير...

وأخيرًا أقول: إن تضافر وتكامل جهود اللغويين والتقنيين لكفيل بجعل اللغة العربية لغة حديثة يمكن بواسطتها العودة إلى إنتاج العلم والمعرفة. وإني لأرجو أن أكون في هذا السياق عونًا لزملائي، وقادرًا على النهوض بالمهمة التي انتدبت لها، والوفاء بالأمانة التي أوليتها.

أشكر لكم صبركم على الإطالة، وحسن استماعكم. والسلام عليكم.

* * *

الفهارس العامة
للمجلد الخامس والتسعين

أ- فهرس أسماء
الكُتّاب

أ. أحمد بوبس ٢٦٣

د. أحمد قدور ٢٥، ٣٦٥

د. حسين مرعشي ٣٩١

د. رفعت هزيم ٢٣٧، ٤٤١

د. سائر بصمه جي ١٥٩، ٤٠٩

د. عباس الجراخ ١١٩

د. عبد الإله نبهان ٢٥٣

د. عبد الناصر عساف ٤٥١

د. عبد النبي اصطيف ١٩١

د. عماد الصابوني ٦٣٥

د. عيد مرعي ٥٣٩

د. عيسى العاكوب ٢٤٧، ٥٢١
د. فؤاد عبد المطلب ٥١
د. مازن المبارك ٢٢١، ٤٩٥
د. محمد جمعة الدربي ٨٧
د. محمد شفيق البيطار ٣٢٦
د. محمود السيد ٣١١، ٥٩١، ٦١٩
أ. مروان البواب ٦٢٥
د. مروان المحاسني ٩
د. مكي الحسني ٢٣٣، ٤٣٧، ٥٩٧
د. ميثم علي ٤٦٩
د. وهب رومية ٣١٥
د. يوسف أبو العدوس ٥١
د. يوسف بركات ٦٠١

* * *

ب - فهرس عناوين الموادّ

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام ٢٠٢٢ ٣٣٧
الترجمة ومعرفة الآخر ٩
التنبيه على التحريف في مطبوع (الفصول والغايات) ٤٦٩
الجهود المعجمية لعبد القادر البغدادي ٨٧
الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات على المتداول اليومي ٤٥١
العرب والبيان: تأملات في الطبيعة البيانية للشخصية العربية ٥٢١
العلاقة بين اللغة العربية ولغات المشرق العربي القديم (اللغات السامية)٥٣٩
الكشكول اللغوي (٢) ٢٣٧
الكشكول اللغوي (٣) العقاقير والعَقارات والعُقار والعاقر والعَقْر ٤٤١
اللغة العربية وتعريب التعليم الطبي - مرشد خاطر نموذجًا ٢٦٣
بين اللغة والناس ٢٢١
حفل استقبال الأستاذ الدكتور عماد الصابوني عضوًا في المجمع ٦١٧
حفل استقبال الأستاذ الدكتور محمد شفيق البيطار عضوًا في المجمع ٣٠٩
حفل استقبال الأستاذ الدكتور يوسف بركات عضوًا في المجمع ٥٨٩
عبد الإله نبهان والإيذان بالخلاص قبل الأوان ٢٤٧
عوامل النشاط الأدبي العربي الحديث في إيران ٣٩١
فهرس المجلد الخامس والتسعين ٦٥٣
قصيدة «امرأة وتمثال» لـ«عمر أبو ريشة» دراسة في التلقي الإيجابي الاستلهامي ١٩١
كلمات التعزية بوفاة رئيس المجمع الأستاذ الدكتور مروان المحاسني ٢٩٥
كلمات التهنئة بتسلم الأستاذ الدكتور محمود السيد رئاسة المجمع ٣٠١
كلمة الأستاذ الدكتور شفيق البيطار ٣٢٦

كلمة الأستاذ الدكتور عماد الصابوني ٦٣٥
كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع ٣١١، ٥٩١، ٦١٩
كلمة الأستاذ مروان البواب عضو المجمع ٦٢٥
كلمة الأستاذ الدكتور مكي الحسني أمين المجمع ٥٩٧
كلمة الأستاذ الدكتور وهب رومية ٣١٥
كلمة الأستاذ الدكتور يوسف بركات ٦٠١
ما استُدرِكَ على سيبويهِ في درسِه المخارجَ ٢٥
متى يجزم جواب الطلب؟ ٤٣٧
محاولات تفسير منشأ الحرارة الشمسية ١٥٩
مسائل التغيير التشكيلي في الأصوات ٣٦٥
معجم المشترك اللغوي العربي السامي ٢٥٣
معرفة العرب بأساليب الاستفادة والوقاية من طاقة المد والجزر ٤٠٩
من الكلمات العجيبة: وراء ٢٣٣
من قرارات المجمع في الألفاظ والأساليب ٢٧٧، ٥٧٣
نظرات في العلاقة بين الدراسة الأدبية والنظرية والنقد ٥١
نعي فاضل ٢٩٣
وقفة مع التراث في المناهج والنتائج ٤٩٥
يعقوب بن أحمد النيسابوري ١١٩

* * *

تنضيد وإخراج: عمار البخاري